

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مصراتة

كلية الآداب

قسم اللغة العربية

شعبة اللغويات

الرضي الاسترأبأذي وتداخل علمي الصوت والصرف

في شرحه على الشافية

إعداد: سالمين محمد العباني

إشراف: أ.د. محمد امحمد بن طاهر

العام الجامعي

2013/2012م



دولة ليبيا
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة مصراتة
كلية الآداب
مكتب الدراسات العليا والتدريب والمعידين



"اعتماد رسالة الإجازة العالية (الماجستير)"

إعداد الطالبة // **سالمين محمد العباني**، والمعونة:

(الرضي الاستراادي وتداخل علمي الصوت والصرف في شرحه على الشافية)

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الإجازة العالية (الماجستير) في اللغة العربية

لجنة المناقشة //

التوقيع:

1- أ.د. محمد امحمد بن طاهر. أستاذ (مشرفاً ومقرراً)

التوقيع:

2- أ.د. شعبان عوض العبيدي. أستاذ (عضواً خارجياً)

التوقيع:

3- د. ثريا محمد الشفطي. أستاذ مساعد (عضواً داخلياً)

نوقشت هذه الرسالة يوم الاثنين الموافق : 2013/10/21م

العام الجامعي (2012 - 2013م)

يعتمد //

د. عمر مصطفى النعاس

مدير مكتب الدراسات العليا والتدريب والمعيدين
بكلية الآداب مصراتة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ
السِّنِّكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِّلْعَالَمِينَ﴾

بِسْمِ اللَّهِ
الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة الروم الآية (22)

الإهداء

إلى اللذين سهرنا من أجلي،، وفرحنا لفرحي وحزنا لحزني وانتظرا

هذه اللحظة بفارغ الصبر.

روح أمي الطاهرة،،، أبي الحنون

إلى الذين عاشوا معي الحياة حلوها ومرها،، يسرها وعسرها....

إخوتي وأخواتي

إلى من ساندني في رحلتي وكان بمثابة رافد خير لي ولولاه

ما استطعت أن أشق طريقتي.....

زوجي الغالي

إلى كل من علمني علما نافعا وغرس في نفسي الأمل والعطاء

والحب والمثابرة....

أساتذتي وأخص من بينهم أستاذي الفاضل الدكتور محمد بن طاهر

إلى من أحببته حبا وعشقتة عشقا ومن أجله تهون الصعاب

وكل كلمة عندي تعجز عن وصفه.....

وطني الحبيب ليبيا

الشكر والتقدير

الشكر أولا وأخيرا لله سبحانه وتعالى الذي أمدني بالصحة والعافية حتى
إنجازي هذا العمل بصورته المتواضعة.

ومن بعده:

يسرني ويشرفني أن أتقدم بخالص الشكر وأسمى آيات الود والتقدير
لكل من ساندني ومد لي يد العون سواء من قريب أو من بعيد، بشكل
مباشر، أو غير مباشر منذ أن شرعت في كتابة هذه الرسالة إلى تمامها - بعون
الله -

كما أشكر أستاذي الدكتور محمد بن طاهر الذي تفضل بقبول الإشراف
على هذه الرسالة.

فكانت توجيهاته وإرشاداته بمثابة نبراس يضيء لي الطريق، وكان
تشجيعه لي وغرسه الأمل في نفسي سببا في مواصلة الطريق رغم الظروف
القاسية التي مررت بها.

وأخيرا: أتقدم بالشكر الخالص لموظفي مكتبة كلية الآداب لما بذلوه
من جهد من حيث تزويدي بما أحتاج إليه من مصادر ومراجع كان لها دور
بارز في دراستي هذه...

،،**الباحثة**،،

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الآية
ب	الإهداء
ت	الشكر والتقدير
ث	فهرس المحتويات
ز	المقدمة

الفصل الأول:

ترجمة الرضي وآثاره

18 - 1

1

اسمه ولقبه

2

مولده

2

وفاته

3

شيوخه

4

تلاميذه

4

مصنفاته العلمية

5

منزلته العلمية وثناء العلماء عليه

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
6	عصره
8	مذهبه النحوي
9	مسلكه من حيث الاستشهاد
12	ما قيل عن تشيعه
14	العلماء الذين عاصروه
15	نبذة عن ابن الحاجب صاحب متن الشافية
17	نبذة عن الشافية
125-19	الفصل الثاني:
19	نشأة الدرس الصوتي وتطوره عند العرب
21	أهم العلماء الذين أسهموا في نشوء الدرس الصوتي وتطوره
28	أعضاء الجهاز النطقي
32	نظرية الفونيم في الدرس الصوتي الحديث
41	الأصوات العربية وعددها
43	عدد الأصوات عند ابن الحاجب وشارح منته الرضي الاسترأباضي
43	أولاً: الحروف (الأصوات) الأصلية
45	ثانياً: الحروف (الأصوات) الفرعية
46	الأصوات المستحسنة

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
54	الأصوات المستهجنة
60	مخارج الأصوات
64	مقارنة بين ابن الحاجب والعلماء القدامى من حيث المخارج
65	مقارنة بين ابن الحاجب والعلماء المحدثين من حيث المخارج
71	صفات الأصوات
72	1. الجهر
77	2. الهمس
79	3. الشدة
83	4. الرخاوة
85	5. بين الشدة والرخاوة
95	6. الإطباق
98	7. الانفتاح
99	8. الاستعلاء
100	9. الانخفاض
100	10. الذلاقة
101	11. الاصمات
102	12. القلقة

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
103	13. الصفير
104	14. اللين
104	15. الانحراف
105	16. المكرر
106	17. الهاوي
107	18. المهتوت
110	الأصوات الصائنة وعلاقتها بصوت الهمزة
120	علم الصرف وتداخله بعلم الصوت
285-126	الفصل الثالث
126	القضايا الصوتية الصرفية عند الرضي الاسترابادي
200-127	أولاً: الإدغام
127	تعريف الإدغام
130	سبب الإدغام
131	أقسام الإدغام
133	إدغام المثلين
136	إدغام المثلين في الأفعال
143	إدغام المثلين في الأسماء

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
144	إدغام المثليين في كلمتين
146	إدغام المتقاربيين
148	أحكام أصوات الحلق في الإدغام
160	أحكام أصوات الفم في الإدغام
165	حكم اللام في الإدغام مع بقية الحروف
169	حكم النون في الإدغام
176	حكم الراء في الإدغام
178	أحكام أصوات طرف اللسان والثنايا في الإدغام
188	حكم الصفيريات في الإدغام
197	أحكام الأصوات الشفتانية في الإدغام
243-201	ثانياً: الإبدال
202	تعريف الإبدال
203	ما يعرف به الإبدال
206	أصوات الإبدال عند ابن الحاجب وشارحه الرضي
206	1. الهمزة
209	2. الألف
210	3. الياء

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
214	4. الميم
218	5. النون
218	6. التاء
223	7. الهاء
226	8. اللام
227	9. الطاء
230	10. الدال
234	11. الجيم
236	12. الصاد
238	13. الزاي
285-244	ثالثاً: الإعلال
245	تعريف الإعلال
248	أحرف الإعلال
249	سبب الإعلال
249	أقسام الإعلال
249	أولاً: الإعلال بالقلب
249	1. قلب الواو والياء همزة

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
254	2. قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء
261	3. قلب الألف همزة
263	4. قلب الواو ياء
269	5. قلب الياء واواً
272	6. قلب الواو والياء ألفاً
276	ثانياً: الإعلال بالنقل
282	ثالثاً: الإعلال بالحذف
286	الخاتمة
293	قائمة الأشكال الواردة في البحث
295	فهرس الأبيات الشعرية الواردة في البحث
296	قائمة المصادر والمراجع

المقدمة

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على عظيم فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، تعظيماً لشأنه وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى جنته ورضوانه، - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه - .

ويعد،،،

تعتبر اللغة العربية من أسمى اللغات وأشهرها؛ فقد كرمها الله - سبحانه وتعالى - بنزول كتابه العزيز معجزة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - آخر الكتب السماوية بها، فكانت بمثابة وعاء له قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾¹.

لذلك فهي لغة غنية بمفرداتها وأساليبها، حيث استطاعت أن تعبر عن كل المعاني السمحة التي جاء بها الدين الجديد، دون أي قصور مما يدل على غزارة مادتها المعجمية، وقدرتها الاستيعابية للدلالات بما يتماشى مع ضروب الفكر واحتياجاته.

وكل هذه الأمور تضافرت مع بعضها فجعلت اللغة العربية محط أنظار العلماء الذين كرسوا جهودهم لسبر أغوارها، فعملوا على تقعيدها ودراسة أبنيتها ومفرداتها وتراكيبها، الأمر الذي أفرز لنا العديد من المؤلفات في مختلف مجالات اللغة (صوتاً وصرفاً ونحواً ودلالة).

كما أفرز لنا العديد من العلماء الأفاضل الذين أثروا المكتبة العربية بمؤلفاتهم الثمينة، وقد كان من بين هؤلاء العلماء العالم الجليل:

الرضي الاسترابادي

صاحب الشرحين العظيمين الكافية في النحو، الشافية في الصرف.

¹ - سورة يوسف الآية (2).

حيث تناول الرضي الاسترابطي في كتابه الأول مسائل علم النحو وخفاياه، فوجدناه شارحاً ومحللاً ومؤيداً أو ناقداً لكل ما ورد في متن هذا الكتاب.

أما في الشافية فقد امتزج علم الصرف بالصوت، وذلك لما لهذين العلمين من صلة وثيقة وعظيم ترابط؛ حيث يعد الدرس الصوتي مقدمة منطقية للدرس الصرفي، فدارس الصرف لا ينفك عن ذكر مسائل الصوت عند دراسته له، بل إنه يجد نفسه مضطراً لكي يلم بقضايا هذا العلم الجليل - وأعني الصرف - أن يكون مطلعاً على ما يعرف بعلم الأصوات وقوانينه، خاصة فيما يتعلق بالموضوعات التي يظهر فيها جلياً تعالق هذين العلمين مثل: مباحث الإعلال، والإبدال، والإدغام، والميزان الصرفي، وأحرف الزيادة وغيرها من الموضوعات.

وقد كان تناول عالمنا الجليل الرضي الاسترابطي لأصوات اللغة العربية من حيث عددها، ومخارجها، ونسبة كل صوت إلى مخرجه، يقوم على الدراسة التوصيفية القائمة على الملاحظة الذاتية والاستشعار، مما جعل دراسته في هذا المجال يشوبها شيء من عدم الدقة - ولا نقل الخطأ - إذا ما قورنت بالنتائج الحديثة التي توصل إليها علماء العصر الحديث، ولعل ذلك راجع إلى افتقارهم الآلات والأجهزة الصوتية الحديثة التي زود بها علماء اللغة المحدثون مختبراتهم الصوتية، مما جعل نتائجهم في هذا المجال أقرب إلى الكمال.

أهمية الموضوع:

لما كانت الدراسة الصوتية هي عماد أية لغة من اللغات وبدونها لا يمكن لها أن ترقى لأن أبنيتها وتراكيبها تقوم على أساس التشكلات الصوتية وتبادلية المواقع، فأبي دراسة لغوية لا تأخذ بعين الاعتبار الجانب الصوتي كملحظ أساسي تعد قاصرة؛ أثرت أن يكون الجانب الذي اتجه للبحث فيه في مرحلة الماجستير هو الجانب الصوتي، خاصة بعد أن تدورك الأمر وأصبح للدرس للصوتي مقاماً

بيناً، ومكاناً لائقاً في الجامعات والكليات الشيء الذي حدا بي أن أختار جانباً من جوانب هذا العلم القيم فكان وأن اخترت الكتابة عن:

الرضي الاسترابطي وتداخل علمي الصوت والصرف في شرحه على الشافية

ومن خلال هذا الاختيار آليت على نفسي العمل على مد جسر التواصل بين الدرس الصوتي التراثي والدرس الصوتي الحديث، مبينة أهم أوجه الاتفاق والاختلاف ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

سبب اختيار الموضوع:

1. إبراز ما بذله هذا العالم الجليل - الرضي الاسترابطي - من جهد لحماية اللغة العربية وقواعدها.
2. إبراز ما يحويه هذا الكتاب من تعالق وتداخل بين المسائل الصوتية والصرفية.
3. إظهار الترابط الفكري بين الدرس التراثي والحديث.

المنهج المتبع في الدراسة:

عمدت في هذا البحث إلى الاستفادة من عدة مناهج علمية متبعة في البحث العلمي وكان التركيز على المنهج الوصفي المقارن حتى يتم الوصف، ونعقد المقارنة بين السابق واللاحق من أجل الوصول إلى عقد اللحمة بين أعمال المتقدمين والمتأخرين على السواء.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث وجدته في عرض القضايا الصرفية من منظور صوتي، وذلك من خلال كتاب الشافية لابن الحاجب الذي قام بشرحه العالم الجليل الرضي الاسترابطي.

فابن الحاجب وشارحه الرضي الاستراباذي عاشا في القرن السابع الميلادي، وبناءً على هذا فقد حوى كتاب الشافية بين دفتيه خلاصة علم الصرف، حيث أفاد ابن الحاجب ممن سبقه من العلماء الذين أرسوا دعائم هذا العلم كسيبويه والمبرد وابن جني وغيرهم. ومن خلال هذه الدراسة سيتم عرض القضايا الصرفية الواردة في الشافية ودراستها دراسة تحليلية من منظور صوتي حديث.

هيكلية البحث:

تكون هذا البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

1. المقدمة: وفيها تمت الإشارة إلى سبب اختيار الموضوع وأهميته والمنهجية المتبعة من قبل الباحثة داخل الدراسة ومحتويات هذا البحث.
2. الفصل الأول: وتضمن الحديث عن الرضي الاستراباذي والتعريف به من حيث اسمه، ومولده، وشيوخه، وتلاميذه، وعصره، ومصنفاته، ومنزلته العلمية، ومذهبه النحوي، والعلماء الذين عاصروه.
3. الفصل الثاني: تناول عدة مباحث.
 - نشأة الدرس الصوتي وتطوره عند العرب.
 - أهم العلماء الذين أسهموا في نشوء الدرس الصوتي العربي.
 - أعضاء الجهاز النطقي.
 - نظرية الفونيم في الدرس الصوتي الحديث.
 - الأصوات العربية وعددها.
 - تقسيم الأصوات إلى أصوات أصلية وأصوات فرعية.
 - مخارج الأصوات والمقارنة بين ما هو موجود عند الرضي وما هو عند المحدثين.

- صفات الأصوات.

- الأصوات الصائتة وعلاقتها بصوت الهمزة.

- نبذة عن علم الصرف.

4. الفصل الثالث: ويشتمل على ثلاثة مباحث هي:

- الإدغام: تعريفه، سببه، أقسامه.

- الإبدال: تعريفه وما يعرف به، أصواته، مواطنه.

- الإعلال: تعريفه، أنواعه، أصواته.

5. الخاتمة: وقد ضمت أهم ما توصلت إليه من نتائج من خلال هذا البحث.

الفصل الأول

ترجمة الرضي وآثاره

1- اسمه ولقبه:

هو محمد بن الحسن الاسترأبأذي¹.

ذكره السيوطي في بغية الوعاة تحت حرف الراء، اعتماداً على شهرته بالرضي².

وقد اتفقت معظم كتب التراجم حول اسمه، إذا ما استثنينا الإضافة التي أوردها صاحب معجم

المؤلفين، الذي أضاف إلى اسم الرضي لقب السمئائي³، في الوقت الذي نجد فيه صاحب هدية

العارفين يذكره بلقب السمئائي⁴، ويبدو أن أحد الاسمين تحريفاً عن الآخر.

وقد اختلفت المصادر في لفظ الاسترأبأذي، حيث نجده أحياناً يذكر بدالٍ معجمة، وأحياناً

أخرى بدالٍ مهملة، كذلك هو الحال بالنسبة للهمزة في أوله، حيث نجدها تذكر في بعضها أعلاه وتارةً

أخرى أسفله وقد يذكر بهمزة وصلٍ.

وقد ذكر البغدادي صاحب خزنة الأدب أن الرضي اشتهر بلقبه هذا، ولكن إلى جانبه كان له

عدة ألقاب انتشرت في ثنايا كتب التراجم التي ترجمت له، منها على سبيل المثال:

رضي الدين⁵، نجم الأئمة⁶، نجم الملة والدين⁷، شارح الكافية⁸، فاضل الأمة⁹.

1- عمر رضا كحالة. معجم المؤلفين. (بيروت. مكتبة المثنى. بلا). 183/9.

- عبدالقادر البغدادي. خزنة الأدب ولب لباب العرب (بلا. بلا. بلا). 3.

2- جلال الدين السيوطي. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. (صيدا. المكتبة العصرية. بلا). 567/1.

3- كحالة: 183/9.

4- إسماعيل البغدادي. هدية العارفين، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين. (بيروت. مكتبة المثنى. 1955). 134/2.

5- إسماعيل البغدادي: 134/2.

- كحالة: 183/9.

6- شهاب الدين بن العماد الحنبلي. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (بيروت. دار الكتب العلمية. 1998). 57/6.

- السيوطي. بغية الوعاة. 567/1.

7- محمد طنطاوي. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. (القاهرة. دار المعارف. بلا). 244.

- شوقي ضيف. المدارس النحوية. (القاهرة. دار المعارف. بلا). 281.

8- الحنبلي: 57/6.

9- عبدالقادر البغدادي: 3.

2- مولده:

يعتبر الرضي من العلماء الذين فات على أصحاب المعجمات وكتب التراجم الإفاضة في ترجمته، فلم تذكر هذه المصادر مكان مولده ومراحل حياته على التحقيق، فالسيوطي وهو من أعلام القرن العاشر الذين اعتنوا بالتراجم لكبار الأعلام، لم يذكر أية معلومات عن مولده ومكان نشأته، قد ذكر شوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية أن مولد الرضي ومرباه كان في استرأبأذي إحدى قرى طبرستان الواقعة بإيران حالياً،¹ بين ساريه وجرجان شمال بلاد فارس، وهي مدينة كبيرة أخرجت الكثير من أهل العلم في كل فن وكل عصر.

3- وفاته:

عاش الرضي حياته بالمدينة المنورة بعد هجره بلاد المشرق²، وفي الوقت الذي أحاط فيه الغموض حياة الرضي مولداً ونشأة نجد أن الاختلاف قد تسرب إلى تاريخ وفاته، فلم تستطع كتب التراجم أن تحدد به بدقة، فبعضها تذكر أنه سنة 686 هـ كما هو الحال لذا صاحب معجم المؤلفين³، والسيوطي في بغية الوعاة⁴، وهو ما رجحه شوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية⁵. في حين نجد بعضها الآخر تذكر أن سنة وفاته هي 684 هـ⁶.

ولعل في هذين التاريخين نظراً؛ لأن صاحب الخزانة يورد نصاً للاسترأبأذي يذكر فيه تاريخ

تمامه من شرح الكافية.

يقول الرضي نقلاً عما ورد في خزانة الأدب " هذا آخر شرح المقدمة والحمد لله على إنعامه وأفضاله

بتوفيق إكماله، وصلواته على محمد وكرام آله، وقد تم تمامه وختم ختامه في الحضرة

¹ - ضيف. المدارس النحوية. 281 .

² - طنطاوي: 344.

- الرضي الاسترأبأذي. شرح الرضي على الكافية. تح: يوسف حسن عمر. (بنغازي. منشورات جامعة قاريونس. بلا). 18/1.

³ - كحالة: 183 /9.

⁴ - السيوطي. بغية الوعاة. 1 /567.

⁵ - ضيف. المدارس النحوية. 282.

⁶ - إسماعيل البغدادي: 134 /2.

المقدسة الغروية، على شرفها أفضل تحية، رب العزة وسلامه في شوال سنة ست وثمانين وستمئة¹.

فالتاريخان غير موافقين للأحداث والوقائع، فلا يعقل أن تكون سنة فراغه من تأليف الكافية هي ذاتها سنة وفاته، ذلك لأن للرضي شرحاً آخرأ على متن من متون ابن الحاجب ألا وهو الشافية.

والشافية كما هو ظاهر من كلام الرضي تم تأليفها بعد الكافية، لأنه كل ما مر بموضوع صرفي في الكافية وعد بتفصيله أكثر عند شرحه للشافية².

ويغلب على مظاني أن تاريخ وفاة الرضي الذي ذكره طنطاوي في كتابه (نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة) يعد الأقرب؛ حيث يرى أنه توفي سنة 688 هـ³.

وعلى أية حال فإن الاختلاف في تاريخ وفاة الرضي لا يغير من حقيقة كونه أحد أعلام القرن السابع الأفاذ، الذين كانت لهم بصمة واضحة في مجال علوم العربية.

4- شيوخه:

كثرت الدراسات التي تناولت الرضي بالبحث إلا أنها أهملت حياته فسكتت الأقلام عنها، مع أنه أولى العلماء بالبحث عن حياته ورحلاته، ولذلك لم نعرف العلماء الذين تلقى عنهم الرضي علوم العربية. فالمؤرخون لم يذكروا أنه قد جلس في حلقات درس لأحد العلماء عند ترجمتهم لعلماء العربية المتقدمين عليه زمنأ.

ولعل الرضي قد استفاد من العلماء أثناء ترحاله عند هجره بلاد المشرق، مما كون له ثقافة واسعةً وعلمأ غزيراً خولاه أن يكون شارحاً لأهم كتب النحو والصراف، والدليل على ذلك إمامه بأقوال وآراء العديد من علماء العربية بدءأ بيونس بن حبيب والخليل بن أحمد، فعند تصفحنأ لشرح على الشافية

¹ - عبدالقادر البغدادي: 28.

² - مثاله في الكافية 26/1، كما نجده عند شرحه للشافية يرجع القول على ما ذكره في الكافية ومثاله 292، 155، 168/2.

³ - طنطاوي: 257.

نجاه يذكر آراء كثير من العلماء أمثال: يونس بن حبيب، والخليل بن أحمد، وسبويه، والفراء، والمبرد، والزمخشري، وابن مالك، وغيرهم.

وربما كان الرضي قد تتلمذ بصورة غير مباشرة على ابن الحاجب، وابن مالك، أي أنه قد تتلمذ على كتبهم التي تبناها وقرأها وشرحها واستفاد منها.

5- تلاميذه:

لم تتعت كتب التراجم أحد الأعلام - ابتداءً من القرن السابع وما بعده - بأنه كان تلميذاً للرضي الاسترأباضي، أو أنه قرأ عليه أو جلس في حلقاته العلمية، ولكن عند النظر إلى كتابي الرضي نجده يستخدم الصيغ الدالة على التعليم مثل: واعلم¹، وإن قلت، وغيرها كما نجده قد ذكر في مقدمته على الكافية أنه قد وضع هذا الشرح أثناء قراءتها عليه فقال في مقدمته:

" فقد طلب إليّ من اعتنى بصلاح حاله، وأسعفه بما تسعه قدرتي من مقترحات آماله، تعليق ما يجري مجرى الشرح على مقدمة ابن الحاجب عند قراءتها عليّ، فانتدبت له مع عوز ما يحتاج إليه الغائص في هذا اللج والسالك لمثل هذا الفج من الفطنة والوقادة والبصيرة النفاذة بدلاً لمسئوله وتحقيقاً لمأموله...²."

فعبارة " عند قراءتها عليّ " توحى بأن الرضي قعد للتدريس وكون حلقات علمية ارتادها بعض التلاميذ.

6- مصنفاته العلمية:

تمتع الرضي بعلم عزيز في العربية مكنه من البحث والتأليف في فروعها، فكانت له مؤلفات ومصنفات متعددة، ولعل من أهم آثاره العلمية التي خلفها وشهدت شهرتها الآفاق:

¹- الرضي الأسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. تح: محمد نور الحسن وآخرون. (بيروت. دار الكتب العلمية. بلا). 378 / 2 ، 379 .
²- الأسترأباضي. شرح الرضي على الكافية. 17 / 1 .

- شرح كافية ابن الحاجب: والكافية مقدمة وجيزة اقتصر فيها صاحبها ابن الحاجب على أبواب النحو، وقد شرحت شروحات كثيرة أشملها وأهمها شرح الرضي.
- شرح شافية ابن الحاجب: وهي مقدمة وجيزة في مسائل الصرف، وفيها كلام عن بعض مسائل الخط، وقد شرحها الرضي أيضاً شرحاً مسهباً ناقداً واستعان عند شرحه المسائل الصرفية بالشواهد والتنظير.

ومن تصانيفه أيضاً:

- حاشية على تجريد العقائد الجديدة والحاشية القديمة.
- حاشية على شرح الجلال الدواني لتهديب المنطق والكلام¹.

7- منزلته العلمية وثناء العلماء عليه:

كان الرضي الاسترلابادي نحويًا، وصرفيًا، ومتكلمًا، ومنطقيًا وقد كانت له ثقافة واسعة تشهد له بها ما زخرت به تضاعيف شرحيه (الكافية - الشافية) فنراه يتطرق إلى إيضاح المعاني اللغوية لبعض الكلمات الغامضة الواردة في الآيات الشعرية التي يستخدمها في الاستشهاد².

ويظهر ذلك أيضاً من خلال شواهد، فالشاهد عند الرضي كان متنوعاً شمل القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والآيات الشعرية، وبعض عبارات الإمام علي - كرم الله وجهه - التي تضمنها كتاب نهج البلاغة.

وبالنظر إلى آراء الرضي النحوية نجده من الذين يعرضون الفكرة مدعمين لكلامهم عليها بالدليل والمناقشة والتحليل. فكثيراً ما نجده يعترض على بعض أفكار وآراء الآخرين فيوجه إليهم النقد الشديد

¹ - كحالة: 9 / 183.

- إسماعيل البغدادي: 134/2.

² - الأسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 77 / 2 ، 87/81، 2 / 124 ، 125/2 ، 128 / 2.

ومن أمثلة ذلك: رفضه كون عطف البيان نوعاً مستقلاً عن البديل¹، كذلك رده علة النحاة في عدم تجويز تقديم التمييز على عامله².

وقد لاقت مصنفات الرضي في علوم العربية قبولاً من العلماء، فالسيوطي قد قرظ شرحه على الكافية بما فيه الكفاية فقال عنه:

"الشرح الذي لم يؤلف عليها بل ولا في غالب كتب النحو مثله جمعاً وتحقيقاً وحسن تعليل وقد أكب الناس عليه وتداولوه واعتمده شيوخ هذا العصر فمن قبلهم في مصنفاتهم ودروسهم..."³.

كذلك نجد صاحب خزانة الأدب في مقدمته يثني على الرضي وشرحه بقوله: " وهو كتاب عكف عليه نحارير العلماء ودقق النظر فيه أمائل الفضلاء وكفاه من المجد والشرف ما اعترف به السيد⁴ والسعد⁵".

كذلك هو الحال مع الشريف الجرجاني الذي أجاز شرح الكافية وبالغ في تقريظه، وأطرى ومدح الشارح بما هو لائق.

وحسبنا تقديراً للرضي علمياً ما خلفه من شرحي الكافية في النحو، والشافية في الصرف اللذان يعتبران من أهم الشروح التي ألفت على متني ابن الحاجب؛ لأنهما لم يتركاً شيئاً من مسائل هذين الفنين إلا أوفياه حقه.

8 - عصره:

أحاط الاختلاف بتاريخ وفاة الرضي، وعلى الرغم من ذلك نعه من أعلام القرن السابع الأفاذ الذين كان لهم جليل الأثر بما قدموه للعربية من خدمة عظيمة، فهو لا يقل عن أشهر النحاة تمكناً ورسوخ قدم في مجال اللغة.

1- الأسترأبأذي. شرح الرضي على الكافية. 111/3.

2- الأسترأبأذي. شرح الرضي على الكافية. 116/2.

3- السيوطي. بغية الوعاة. 567/1.

4- هو علي بن محمد علي الجرجاني المتوفى سنة 816 هـ له حاشية على شرح الرضي للكافية.

5- هو سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، المتوفى سنة 792 هـ.

6- عبدالقادر البغاددي: 3.

وقد عاش الرضي في عصر يغلب عليه من الناحية السياسية الاضطرابات والحروب والفتن، حيث كانت أكثر مدن العالم الإسلامي تحت سيطرة المغول¹، الذين استطاعوا أن يبسطوا نفوذهم على رقعة كبيرة من البلاد امتدت من حدود الهند شرقاً وحتى سوريا غرباً، فسيطروا على بخارى، وسمرقند، وخراسان، ثم توجهوا إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية، فاستطاعوا الاستيلاء عليها في صفر سنة (656 هـ 1256م) بسبب تواطؤ وخيانة الوزير ابن العلقمي، وكان من نتائج ذلك أن قتل الخليفة المستعصم بالله، وحرقت الجوامع والمساجد، وسفكت الدماء حتى جرت في الطرقات²، ويسقوطها سقطت عاصمة الفكر التي ظلت زهاء خمسة قرون مقصداً للعلماء.

ونتيجة لذلك انقسم الشرق العربي إلى قسمين: قسمه الشرقي وهو العراق الذي فقد استقلاله وغدا ولاية مغولية، وقسمه الغربي ويتألف من مصر وسوريا والشام، وقد احتفظ باستقلاله وأصبح الحكم فيه في أيدي طوائف من المماليك الذين يتفرعون من أصول شتى ولكنهم في نهاية الأمر ليسوا عرباً، ولكنهم تعربوا على التدريج واعتنقوا الإسلام وأصبحوا من أكبر حماته³.

واعتداء سلاطين المماليك - وبخاصة الناصر قلاوون - بنشر العلم والمعارف وبناء المساجد، قد هيا القاهرة لتصبح العاصمة الثقافية والفكرية للعالم الإسلامي منذ منتصف القرن السابع.

والرضي كان من الذين تركوا العراق بعد الغزو التتاري واستقر به المقام في المدينة المنورة فألف فيها كتابيه العظيمين شرح الكافية والشافية، حيث يقول في مقدمته على الكافية: "ثم اقتضى الحال بعد الشروع التجاوز عن الأصول إلى الفروع فإن جاء مرضياً فبركات الجناب المقدس الغروي صلوات الله على مشرفه..."⁴.

1 - المغول هم أمم وثنية جاهلة من الجنس المغولي الأصفر ومنهم جنكيز خان ذلك الرجل القوي الشكيمة الذي استطاع أن ينصب نفسه ملكاً عليهم فقادهم من نصر إلى نصر فخضعت لسلطانه الأمم المجاورة ومن أشهر ملوكهم أيضاً هولاكو حفيد جنكيز خان الذي نكبت بغداد على يديه سنة 656.

2 - سعيد عبدالفتاح عاشور. مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك. (بيروت. دار النهضة العربية. بلا). 182.

3 - محمد عبدالمنعم خفاجي. الحياة الأدبية في مصر، العصر المملوكي والعثماني. (بلا. مكتبة الكليات الأزهرية. بلا). 7، 8.

4 - الاسترأبأذي. شرح الرضي على الكافية. 18/1.

فمحقق الكافية يوسف حسن عمر يرى أن الرضي يريد بالجناب المقدس الغروي المكان القريب من قبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أو من قبر الإمام علي ابن أبي طالب - كرم الله وجهه -¹. وفي ظل هذه الأحداث السياسية المضطربة المليئة بالحروب والفتن، عاش عالمنا الجليل الرضي الاسترأبأذي حياته، وألف مصنفاته، علّه يسهم ولو بقدر في إعادة إحياء الثقافة الإسلامية وتخليصها من الركود والجمود الذي أصابها.

9- مذهبه النحوي:

إذا ما أردنا معرفة المذهب النحوي الذي انتمى إليه الرضي الاسترأبأذي نجد أن الآراء قد اختلفت في ذلك، فشوقي ضيف في كتابه المدارس النحوية يرى أن الرضي الاسترأبأذي من العلماء المنتمين إلى المذهب البغدادي حيث نراه يقول: "وانتهاجه نهج البغداديين واضح منذ الصفحات الأولى في شرحه على الكافية إذ نراه يقف تارة مع الكوفيين وتارة أخرى مع البصريين وكثيراً ما يختار ما انفرد به بعض أعلامهما وقد يختار بعض آراء البغداديين..."².

أما محمد طنطاوي فقد عدّه بصري الاتجاه حيث يقول: "هذا الشرح قد جمع بين دفتيه قواعد النحو وأسرارها بابتكار يدل على تعمق في النحو واستكشاف لمخباته وإحاطة بأوابده، ويعجبني منه ولوعه بضم الأنواع في محاولاته التي يعنى فيها بلم أطراف الكلام الذي يراد التقييد له، حتى لا يدع باباً إلا قضى وطر العلم فيه. هذا من ناحية التأليف، أما من ناحية الفن فإنه ليس في شرحه جماعاً، وإنما هو الفيصل، تستحكم الفكرة عنده فيبرزها مدعومة بالدليل النقلي والنظري غير متحيز إلى مذهب خاص من المذاهب الأربعة السابقة وإن كان في الجملة بصري الاتجاه فقد لا يستبعد صوابية مذهب الكوفيين أحياناً إذا صح لديه حكمته..."³.

1 - الاسترأبأذي. شرح الرضي على الكافية. 18/1.

2 - ضيف. المدارس النحوية. 282.

3 - طنطاوي: 245.

ولكن إذا أمعنا النظر في منظومة النحو العربي نجد أن أصول المذاهب النحوية تُوشك أن تكون واحدة والخلاف بينها لم يكن في الأصول ذاتها بل كان في الفروع؛ لأن الأصول التي عول عليها الكوفيون، هي ذاتها التي اعتمدها البصريون¹.

فبالنظر إلى أصول المذهبين الكوفي والبصري نجد أن ثمة رباطاً من وحدة الفكر يصل بينهما فأصولهما تكاد تكون واحدة متقاربة، والخلاف الموجود بينهما قد اقتصر على الفروع ولم يتعداها إلى الأصول. وبهذا يمكننا القول: أن النحو العربي لم يعرف المذاهب النحوية بمعناها العلمي؛ لأنه لم توجد لدينا مقومات المدارس أو المذاهب، ولكنه في الوقت ذاته عرف مدرسة كبيرة واحدة ابتدأها البصريون ومن بعدهم جاء الكوفيون، فالكوفيون لم يأتوا بنحوٍ مغايرٍ لما جاء به البصريون وما وقع بينهما من خلاف في بعض الفروع يدل على مدى حرية التفكير النحوي التي كان لها عظيم الأثر في إغناء النحو وتطوره عبر القرون.

10 - مسلكه من حيث الاستشهاد:

بالنظر إلى الكلام الذي يحتج به نجده قد قسم ثلاثة أقسام هي:

1-القرآن الكريم.

2-الحديث النبوي الشريف.

3-كلام العرب.

فالقرآن الكريم: هو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل إلينا

بها في الأداء والحركات والسكنات.

فهو النص الصحيح المجمع على الاحتجاج والاستشهاد به في اللغة، والنحو، والصرف، وعلوم البلاغة.

¹ - محمد موعد. درس النحوي، أم مدرسة نحوية. (دمشق. دار سعدالدين. 2005). 8-14.
- إبراهيم السامرائي. المدارس النحوية، أسطورة وواقع. (عمان. دار الفكر. 1987). 147، 159.

أما الحديث النبوي الشريف: فالمراد به ما أضيف إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من

قولٍ وبدأ هذا التخصيص في حياته ثم اتسع استعماله بعد وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم - فأصبح

يشمل مع القول الفعل والتقرير¹.

ومما لاشك فيه أن فصاحة النبي لا تضاهيها فصاحة، وأسلوبه في حديثه لا يدانيه أسلوب. يقول

الجاحظ عن الحديث الشريف: "هو الكلام الذي قل عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجل عن الصنعة،

ونُزّه عن التكلف.. استعمل المبسوط في موضع البسط والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب

الوحشي ورجب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلاّ عن ميراث حكمه ولم يتكلم إلاّ بكلام قد حف

بالعصمة، وشيد بالتأييد ويسر بالتوفيق..."².

أما كلام العرب: فيقصد به تلك النصوص المنظومة أو المنثورة المنسوبة إلى قائل موثوق به من

عصر الاستشهاد أو إلى قبيلة من القبائل الموثوق بلغتها.

وبالنظر إلى كتابي الرضي - الكافية والشافية - نجد أن شواهده قد تنوعت بحيث شملت القرآن الكريم

والحديث النبوي الشريف وكلام العرب المعترف بالاحتجاج بهم وأقوال الإمام - علي كرم الله وجهه -.

وفيما يخص الشعر نجد الرضي قد دعم القاعدة بالشواهد الشعرية كما قد ساق القليل منه لمناسبات

معنوية لا علاقة لها بالقواعد³.

وبناءً على ما تقدم ذكره يمكننا القول باطمئنان:

أن الشاهد النحوي عند الرضي قد تنوع فشمّل جميع أنواع الشواهد بالإضافة إلى أنه لم يمنع

الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف متفقاً في ذلك مع ابن مالك الذي استشهد في كتبه بالحديث

النبوي الشريف ضارباً عرض الحائط بكل ما قيل من قبل المانعين بعدم جواز الاستشهاد به، وقد

1 - محمود فجال. الحديث النبوي في النحو العربي. (الرياض. أضواء السلف. 1997). 52.

2 - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. البيان والتبيين. تح: عبدالسلام هارون. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1998). 16، 17.

3 - طنطاوي: 249، 252.

- الأسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 87/2.

وصف البغدادي في خزانته موقف الرضي من الحديث النبوي الشريف فقال: " أما الاستدلال بحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فقد جوزه ابن مالك وتبعه الشارح¹ المحقق في ذلك وزاد عليه بالاحتجاج بكلام أهل البيت رضي الله عنهم²."

وبالنظر أهمية الاستشهاد بالحديث النبوي، ارتأيت أن أتعرض ولو بعجالة للمكانة التي يحتلها الحديث النبوي الشريف وموقف النحاة القدامى من مسألة الاستشهاد به وذلك إتماماً للفائدة.

مكانة الحديث النبوي الشريف:

بدأت عناية المسلمين بالحديث الشريف منذ عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - حيث تضافرت جهود السلف الصالح على التنافس في خدمته، فتمثل ذلك في حفظه والحفاظ عليه والتأكد من صحة سنده وروايته والتثبت ممن تلقاه³.

فتولد عن هذا الاهتمام ما يسمى بعلم الحديث التي تشمل علم الجرح والتعديل، وعلم رجال الحديث، وعلم علل الحديث.

وكما تولد عن هذا الاهتمام أيضاً ظهور كتب الحديث المدونة فكان من أشهرها على الإطلاق موطأ مالك، وكتب الصحاح الستة (البخاري، مسلم، ابن ماجه، أبي داود، الترمذي، النسائي)⁴.

1 - يقصد به شارح الكافية "الرضي الأسترباذي".

2 - عبدالقادر البغدادي: 9.

3 - محمد امحمد بن طاهر. المراتب الزمنية للفعل في اللغة العربية. مركز البحث العلمي لكلية الدعوة الإسلامية. 2010. ص.5.

4 - صالح صافار. الحديث الشريف والنحاة. الساتل. ع. 2007. ص.34.

مواقف العلماء من حيث الاحتجاج بالحديث الشريف:

انقسم علماء اللغة على اختلاف عصورهم الزمنية بين مؤيد لفكرة الاستشهاد بالحديث النبوي ومعارض لها.

فبالنظر إلى أقدم كتب النحو الواردة إلينا أأ وهو كتاب سيوييه، نجده قد استشهد بالحديث النبوي في بضع مواضع لا تتجاوز السبعة أحاديث إذا ما راعينا الرواية بالمعنى.

وكذلك هو الحال لدى المبرد في كتابيه المقتضب والكامل، والعسكري في مسائله¹، وكتابي الشعر والإيضاح فهما لم يكثرا من الاستشهاد بالحديث النبوي، ومن الملاحظ على هؤلاء القدامى أنهم لم يذكروا علة قلة الاستشهاد بالحديث الشريف، الأمر الذي جعل المحدثون يختلفون حولهم فمنهم من جعلهم من المستشهادين ولو بحديث واحد، ومنهم من جعلهم في قائمة المانعين أما المتأخرون من القدامى فقد انقسموا إلى ثلاثة أقسام:

فريق منع الاستشهاد بالحديث النبوي وفريق جوّز ذلك وفريق توسط في الأمر.

11- ما قيل عن تشيعه:

عزا بعض الباحثين السبب في استشهاد الرضي الاسترأبأذي بكلام الإمام علي بن أبي طالب

- كرم الله وجهه- وإطرائه لبلاغته إلى أن الرضي الاسترأبأذي ينتمي إلى مذهب الشيعة.

والشيعة: اسم يطلق على ثاني أكبر طائفة من المسلمين، الذين يرون أن علي بن أبي طالب ونسله من زوجته فاطمة بنت النبي - صلى الله عليه وسلم - هم أئمة مفترضو الطاعة بالنص السماوي، وأن الخلافة حق لهم.

وهم مجموعة من الطوائف منها على سبيل المثال لا الحصر:

¹ - المقصود بالمسائل هي الكتب التي تعني بمسائل اللغة والنحو وهي أربعة: المسائل العسكرية، المسائل البصريات، المسائل العضديات، المسائل المشكلة (البغداديات).

فالعسكرية مقسمة على أربعة أبواب والبصريات عددها 179 مسألة والعضديات 109 مسألة والبغداديات عددها 81 مسألة .

- صافار: 37، 38 .

- ابن طاهر. المراتب الزمنية. 8.

الاثنا عشرية (الإمامية) التي تعد أكبر طوائف الشيعة، الإسماعيلية، الزيدية. ويتفق أصحاب المذهب الشيعي مع أتباع المذهب السني في مدن مقدسة مثل: مكة المكرمة، المدينة المنورة، القدس، وما فيهن من أماكن مقدسة مثل: الكعبة الشريفة، المسجد النبوي، المسجد الأقصى. إلا أنهم ينفردون بأماكن يقدسونها كأضرحة ومرآد أئمتهم ومعصومهم كالنجف وكربلاء والكاظمية. وقد استند هؤلاء الباحثون فيما ذهبوا إليه من كون الرضي شيعياً إلى أنه قد حرص على إبراز هذا الاعتقاد من خلال تمثيله لبعض القواعد ببعض أقوال الإمام علي - كرم الله وجهه - كما اتخذوا من بعض أمثله الواردة في ثنايا كتابيه دليلاً آخر على معتقده ومن الأمثلة التي أصبحت دليل إدانة للرضي قوله: استخلف المرتضى المصطفى كمثل علي جواز تقديم المفعول به على الفاعل عند وجود قرينة معنوية.

ولكن بالنظر إلى آثار الرضي العلمية، نجده عند حديثه عن الإمام علي - كرم الله وجهه - لا يستخدم أسلوب الشيعة المعروف عنهم ألا وهو إتباع اسم الإمام علي بلفظ - عليه السلام -، بل نجده يكتفي بقوله: - رضي الله عنه، وكرم الله وجهه -¹، ويخص اسم النبي بمثل هذا الدعاء، ودليل هذا قوله في مقدمته على الكافية: "الحمد لله الذي جلت آلاؤه على أن تحاط بعدّ، وتعالى كبرياؤه على أن تشتمل بحد... وصلواته على خاتم أنبيائه، ومبلغ أنبائه، محمد بن عبدالله المبشر به قبل ميلاده، وعلى السادة الأطهار من عترته وأولاده"².

وخاتمته على الشافية "الحمد لله رب العالمين وصلاته على سيدنا محمد وعترته الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً..."³.

1 - الأسترأبادي. شرح الرضي على الكافية. هامش 18/1.

2 - الأسترأبادي. شرح الرضي على الكافية. 17/1.

3 - الأسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 334/3.

12- العلماء الذين عاصروه:

نبت في القرن السابع - وهو القرن نفسه الذي عاش فيه الرضي الاسترلابادي - العديد من

العلماء الذين كان لهم شأو عظيم في علوم العربية ولعل من أشهر هؤلاء الأعلام:

1- ابن مالك:

وهو محمد بن عبدالله بن مالك الإمام العلامة الأوحى ولد سنة ستمائة، وقد صرف همهته إلى

إتقان لسان العرب حتى بلغ فيه الغاية، كان إماماً في القراءات وعلماً.

من تصانيفه: الكافية الشافية، الألفية، الخلاصة وهي مختصرات الشافية، إعراب مشكل البخاري،

توفي ابن مالك سنة اثنتين وسبعين وستمائة¹.

2- ابن عصفور:

وهو علي بن مؤمن بن محمد بن علي، العلامة ابن عصفور النحوي الحضرمي الأشبيلي،

حامل لواء العربية بالأندلس، أخذ عن الأستاذ أبي الحسن الدباج ثم عن الأستاذ أبي علي الشلوبين.

ولد سنة سبع وتسعين وخمسائة (597هـ) وتوفي سنة تسع وستين وستمائة (669هـ) بتونس.

من تصانيفه: كتاب الممتع، كتاب المفتاح، كتاب الهلال، شرح الجمل، سرقات الشعراء².

3- ابن يعيش:

وهو يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا أبو البقاء موفق الدين الأسدي، المعروف بابن

يعيش، كان موطن أسرته في الموصل، ثم رحلت أسرته إلى حلب، حيث ولد وتوفي فيها وهو يعد من

كبار العلماء في النحو، والتصريف.

كانت له مجالس في حلب منها مجلسه في جامعها بالمقصورة الشمالية، لازمه الطلاب زمناً حتى شاخ

وهرم ينشر العلم والمعرفة، وقد أجمع مترجموه على أنه كان يملك صفات المعلم الحق فهو لطيف

¹ - محمد بن شاكر الكتبي. فوات الوفيات. (بيروت. دار صادر. بلا). 407/3، 408.

- السيوطي. بغية الوعاة. 130-135.

² - الكتبي: 109/3.

الكلام حسن التفهيم طويل الروح على المبتدي والمنتهي، كما أنه أيضاً خفيف الروح ظريف الشمائل¹، وقد ترك مصنفات أشهرها:

شرح المفصل، شرح الملوكي في التصريف، وهناك كراسة في أربع ورقات أجاب بها عن أسئلة وجهت إليه، وسميت الأجوبة النحوية وكل ما فيها من شرح المفصل².

13 - نبذة عن ابن الحاجب صاحب متن الشافية:

هو أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي، الأسناتي، ولد في أواخر سنة سبعين وخمسائة (570هـ) - بأسنا - وهي بلدة صغيرة من أعمال القوصية بالصعيد الأعلى من مصر³، اشتغل بالقرآن حتى حفظه، وتفقه في الدين على مذهب الإمام مالك، كما تلقى علم القراءات عن الإمام الشاطبي وبرع في الأصول وعلوم اللغة العربية.

وقد لقب بالحاجب لأن أباه كان حاجباً للأمير عزالدين موسك الصلاحي⁴.

ينسب إلى مصر لأنه نشأ وتعلم فيها، وإلى دمشق التي استوطن فيها فترة من الزمان وسمع من علمائها ودرس عليهم.

من أشهر شيوخه :

الإمام الشاطبي⁵: الذي قرأ عليه القرآن ببعض الروايات، وسمع منه الشاطبية.

أبو القاسم البوصيري⁶: الذي سمع منه الحديث وأخذه عنه.

1 - عبد الإله نيهان. ابن يعيش النحوي. (بلا. منشورات اتحاد الكتاب العرب. 1997). 43.

2 - نيهان: 61.

3 - الحنبلي: 339/5.

4 - الحنبلي: 339/5.

5 - الشاطبي: هو أبو محمد القاسم بن فيزّه بن أحمد الشاطبي ولد بشاطبة توفي سنة 590 هـ قرأ ببلده القراءات على أبي عبدالله محمد بن أبي العاص فانتقنها توفي سنة 590 هـ.

6 - البوصيري: محمد بن سعيد البوصيري نسبة لبلدته أبو صير بين الفيوم وبني سويف بمصر له ميمية مشهورة عرفت بالبردة وهي من أشهر المدائح النبوية توفي سنة 695 هـ.

أما عن تلاميذه: فقد تتلمذ على يديه العديد، ولكن من أشهر تلاميذه ابن المنير الذي حاز على إعجاب ابن الحاجب بشكل كبير.

أثنى عليه الكثير فقال عنه ابن خلكان¹: "كان من أحسن خلق الله ذهنأً، وجاءنا مراراً بسبب أداء شهادات وسألته عن مواضع في العربية مشكلة، فأجاب أبلغ إجابة بسكون كثير، وتثبت تام". كما قال عنه ابن دقيق العيد²: "هذا الرجل يسرت له البلاغة فتفيء ظلها الظليل، وتفجرت ينباع الحكمة فكان خاطره يبطن المسيل، وقرب المرمى فخفف الحمل الثقيل"، وقد كان له العديد من المصنفات التي سارت بشهرتها الركبان من أهمها:

1- **الكافية في النحو**: التي اختصر بها ابن الحاجب مفصل الزمخشري، ومن أعظم شروحا

شرح الرضي الاسترأبأذي

2- **الشافية في الصرف**: شملت مسائل في الصرف، والخط، والرسم الإملائي.

3- **الأمالي في النحو**: التي أملاها ابن الحاجب في أماكن مختلفة منها القاهرة، دمشق، بيت

المقدس. وله مؤلفات في الفقه والأصول مثل: مختصر المنتهى.

كما كان له تأليف في علم العروض؛ وهو عبارة عن منظومة من البحر البسيط، سماها المقصد الجليل إلى علم الخليل عدد أبياتها (171). توفي ابن الحاجب بإشبيلية، سنة ست وأربعين وستمائة

(646هـ)، وقد رثاه تلميذه ابن المنير³ بأبيات كتبت على قبره وهي:

1 - ابن خلكان: هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان المؤرخ الحجة الأديب صاحب وفيات الأعيان وهو من أشهر كتب التراجم نبغ في الأحكام والفقه، توفي سنة 681 هـ.

2 - ابن دقيق العيد: هو محمد بن عبدالله بن وهب إلا أن اللقب الذي غلب عليه هو ابن دقيق العيد وهو لقب جده الأعلى الذي كان ذا صيت بعيد ومكانة مرموقة بين أهل الصعيد نشأ في مدينة قوص تخرج على يديه الآلاف من أبناء الصعيد حفظ القرآن الكريم حفظاً تاماً وتفقه على مذهب الإمام مالك على يد أبيه وعلى مذهب الإمام الشافعي على يد البهاء القفطي توفي 702 هـ.

3 - ابن المنير: هو الإمام المفسر الكبير أحمد بن محمد بن منصور ناصر الدين بن المنير المالكي المتوفى سنة 683 هـ علامة الاسكندرية وقاضيها من مؤلفاته البحر الكبير من نخب التفسير - اختصار التهذيب.

ألا أيها المأختال في مطرف العمر

هلم إلى قبر الفقيه أبي عمرو¹

تري العلم والآداب والفضل

والتقى ونيل المنى والعز غيبن في قبر

وتوقن أن لأبد ترجع مرة

إلى صدف الأجدات مكنونة الدر

14 - نبذة عن الشافية:

وهي المصنف القيم موضوع البحث والدراسة، وتدور قضاياها ومسائله حول علم الصرف. بلغت شهرتها الأفاق، مما دفع العديد من العلماء إلى شرحها، فكان من أهم شروحيها شرح ابن الحاجب، وشرح الجابري - أحمد بن الحسن فخرالدين المتوفى سنة 746² - وشرح الرضي الاسترأبأذي، وقد تمت طباعتها عدة مرات منها: طباعة القاهرة (1939) وقد حققها محمد محي الدين عبدالحميد، محمد نور الحسن، في ثلاثة أجزاء، ثم ألحق بها جزءاً رابعاً يتضمن شرح شواهدا للبغدادى، وقد اشتملت الشافية على زيادة فن التصريف، كما اشتملت على بحوث في مخارج الأصوات، وصفاتها، وفي الخط - أي الرسم الإملائي - فلا عجب أن تعتبر بعد كل ذلك من المصادر الأساسية في أية دراسة لغوية³. وقد اعتمد الرضي عند شرحه للشافية، إيراد جزء من متن الشافية لابن الحاجب، ثم يتناوله بعد ذلك بالشرح، والتفصيل، والتمثيل مع إيراد الأقوال الواردة في تلك المسألة، وترجيح أحدها مؤيداً ذلك بالحجة والدليل.

¹ - هذه الأبيات من بحر الطويل.

² - عبدالعزيز عتيق. المدخل إلى علم النحو والصرف. (بيروت. دار النهضة العربية. بلا). 191.

³ - عتيق: 191.

وقد اعتمد الرضي في شرحه على أمهات الكتب، فنراه ينقل عن أهم الأعلام؛ ويذكر آراءهم في بعض المسائل ومن هؤلاء الأعلام: سيويه - الخليل بن أحمد - الزمخشري - ابن مالك¹.
وعلى الرغم مما تمتعت به كتب الرضي من شهرة، إلا أن هذه الشهرة لم تبصر النور وظل مسكوتاً عنها هي وصاحبها حيناً من الزمن، فلا نجد أي ذكر للرضي ومؤلفاته عند اللغويين ممن عاصروه.
فالأشموني المتوفى سنة (929 هـ) لم يذكر الرضي ولو لمرة واحدة في شرحه، مع العلم بأن الأشموني من أولع المؤلفين بجمع المعلومات والقائلين لها في شرحه².
وهنا في هذه الدراسة سيتم اعتماد نسخة الشافية بتحقيق الأستاذ محمد نور الحسن، ومن معه راجية من الله أن يوفقني في ما أنا بصدده.

¹ - الأسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 3/ 77، 65، 57، 52، 50، 9، 8.

² - طنطاوي: 256.

الفصل الثاني

نشأة الدرس الصوتي وتطوره عند العرب

تعتبر دراسة الأصوات أول خطوة في أية دراسة لغوية؛ لأنها تتناول بالدرس والشرح أصغر وحدات اللغة، ونعني بها الصوت الذي هو بمثابة المادة الخام للكلام الإنساني.

وقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية، شهد المحدثون أنها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، بل حتى بالنسبة للعصر الحديث، ويكفي العرب فخراً في مجال الأصوات ما أجمع عليه الباحثون من كون العرب ومعهم الهنود من أقدم الشعوب التي ظهر في تراثها بحث علمي منظم في الميدان الصوتي.

وهذا ما أقره العالمان الغربيان برجشتراسر - وفيرث يقول الأول: "لم يسبق الأوربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند والعرب" ..

ويقول الثاني: "إن علم الأصوات قد نما وشب في خدمة لغتين مقدستين، هما السنسكريتية والعربية"¹.
وعليه؛

فقد حقق العرب منذ القرن الثاني الهجري إنجازات مبكرة في مجال الدرس الصوتي، حيث استطاعوا أن يضعوا أبجدية صوتية للغتهم، كذلك قاموا بوصف الأصوات، ومخارجها مما ينبئ عن عقلية فذة، وحس مرهف في هذا الميدان، وكل هذه الأعمال إنما وجدت في كتب هؤلاء العلماء مختلطة بغيرها من المسائل اللغوية، سواء أكانت نحوية، أو صرفية، أو بلاغية، أو معجمية؛ أي أنها دراسة تتناسب مع حاجة الموضوعات التي كانوا يعالجونها، ولا تتصف بالشمولية والاستقلال².

1 - أحمد مختار عمر. البحث اللغوي عند العرب. (القاهرة. عالم الكتب. 1988). 114، 93.
2 - غانم قدور الحمد. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. (بغداد. مطبعة الخلود. 1986). 47، 48.

فالنحاة قد خصصوا بعض الأبواب في كتبهم لهذه الدراسة، واعتبروها تمهيداً لدراسة ظاهرة الإدغام، والإبدال، والإعلال، كذلك هو الحال مع أصحاب المعاجم الذين أولوا اهتماماً بالدرس الصوتي، خاصة في تلك المعاجم التي رُتبت ترتيباً صوتياً.

وقد أسهم علماء التجويد، والقراءات القرآنية، والإعجاز القرآني، بتزويدنا بمعلومات صوتية ذات قيمة عظيمة، خاصة فيما يتعلق بتنافر الأصوات وتآلفها¹.

ولعل أول من أفرد المباحث الصوتية بمؤلف مستقل، ونظر إليها على أنها علم قائم بذاته ابن جني في كتابه "سر صناعة الإعراب"، وبهذا يكون الدرس الصوتي عند العرب قد تطور بشكل ملحوظ، رغم اختلافهم في زاوية النظر إليه فكل عالم تناول الأصوات بمنظوره الخاص.

¹ - عمر. البحث اللغوي. 93 - 112.

أهم العلماء الذين أسهموا في نشوء الدرس الصوتي وتطوره:

حفظ تراثنا العربي أسماء الكثير من العلماء الذين أسهموا في إرساء قواعد الدرس الصوتي،

من خلال دراساتهم النحوية، والصرفية، والأدبية، والمعجمية، ولعلّ من أشهر هؤلاء:

1- أبي الأسود الدؤلي (69 هـ):

كان أول من فكر في وضع حركات يضبط بها الرسم القرآني، حيث يروي عنه المبرد أنه قال:

"ابغوا لي رجلاً وليكن يقناً فطلب الرجل فلم يوجد إلا في عبد القيس فقال أبو الأسود: إذا رأيتني لفظت

الحرف فضمت شفتي فاجعل أمام الحرف نقطة فإذا ضمت شفتي بغنة فاجعل نقطتين فإذا رأيتني قد

كسرت شفتي فاجعل أسفل الحرف نقطة فإذا كسرت شفتي بغنة فاجعل على الحرف نقطتين فإذا

رأيتني قد فتحت شفتي فاجعل على الحرف نقطة فإذا فتحت شفتي بغنة فاجعل نقطتين"¹.

نصر بن عاصم الليثي (89 هـ) ويحيى بن يعمر (129 هـ):

ويرجع لهما فضل وضع الإعجام، وجعل عملية القراءة أيسر وأسهل؛ وذلك بدفع اللبس

الموجود في نطق الحروف التي يجمعها رسم إملائي واحد.

2- الخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ)²:

هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليماني، المكنى بأبي عبدالرحمن،

من أئمة اللغة العربية والأدب، وواضع علم العروض، ولد ومات بالبصرة وهو أستاذ سيبويه النحوي،

أخذ النحو عنه وإلى جانبه نفر من العلماء مثل: النصر بن شمیل، الأصمعي³.

¹ - رمضان عبدالنواب. فصول في فقه اللغة. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1987). 113، 114 .

² - أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تح إحسان عباس. (بيروت. دار صادر. بلا). 248/2.

³ - السيوطي. بغية الوعاة. 557/1 - 560.

- خير الدين الزركلي. الأعلام. (بيروت. دار العلم للملايين. 1997). 314/2.

في حين أخذ هو عن أبي عمرو بن العلاء¹، وعيسى بن عمر التقفي²، ويعد الخليل من أهم أعلام المذهب البصري، وقد قام هذا العالم بترتيب معجمه العين ترتيباً صوتياً، وعمل له مقدمة تناول فيها أصوات اللغة العربية، وحدد مخارجها وصفاتها.

هذه المقدمة تعد أقدم مادة صوتية تصل إلينا من ذلك العصر؛ وإليه - أي إلى الخليل بن أحمد - يرجع فضل وضع الترتيب الصوتي، الذي اتبع بعد ذلك في ترتيب مادة معجم لغوية أخرى مثل: تهذيب اللغة، المحكم، المحيط الأعظم.

وقد قسم الخليل جهاز النطق إلى ثمانية مخارج، كما عدّ حروف العربية تسعة وعشرين حرفاً منها خمسة وعشرون حرفاً لها أحياز ومدارج وأربعة يقال لها جوف.

وبفضل عبقريته أيضاً في المجال الصوتي، وضع رمز الهمزة وهو عبارة عن رأس عين صغيرة وهذا ينبئ عن حسه المرهف بالعلاقة الوثيقة التي تربط بين هذين الصوتين، فكلاهما ينسب إلى المخرج الحلقى.

3- سيبويه (180هـ):

هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، المكنى بأبي بشر، إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو، ولد في إحدى قرى شيراز وقدم البصرة فلزم الخليل حتى وفاته، صنف كتابه المسمى كتاب سيبويه في النحو.

رحل إلى بغداد فناظر هناك الكسائي، ثم عاد إلى الأهواز فتوفى بها، وقيل وفاته وقبره بشيراز³.

وقد أتم سيبويه ما بدأه الخليل في ما يتعلق بالدرس الصوتي، عندما ابتدأ حديثه عن الإدغام - وهو موضوع صرفي شديد الصلة بالدرس الصوتي - بعرض مقدمة صوتية اشتملت على عدد الحروف

1 - هو أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني التميمي البصري أحد القراء السبعة كما أنه أيضاً من أهم أئمة النحو.

2 - هو أبو عمرو عيسى بن عمر التقفي النحوي البصري نزل في تقيف فنسب إليهم كانت بينه وبين أبي عمرو بن العلاء صحبه ولهما مسائل ومجالس، روى القراءات عنه أحمد بن موسى اللؤلؤي وهارون بن موسى النحوي والأصمعي والخليل بن أحمد له كتاب في النحو سماه الجامع. ابن خلكان: 486/3.

3 - الزركلي: 81/5.

العربية الأصلية منها والفرعية بنوعها المستحسنة والمستهجنة، ثم تناول مخارج الأصوات الأصلية وصفاتها، فبين عدد المخارج، والحروف المنتمية إلى كل مخرج، وقد بلغ عدد المخارج عنده ستة عشر مخرجاً.

وبناءً على هذا فإن كتاب سيبويه يعد مرجعاً أساسياً لا غنى لأي دارس أو باحث في المجال الصوتي عنه، لما احتواه من معلومات قيمة، كان لها الفضل في إرساء دعائم هذا العلم الجليل

4- الجاحظ (255هـ):

وإسهامات هذا العالم الجليل في مجال الدرس الصوتي كبيرة وواضحة، تظهر جلية من خلال تصفحنا لكتابه البيان والتبيين عند حديثه عن الفصاحة والبلاغة، ولعل من أبرز الأمثلة الصوتية التي وردت في تلك الموسوعة الأدبية: التعرض لعيوب النطق سواء أكانت ناتجة عن سرعة، أو سبب عضوي، أو لثغة، أو لكنة أعجمية.

وقد أطلق الجاحظ على العيوب الناتجة عن السرعة اسم (اللف) وعرفه بأنه إدخال المتكلم الكلام بعضه في بعض، كذلك تعرض الجاحظ إلى نسج الكلمة العربية، وأشار إلى بعض الحروف التي لا تجمع مع بعضها في بناء كلمة واحدة، كما أشار أيضاً إلى أن هناك بعض الحروف يكثر استعمالها أكثر من غيرها في نسج الكلمات مثل (اللام - الياء - الألف - الراء)، وقد كانت وسيلة الجاحظ لمعرفة هذا الأمر هي تتبع خطب ورسائل عدد من الناس، وحصر ما فيها من حروف للتوصل إلى مراده¹.

وقد كان لحديث الجاحظ عن عيوب النطق أصداً لدى علماء اللغة المحدثين، فهم أيضاً قد أفردوا مساحات خاصة من بحوثهم اللغوية للحديث عن أمراض الكلام وعلاجها، فجعلوها من أهم المجالات

¹ - عمر. البحث اللغوي. 98 - 100.

المشتركة التي يعمل فيها الطبيب النفسي وعالم اللغة، وقد قسم هؤلاء الباحثون اضطرابات الكلام وعيوب النطق إلى قسمين هما:

1. عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب أو عوامل عضوية.

2. عيوب ترجع العلة فيها إلى أسباب وظيفية.

والقسم الأول منها يظهر نتيجة لوجود عيوب في الجهاز الكلامي أو السمعي، كالتلف أو التشوه أو سوء التركيب أو النقص في المقدرة الفطرية العامة (الذكاء).

أما القسم الثاني فأسبابه ترجع إلى أن قدرة الفرد على التعبير تكون متأثرة بعوامل غير عضوية مما يتسبب في اضطرابات عدة تختلف من حيث نوعها وشدتها.

وقد وجدت دراسات تناولت عيوب النطق الناتجة عن عيوب خلقية صغيرة، أو ناتجة عن عدم توفر البيئة المناسبة لاكتساب اللغة، ومن أهم هذه الدراسات ما يتصل بأنواع اللثة كالفأفة والتأتأة ونطق الراء لأمأ أو ياءً أو غيناً¹.

5- ابن جني (392 هـ):

هو عثمان بن جني الموصلي النحوي المكنى بأبي الفتح، من أئمة الأدب والنحو، برز هذا العالم اللغوي الكبير في القرن الرابع الهجري، أخذ عن أبي علي الفارسي ولازمه، وكانت له العديد من المصنفات مثل كتاب الخصائص، والكافي في شرح القوافي، والمذكر والمؤنث²، و المحتسب، وسر صناعة الإعراب، الذي يعد أول مؤلف خاص بالمباحث الصوتية؛ فابن جني من خلاله نظر إلى الأصوات على أنها علم قائم بذاته، واستعمل للدلالة عليها مصطلحاً لا نزال نستعمله حتى الآن ألا وهو (علم الأصوات).

¹ - محمد حسن عبدالعزيز. مدخل إلى علم اللغة. (بلا. مكتبة الشباب. 1992). 104-107.

² - الحنبلي: 273/3.

- الزركلي: 204/4.

- السيوطي. بغية الوعاة. 132/2.

وقد اعتبر ابن جنى الرائد في هذه الدراسة دون منازع وذلك بسبب مؤلفه هذا وما احتواه من مباحث صوتية، مثل عدد حروف الهجاء، وترتيبها ووصف مخارجها وبيان صفاتها.

ولم تقتصر الدراسة الصوتية عند ابن جنى على ما جاء في هذا الكتاب، وإنما نجده قد عقد بابين في خصائصه الأول منهما تحت عنوان: (تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني)، والثاني (أساس الألفاظ بأشباه المعاني) تعرض من خلالهما إلى ما يمكن أن يكون للأصوات من أثر في الدلالة.

6- ابن سينا (428 هـ):

هو الحسين بن عبدالله بن سينا الفيلسوف، الرئيس، أصله من بلخ ومولده ببخارى¹ التي نشأ وتعلم بها، ثم بعد ذلك طاف البلاد وناظر العديد من العلماء، مما ساعده على اتساع مداركه، حاز العديد من العلوم كالطب، والمنطق، والطبيعات، ساعده على ذلك ذكاؤه الخارق وذهنه الثاقب.

تجاوزت مؤلفاته المائة بين كتب مطولة ورسائل مختصرة لعل من أهمها:

كتاب الشفاء في الحكمة، كتاب النجاة، كتاب القانون، ومن رسائله: رسالة حي بن يقظان، رسالة الطير، رسالة أسباب حدوث الحروف التي تعد من الأعمال المنضوية تحت لواء الدرس الصوتي، وقد قسمها ابن سينا إلى ستة أقسام هي:

1- في سبب حدوث الصوت.

2- في سبب حدوث الحروف.

3- في تشريح الحنجرة.

4- في الأسباب الجزئية لحرف حرف من حروف العرب.

5- في الحروف الشبيهة بهذه الحروف وليست في لغة العرب.

¹ - الحنبلي: 393/3 - 395.

6- في أن هذه الحروف من أي الحركات غير النطقية قد تسمع¹.

وقد عالج ابن سينا الأصوات من حيث سبب تكونها فرأى أن لحدوث الصوت علة قريبة وهي تموج الهواء ولهذا التموج علتان هما القرع والقلع².

كما تحدث عن ترتيب الحروف وعددها، ومما يحسب لابن سينا في مجال الدرس الصوتي اهتداؤه إلى وجود اهتزاز يصاحب نطق بعض الأصوات، كالزاي والذال وهو ما عُبر عنه بصفة الجهر، وقد عزا ابن سينا هذا الاهتزاز إلى اللسان، أو سطح الحنك³.

وقد تمكن ابن سينا لكونه طبيباً أن يخصص في رسالته فصلاً عن تشريح الحنجرة، فذكر الأعضاء والغضاريف التي تتكون منها، وقد استخدم ابن سينا بعض المصطلحات الخاصة به للتعبير عن إنتاج الصوت، منها على سبيل المثال: مصطلح المحبس بدلاً من المخرج كذلك استعماله مصطلحي (مفردة - مركبة) في مقابل مصطلحي (الشديدة - والرخوة) المستعملة لدى من قبله من العلماء.

أما فيما يخص العلماء المحدثون في العصر الحاضر، فقد انكب كثير منهم على دراسة علم الأصوات، وقد كانوا في ذلك ثلاثة فرق:

- فريق تأثر بما جاء به علماء العرب السابقون، ولم يتجاوزوه.

- فريق تأثر بما قدمه علماء الغرب في الدرس اللغوي الحديث، ولم ينتفع بالتراث العربي في علم الأصوات.

- فريق ثالث جمع بين الأمرين فأفاد من مناهج الغربيين الحديثة وأخذ من الجهود التي توصل إليها أسلافه.

ومن الأسماء التي لمعت في ميادين الدراسة الصوتية في هذا العصر:

1 - أبو علي الحسين بن سينا. أسباب حدوث الحروف. (القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية. 1978). 7.

2 - ابن سينا: 7.

3 - عمر. البحث اللغوي. 112.

إبراهيم أنيس (الأصوات اللغوية)، محمود السعران (علم اللغة)، تمام حسان (مناهج البحث في اللغة)،
كمال بشر (علم اللغة العام)، أحمد مختار عمر (دراسة الصوت اللغوي)، رمضان عبدالنواب (فصول
في فقه اللغة).

أعضاء الجهاز النطقي:

قبل الولوج في ذكر مخارج الأصوات العربية وعددها عند العلماء، يجب علينا التتويه إلى أنه لا يوجد لدى الإنسان جهازاً خاصاً بالنطق وإنتاج الكلام، وإنما توجد مجموعة من الأعضاء، لها وظائف حيوية أخرى تتضافر فيما بينها لإنتاج الصوت الإنساني، ومن الأدوار الأساسية التي يؤديها الجهاز النطقي، ولها علاقة وطيدة بدورة الحياة لدى الإنسان، تلقي الطعام وطحنه وتحريكه داخل الفم، ويقوم بهذه الوظيفة كل من الشفتين، والأسنان، واللسان، كذلك تكييف الهواء الداخل إلى الحنجرة والرئتين وتنقيته بواسطة الأنف والتجويف الأنفي، في حين يعد الحلق ممراً للطعام وللغذاء في أن واحد، والقصبه الهوائية تقوم بتوصيل هذا الهواء إلى الرئتين في عملية الشهيق، وإخراجه في عملية الزفير، أما وظيفة الرئتين فتتمثل في إمداد الجسم بالأكسجين اللازم للحياة، وبذلك يكون إطلاقنا على هذه الأعضاء اسم الجهاز النطقي من باب التجوز لا أكثر.

والجهاز النطقي يتكون من أجزاء ثابتة وأخرى متحركة، حيث يسمى المصوت القابل للحركة - لكونه يتحرك تجاه مصوت ثابت - بالمصوت الإيجابي، في حين يسمى المصوت الثابت - لكونه يبقى بلا حراك - بالمصوت السلبي، وبالنظر إلى النوعين معاً نجد أن المصوتات السلبية تتصل بالفك العلوي الذي لا يتحرك، في حين تقع معظم المصوتات الإيجابية على الجانب الأسفل من القناة النطقية أو على قاعدتها¹.

والأجزاء الثابتة في الجهاز النطقي هي:

1- الأسنان العليا.

2- اللثة.

3- الحنك الصلب.

¹ - ديفيدا بركرومبي. مبادئ علم الأصوات العام. تر: محمد فتوح. (بلا. مطبعة المدينة. 1988). 69، 70.

4- جدار الحلق.

5- التجوييف الأنفي.

أما المتحركة فهي:

1- الشفتان.

2- اللسان.

3- الحنك الرخو (الطبق).

4- اللهاة.

5- الأسنان السفلى.

6- الوتران الصوتيان.

7- الرئتان.

ويعتبر ابن جنى أول من عرض لجهاز النطق الإنساني في كتابه سر صناعة الإعراب، فشبّهه بالناي وبوتر العود؛ وذلك ليقدم صورة عن العملية الطبيعية لإنتاج الكلام، وليوضح تقسيم الأصوات حسب المخارج¹.

ومما يجدر الإشارة إليه هنا هو أن جهاز النطق عند جميع البشر واحد، وبالتالي يستطيع الإنسان نطق أصوات أية لغة، ولكنه يحتاج قبل ذلك إلى تطويح وتمرين جهاز النطق عنده. وعلماء العربية منذ الخليل وسيبويه قد أوردوا في أثناء حديثهم عن مخارج الأصوات معظم أسماء أعضاء النطق التي تتمثل في:

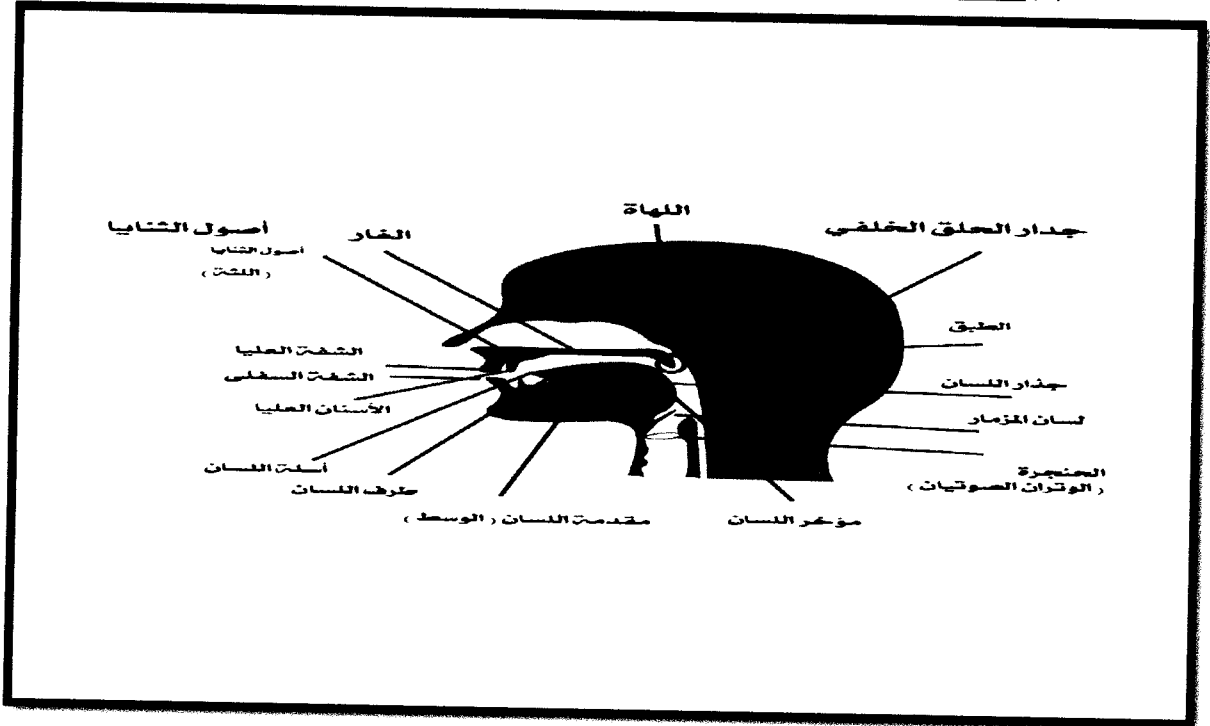
1. الرئة

2. القصبة الهوائية

¹ - عبده الراجحي. فقه اللغة في الكتب العربية. (الاسكندرية. دار المعرفة. 1990). 133.

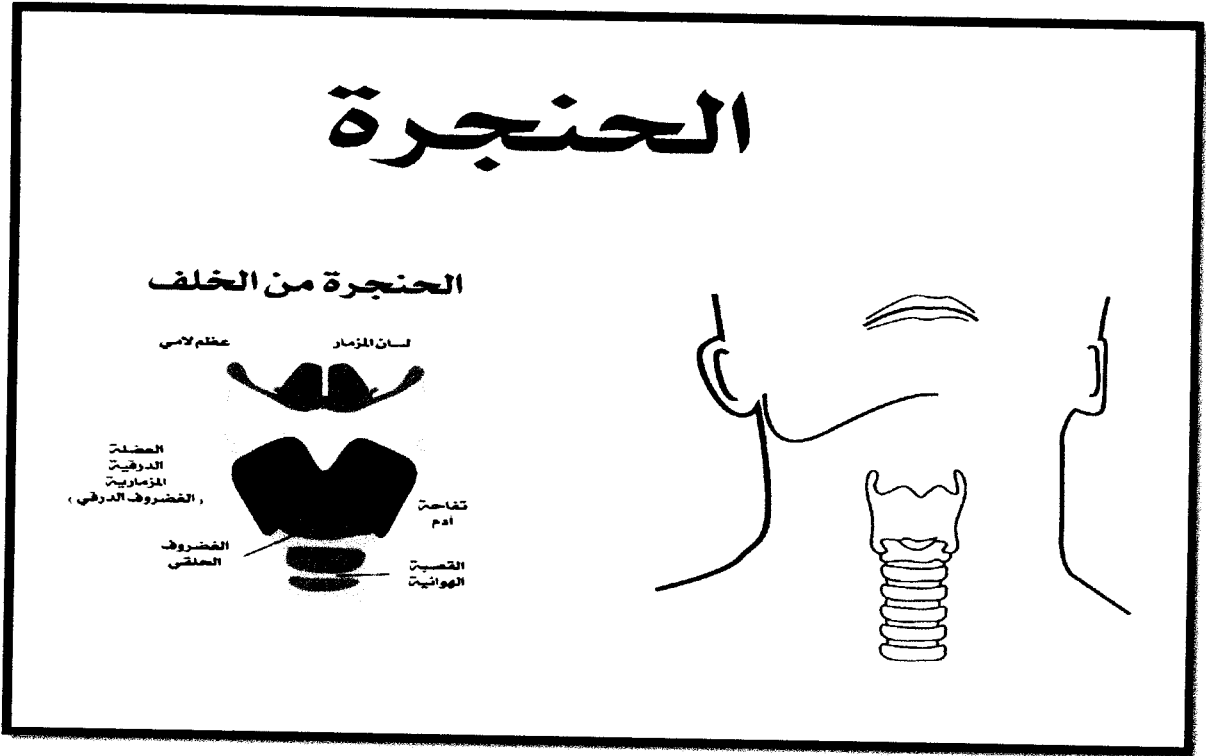
3. الحنجرة
4. الوتران الصوتيان
5. الحلق
6. اللهاة
7. الحنك اللين (الطبق)
8. الحنك الصلب (الغار)
9. التجويف الأنفي
10. اللسان وأقسامه
11. اللثة
12. الأسنان
13. الشفتان

شكل (1) يبين الجهاز الصوتي والأعضاء التي تشترك في عملية النطق¹

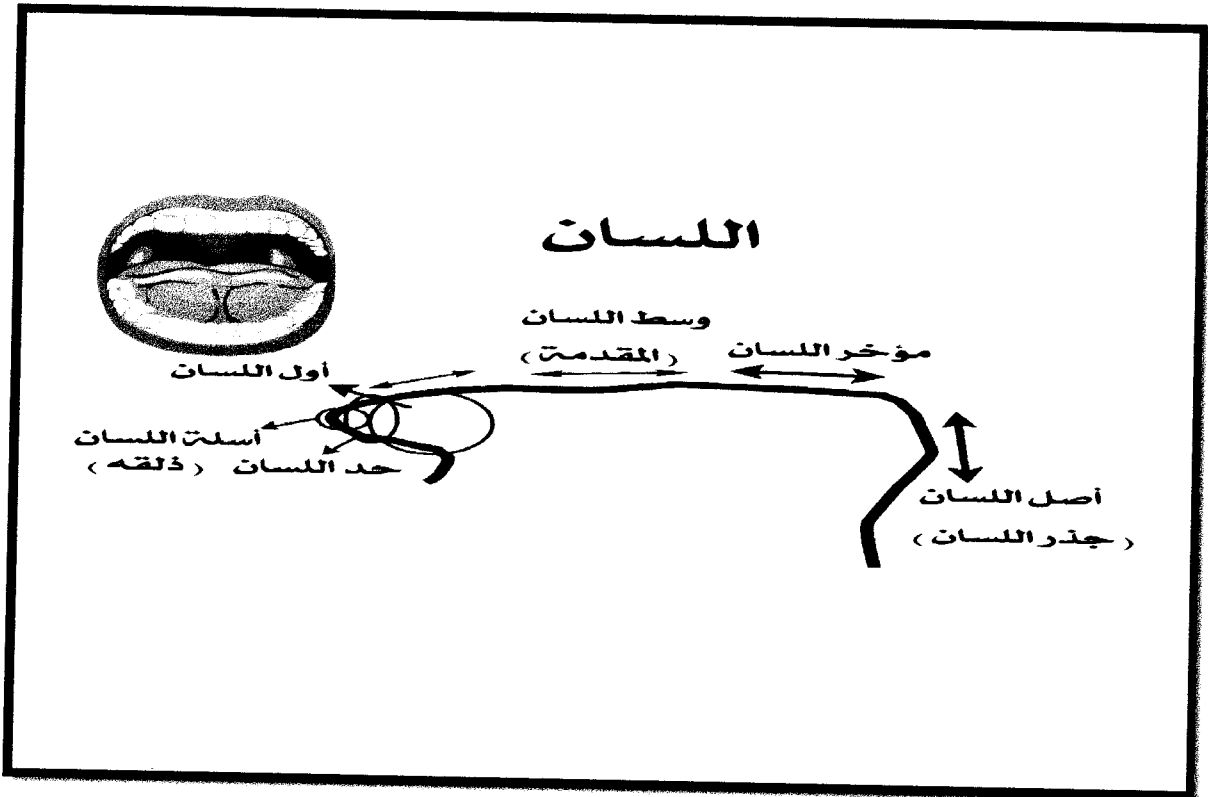


¹ - محمد امحمد بن طاهر، موسوعة الأصوات العربية الإلكترونية. (2011).

شكل (2) يبين تركيب الحنجرة



شكل (3) يبين اللسان وأجزأؤه¹



¹ - ابن طاهر. موسوعة الأصوات العربية الإلكترونية. (2011).

نظرية الفونيم في الدرس الصوتي الحديث:

الفونيم: كلمة تتردد كثيراً في علم الصوتيات وهي كلمة ليست بعربية؛ بل هي - أي الفونيم - كلمة أجنبية بمعنى الصوت الكلامي، كونه واقعة صوتية؛ استعملها العلماء في بحوثهم ونظرياتهم، ومن هؤلاء العلماء العالم الفرنسي دي سوسير الذي استعملها في نظريته البنائية اللسانية، وطبقها على الفونولوجيا¹.

ونظرية الفونيم تعتبر من أهم النظريات التي تُدرس في علم الأصوات والتي اعتمدها اللسانيات المعاصرة في تحليل التراكيب اللغوية، وقد ظهرت هذه النظرية في أواخر القرن الثامن عشر، ثم انتشرت على مر القرنين التاليين مع مرحلة رواد الفونولوجيا من فرنسا عام 1873 إلى العالم الأوروبي، وهذه النظرية اختلف حولها العلماء اختلافاً كبيراً فمنهم من يؤيدها ومنهم من عارضها ورفضها.

ويمكننا القول: إنه ربما لم يختلف حول أي نظرية من نظريات علم اللغة كما اختلف حول نظرية الفونيم؛ حيث لاقت هذه النظرية تطرفاً كبيراً من حيث تأييدها والدفاع عنها، أو الهجوم عليها والانتقاص منها².

أما فيما يخص تعريف الفونيم فإنه قد وجدت العديد من التعريفات التي وضعها العلماء للفونيم كل حسب منهجه وطريقته فمن هذه التعريفات ما تناول الفونيم من الناحية العقلية، في حين عرفه آخرون من الناحية الوظيفية، ومنهم من نحى بفكرة الفونيم منحى تجريدياً³، ولعل أفضل تعريف وضع للفونيم هو:

أنه أصغر وحدة صوتية غير قابلة للتجزئة.

¹ - عبدالقادر عبدالجليل. علم اللسانيات الحديثة. (عمان. دار الصفاء للنشر 2002). 303.

² - أحمد مختار عمر. دراسة الصوت اللغوي. (القاهرة. عالم الكتب. 1991). 165.

³ - عبدالقادر عبدالجليل. التنوعات اللغوية. (عمان دار الصفاء للنشر. 1997). 31، 32.

أو:

هو أصغر وحدة صوتية تفرق بين المعاني.

مثل: جَلَب - حَلَب

فالجيم والحاء هما اللذان يفرقان بين معنى التركيب الأول والتركيب الثاني.

ولعل التعريف الثاني للفونيم هو الذي قادنا إلى نقاش نقطة مهمة وهي مكونات الفونيم، فالعلماء منهم من نظر إلى الفونيم على أنه كل موحد غير قابل للتجزئة، ومن هؤلاء العالم الروسي (Sidorov) أما غالبيتهم فهم يرون أن الفونيم عبارة عن أسرة أو مجموعة أو وحدة صوتية تجمع تحتها متعددات يمكن تحليلها إلى عناصر، وقد اختلفت وجهات النظر في نوع هذه العناصر بين العلماء مما أسفر عن وجود اتجاهين رئيسيين هما:

- أن مكونات الفونيم هي أصوات، والفونيم على هذا الاتجاه أشبه بالنوع الذي يجمع تحته أفراد، وهذا الرأي أكثر أنصاراً، ويمثله العالم اللغوي دانيال جونز الذي يحلل الفونيم إلى أفراد وأعضاء تسمى ألفونات أو تنوعات مشروطة، ويسميا البعض بالمتغيرات السياقية وذلك لتحكم السياق الصوتي فيها أو بالمتغير غير الوظيفي وذلك لعدم تأثيره في المعنى¹.

- أن مكونات الفونيم هي ملامح صوتية مميزة أو تجمعات من الخصائص النطقية، والفونيم على هذا أشبه بالفرد من أفراد النوع الذي يحوي من الصفات العامة المشتركة ما يضمه إلى شكله، كما يحوي عدداً من الخصائص الفردية المميزة له عن غيره.

وعلى هذا فإن أصحاب هذا الرأي يعرفون الفونيم على أنه:

تجمع من الملامح التمييزية مثل: الجهر والوقف والأنفية والاحتكاك².

وينقسم الفونيم في اللغة العربية إلى قسمين هما:

¹ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 308.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 183 - 188.

1. الفونيمات التركيبية:

وهي المتكونة من أربعة وثلاثين فونيماً تركيبياً مقسمة كآآي:

(أ) ستة وعشرون فونيماً للصوامت.

(ب) ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة.

(ج) ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة.

(د) فونيمان لأنصاف الصوامت.

والفونيمات من النوع الأول (الصوامت) تم تقسيمها إلى فئات حسب اعتبارات ثلاثة هي:

- طبيعة الانتقال الاهتزازي للوترين الصوتيين.

- هيئة المخارج النطقية.

- كيفية مرور الهواء.

وسياتي الحديث عنها بشيء من التفصيل في الورقات الآتية آخذة بالاعتبار التقسيمات الثلاثة أنفة الذكر.

2. الفونيمات فوق التركيبية:

وتسمى أيضاً بالثنائية أو غير الأساسية كما يسميها بعض اللسانيين بالفونيمات التطريزية أو

التحبيرية¹ وتشمل أربعة أنواع هي:

(1) المقطع:

وهو أحد أنواع الفونيمات فوق التركيبية، التي لم يعرض لها الدرس الصوتي القديم بمثل هذه

الصورة الموجودة لدينا الآن في الدرس الصوتي الحديث، وإنما عرض إلى شيء يشبه المقطع ونظامه،

عند دراسته لعلم العروض وتقطيع الشعر إلى تفعيلات التي هي بمثابة الوحدة الإيقاعية له.

¹ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 308.

حيث أنبني النظام العروضي في الشعر العربي على ما يعرف بالأسباب والأوتاد (الخفيفة والثقيلة - المجموعة والمفروقة).

وتعتبر دراسة المقطع في الدرس الصوتي الحديث من أهم المباحث المجددة، كما أنها لها دور كبير في تفسير الكثير من الظواهر اللغوية وخاصة الصرفية¹ وسنلاحظ هذا عند تناولنا للظواهر الصوتية الصرفية عند ابن الحاجب وشارحه الرضي، وقد وجدت العديد من التعريفات للمقطع منها على سبيل المثال لا الحصر:

1. المقطع الصوتي: هو كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف

عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة².

2. المقطع الصوتي: هو تركيب يتألف من سلسلة من الوحدات الصوتية المميزة أو من وحدة

صوتية مميزة واحدة على الأقل³.

3. المقطع: قطاع من سلسلة التيار الكلامي يشمل على صوت مقطعي أعظم يحيطه قطاعان

ضعيفان من الناحية الصوتية⁴.

4. المقطع: وحدة من عنصر أو أكثر يوجد خلالها نبضة صدرية واحدة: قمة إسماع أو بروز.

5. المقطع: الوحدة الأساسية التي يؤدي الفونيم وظيفة داخلها⁵.

6. المقطع: هو تأليف أصواتي بسيط، يتكون منه - واحداً أو أكثر - كلمات اللغة، متفق مع

إيقاع التنفس الطبيعي، ومع نظام اللغة في صوغ مفرداتها ومن شروطه أن يبدأ بصامت

واحد، وأن يثنى بحركة⁶.

1 - عبدالجليل. علم اللسانيات. 350.

2- رمضان عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1985). 101.

3 - محمد منصف القماطي. الأصوات ووظائفها. (طرابلس. منشورات جامعة طرابلس. 1986). 148.

4 - عبدالجليل. علم اللسانيات. 351.

5 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 285، 286.

6 - برتيل مالمبرج. علم الأصوات. تر: عبدالصبور شاهين. (بلا. مكتبة الشباب. بلا). 164.

ويتكون المقطع في اللغة العربية من ثلاثة أجزاء تختلف باختلاف درجة التوتر في العضلات

الخاصة بعملية إنتاج الصوت وهذه المكونات هي:

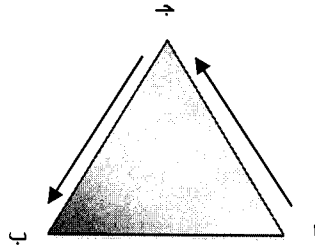
1. البادئة: وهي الصامت أو مجموع الصوامت التي يبدأ بها المقطع.

2. القمة: وهي التي تمثل جوهر المقطع، وعادة ما تكون الصائت الذي يمثل ذروة الإسماع في

المقطع وعليها يقع النبر.

3. الخاتمة: وهي الصامت أو مجموع الصوامت في نهاية المقطع.

والشكل الآتي يوضح الأقسام الثلاثة التي يتكون منها المقطع



حيث يمثل الخط أ - ج التوتر المتصاعد، حيث تكون النقطة أ ممثلة لابتداء التوجه المتصاعد نحو

الارتكازية (النواة) ج التي تترجع على قمة الإسماع العليا، أو نقطة الذروة، في مسار التوتر، بينما

يمثل الخط ج - ب التوتر المتناقص أو التنازلي، حيث تبدأ التوترات المصاحبة لنبضة صدرية واحدة

بالتلاشي حتى تستقر هادئة عند النقطة ب أما النقطة أ - ب فإنها تمثل خط الاتصال بين المرسل،

والمرسل إليه¹.

والمقاطع الصوتية نوعان:

1. المقطع المفتوح: وهو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل.

2. المقطع المغلق: وهو الذي ينتهي بصوت ساكن².

¹ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 353.

² - إبراهيم أنيس. الأصوات اللغوية. (القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية. 1987). 159، 160.

وبالنظر إلى نظام المقطع في اللغة العربية نجد أنه قد اشتمل على النوعين معاً - المقطع المفتوح، والمقطع المغلق - وإن كانت اللغة العربية إلى المقاطع المغلقة أميل.
وتنقسم المقاطع المفتوحة والمغلقة إلى خمسة أنواع من المقاطع هي التي يعول عليها في بناء النسيج الكلامي للغة العربية وهذه المقاطع هي:

1. مقطع قصير مفتوح ويرمز له بالرمز (ص ح).
2. مقطع طويل مفتوح ويرمز له بالرمز (ص ح ح).
3. مقطع طويل مغلق بحركة قصيرة ويرمز له بالرمز (ص ح ص).
4. مقطع طويل مغلق بحركة طويلة ويرمز له بالرمز (ص ح ح ص).
5. مقطع زائد في الطول ويرمز له بالرمز (ص ح ص ص)¹.

(2) النبر:

لم تستخدم اللغة العربية النبر كفونيم، بمعنى أنها تستخدمه كملح تمييزي.
ولكن هذا لا يعني عدم وجود النبر في اللغة العربية، فهو موجود فيها ولا تكاد تخلو منه أية لغة، وإنما الفرق الوحيد بين اللغات يكمن في استعماله كملح تمييزي من عدمه².
والذي يدل على أن النبر موجود في العربية ومنذ القدم أن ابن سينا قد أشار إليه في رسالته أسباب حدوث الحروف عند حديثه عن تكون صوت الهمزة فقال: "أما الهمزة فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير"³.
فكلمة الهمز قد استخدمتها العرب للدلالة على النبر، وهذا يعد من الصواب لأن الهمز ما هو إلا الضغط، والنبر كذلك عبارة عن ضغط وارتكاز⁴.

1 - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 102.

2 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 357.

3 - ابن سينا: 16.

4 - عبدالجليل. علم اللسانيات. 361.

وهناك درجات وأنواع من النبر قد أشار لها الأصواتيون المحدثون انطلاقاً من مبدأ الوضوح السمعي والبروز والارتكاز ولعل أكثر هذه الأنواع شيوعاً هو:

1. النبر القوي أو النبر الأولي ويرمز له (^).

2. النبر المتوسط أو النبر الثانوي ويرمز له (-).

3. النبر الضعيف ويرمز له (w)¹.

أما فيما يخص الموقع الذي يقع عليه النبر فهو يعتمد اعتماداً كلياً على عدد مقاطع الوحدة الدلالية، فهناك علاقة قوية بين النبر وطول المقطع، فالكلمة التي تتألف من مقطع واحد، يقع النبر فيها على نواة المقطع، ويكون هذا النبر من النوع الأول وهو النبر القوي، في حين يقع النبر القوي في الكلمة المكونة من مقطعين على المقطع الأول، ويأخذ المقطع الثاني نبراً ضعيفاً.

كذلك هو الحال مع الكلمة المكونة من ثلاثة مقاطع فإن النبر القوي يقع على المقطع الثاني، وتأخذ بقية المقاطع نبراً ضعيفاً².

هذا فيما يتعلق بنبر المفردات أما ما يخص نبر الجمل فإن الأمر مختلف تماماً، حيث تتكون الجملة في العربية وفق أغراض ومقاصد المتكلم لتأدية عدة معانٍ منها (النفى، الاستفهام، التعجب، التوكيد، الإنكار وغيرها).

وبناءً على هذا فإن النبر يأخذ طريقه عبر السياق فيقع على الكلمة التي يراد توكيدها أو الاستفهام عنها أو التعجب منها أو إنكارها حيث تأخذ نواة مقاطعها النبر الرئيسي³.

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 223-224.

² - عبدالجليل. علم اللسانيات. 372.

³ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 373.

(3) التنغيم:

يدل التنغيم بمصطلحه الصوتي على مستويات الارتفاع أو الانخفاض في الدرجات النغمية المتضمنة

في الكلام الإنساني، ويعتبر التنغيم من الأساليب التي تدخل في مستويات الدلالة في اللغة¹.

فمعظم اللغات يمكن أن تسمى لغات تنغيمية؛ لأنها تستخدم التنوعات الموسيقية في الكلام بطريقة تمييزية

تفرق المعاني، فإلى اختلاف التنغيم يرجع الفضل في أننا يمكننا أن نعبر عن كل مشاعرنا، وحالاتنا

الذهنية من كل نوع.

فالجمل الواحد يمكن أن تشكل فتودي عدة أغراض بناءً على اختلاف وتغيير نوع التنغيم²، وقد عقد تمام

حسان نوعاً من المقارنة بين التنغيم في الكلام المنطوق والترقيم في الكلام المكتوب فقال: "غير أن التنغيم

أوضح من الترقيم في الدلالة على المعنى الوظيفي"³.

غير أن عبدالقادر عبدالجليل قد رأى أن التنغيم أكثر أهمية من الترقيم بقوله: "ونرى التنغيم أكثر أهمية

من الترقيم، فبالإمكان أن نتابع الكلام المكتوب دون ترقيم ولكن مع الكلام المنطوق تظهر أهمية التنغيم

في إبراز القيم الدلالة في الفعل الكلامي.. ويكتسب التنغيم دوراً مهماً في التقرير والتوكيد والتعجب

والاستفهام والنفي والإنكار والتهكم والزجر والموافقة والرفض والقبول وغيرها من أنواع الفعل الإنساني

كالغضب واليأس والأمل والفرح والحزن..."⁴.

(4) الفصل:

يشترك هو الآخر كفونيم تركيبية في المساعدة على التعرف على حدود الكلمة من الناحية

الصوتية وسط التيار الكلامي⁵.

1 - عبدالجليل. علم اللسانيات. 374.

2 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 229، 230.

3 - تمام حسان. اللغة العربية معناها ومبناها. (الدار البيضاء. دار الثقافة. 1994). 226.

4 - عبدالجليل. علم اللسانيات. 376.

5 - عبدالقادر عبدالجليل. الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي. (عمان. دار الصفاء. 1977). 82.

ويسمى أيضاً الانتقال وهو عبارة عن سكتة خفيفة بين كلمات أو مقاطع في حدث كلامي بقصد الدلالة على مكان انتهاء لفظ ما أو مقطع ما وبداية آخر¹.

- وقد أخفقت الكتابة في أن تضع للمفصل ما يميزه ويمثله حتى تستطيع الانتقال بين وحدتي التركيب. وقد احتوت اللغات ومن بينها اللغة العربية على ثنائيات صغرى لا يميز الواحد منها عن الآخر إلا موضع المفصل. ومثال ذلك في العربية قول أبي الفتح البستي²:

إِذَا مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ ذَا هِبَةٍ :: فَدَعُهُ فَدَوْلَتُهُ ذَاهِبَةٌ³

فكلمة (ذا هبة) الأولى بمعنى ذو سطوة وقوة في حين (ذاهبة) الثانية هنا بمعنى زائلة، والذي ميز بين هاتين الكلمتين في المعنى رغم اتحاد الشكل الكتابي لهما، هو تلك السكتة الخفيفة بين مقاطع (ذا هبة) الأولى مما دل على انتهاء المقطع (ذا) وبداية المقطع (هبة).

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 231.

² - هو علي بن محمد من بلدة (بست) ببلاد الأفغان من شعراء القرن الرابع الهجري توفي سنة 400 هـ. الموسوعة الحرة.

³ - هذا البيت من بحر المتقارب.

الأصوات العربية وعددها:

تعتبر الأصوات في كل اللغات هي الأساس لكلامها المركب، والركيزة في تنوع الأداء...

فلكل لغة من لغات البشر نظام صوتي، يتكون من عدد من الوحدات الصوتية، ولا توجد لغة تستخدم

الأصوات اللغوية بشكل مفرد، وإنما تتداخل وتتألف في مجموعات مكونة سلسلة كلامية.

وبملاحظة الأصوات وجد العلماء أنها تتميز عن بعضها البعض بعاملين رئيسيين هما:

1- نقطة التقاء طرفين من أعضاء النطق، ليمر الهواء بينهما وهو ما يصطلح عليه بمخارج

الأصوات.

2- كيفية حدوث هذا الالتقاء، وهو ما يعرف بصفات الأصوات¹، وقد أدرك العلماء القدامى

والمحدثون، أن الهواء هو المادة الأساسية لإنتاج الأصوات اللغوية، وبالتحديد هواء الزفير

المندفع من الرئتين².

يقول أحمد مختار عمر: "ولا نعلم لغة تعتمد على هواء الشهيق في إنتاج الصوت، وإن أمكن أن

تنتج أصوات خلال عملية الشهيق أيضاً، ولكن هذا إن حدث يكون استثناء فقط، ومثل هذه الأصوات

تسمع بين الأطفال، ونحن نستعملها في حالة النشيج والانتحاب"³.

وقد كان من النتائج التي توصل إليها المحدثون في مجال علم الأصوات، تقسيمهم لها إلى قسمين

رئيسيين:

الأول: يسمى بالأصوات الساكنة.

والثاني: يسمى الأصوات اللينة.

والأساس الذي يرجع إليه هذا التقسيم متمثل في الكيفية التي تتكون بها الأصوات المنتمية لكل قسم.

1 - صالح سليم عبدالقادر. الدلالة الصوتية في اللغة العربية. (سبها. منشورات جامعة سبها. 1988). 104 .

2 - الحمد: 114.

3 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 112 .

فالأصوات الساكنة عند تكونها يتعرض الهواء المار من الرئتين إلى عوائق، تضيق مجراه كما هو الحال مع الأصوات الاحتكاكية، أو تحبسه ولا تسمح له بالمرور كما هو الحال مع الأصوات الانفجارية، في حين أن الأصوات المنتمية إلى القسم الثاني يمر الهواء عند تكونها دون أن يعترضه أي مانع أو حائل¹.

¹ - أنيس: 26 - 28.

عدد الحروف (الأصوات) عند ابن الحاجب وشارح متنه الرضي الاسترأاباذي:

أحصى ابن الحاجب حروف العربية وقام بتقسيمها إلى مجموعتين:

أ. حروف أصلية.

ب. حروف فرعية: وتشمل المستحسنة والمستهجنة.

أولاً: الحروف (الأصوات) الأصلية:

وقد عدّها ابن الحاجب والرضي من بعده تسعة وعشرين حرفاً، ابتداءً بما مخرجه الحلق وانتهى بما

مخرجه الشفتين، وهو في هذا يتفق مع ما ذكره الخليل في معجمه العين¹، وسيبويه في كتابه²،

وابن جني في سر الصناعة³، ولقد شدّد عن هؤلاء المبرد الذي جعلها ثمانية وعشرين حرفاً⁴.

شكل (4) عدد الأصوات العربية عند الرضي وعلماء اللغة الأوائل.

الرضي الاسترأاباذي	ابن الحاجب	ابن جني	المبرد	سيبويه	الخليل بن أحمد
تسعة وعشرون صوتاً	تسعة وعشرون صوتاً	تسعة وعشرون صوتاً	ثمانية وعشرون صوتاً	تسعة وعشرون صوتاً	تسعة وعشرون صوتاً

ولعل السبب في شذوذ المبرد عن هؤلاء العلماء هو إسقاطه للهمزة من الترتيب، وعدم اعتبارها أصلاً؛

لكونها ليست ذات صورة ثابتة.

وما ذهب إليه المبرد وصفه ابن جني بأنه غير مرضٍ "وهذا الذي ذهب إليه أبو العباس غير مرضي

عنه عندنا"⁵.

1 - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تح: مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي. (بلا. دار ومكتبة الهلال. بلا). 57/1.

2 - أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر "سيبويه". الكتاب. تح: عبد السلام هارون. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1982. 431/4).

3 - أبو الفتح، عثمان بن جني. سر صناعة الإعراب. تح: حسن هندأوي. (دمشق. دار القلم. 1993). 41/1.

4 - أبو العباس محمد بن يزيد المبرد. المقتضب. تح: محمد عضية. (القاهرة. بلا. 1994). 328/1.

5 - ابن جني. سر الصناعة. 41/1.

هذا فيما يتعلق بعددها، أما بالنسبة لترتيب الأصوات الوارد في الشافية نجده قد جاء مخالفاً لما هو عند سيبويه وابن جنى خلافاً بسيطاً، كما إنه جاء مغايراً تماماً للترتيب الذي اتبعه ابن سينا في رسالته أسباب حدوث الحروف، فابن سينا قد رتب الأصوات بطريقة قد اختلفت كلياً عما عليه سابقه - سيبويه، ابن جنى - ولاحقيه - ابن الحاجب، الرضي -، فأول ما يشد الانتباه في ترتيب ابن سينا أنه قد فرق بين الأحرف الساكنة والأحرف المتحركة، وتسميته للأولى صوامت والثانية مصوتات، كذلك نجده قد فرق بين نوعين من الواو والياء، كما أنه خالف ما عليه ابن جنى وسيبويه بعدم وضعه الألف جوار الهمزة خلافاً للأول، وتقديمه القاف على الكاف خلافاً للثاني، وفيما يخص النون نجده قد جعلها هي والميم متتاليتين، لاشتراكهما في صفة الأنفمية¹.

شكل (5) ترتيب الأصوات العربية عند الرضي وعلماء اللغة الأوائل.

الرضي الاسترلابادي	ابن سينا	ابن جنى	سيبويه
الهمزة - الهاء - الألف - العين - الحاء - الغين - الخاء - القاف - الكاف - الجيم - الشين - الياء - الضاد - اللام - الراء - النون - الطاء - الدال - التاء - الصاد - الزاي - السين - الطاء - الذال - الثاء - الفاء - الباء - الميم - الواو ⁵	الهمزة - الهاء - العين - الحاء - الخاء - القاف - الغين - الكاف - الجيم - الشين - الضاد - الصاد - السين - الزاي - الطاء - التاء - الدال - الثاء - الطاء - الذال - اللام - الواو - الفاء - الباء - الميم - النون - الواو - الصامته - الياء - الصامته - الألف - المصوتة - الواو - المصوتة - الياء - المصوتة ⁴	الهمزة - الألف - الهاء - العين - الحاء - الغين - الخاء - القاف - الكاف - الجيم - الشين - الياء - الطاء - اللام - الراء - النون - الطاء - الدال - التاء - الصاد - الزاي - السين - الطاء - الذال - الثاء - الفاء - الباء - الميم - الواو ³	الهمزة - الألف - الهاء - العين - الحاء - الغين - الخاء - الكاف - القاف - الجيم - الشين - الياء - اللام - الراء - النون - الطاء - الدال - التاء - الصاد - الزاي - السين - الطاء - الذال - الثاء - الفاء - الباء - الميم - الواو ²

1 - الأنفمية: هي الغنة ويعرفها علماء التجويد بقولهم: صوت يخرج من الخيشوم أو الصوت الذي يخرج من الأنف عند نطق النون والميم الساكنتين . الحمد: 309 ، 311 .

2 - سيبويه: 431/4 .

3 - ابن جنى. سر الصناعة 45/1 .

4 - ابن سينا: 16 - 22 .

5 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 250/3 .

ثانياً: الحروف (الأصوات) الفرعية:

بعد أن انتهى ابن الحاجب من ذكر الأصوات التسعة والعشرين شرع في ذكر الأصوات

الفروع وقبل أن يفصل القول فيهما سأذكر ماهية الصوت الفرعي:

بأنه الذي تتغير صفة من صفاته الصوتية أو ينتقل مخرجه إلى مخرج صوت مجاور له، وذلك التغيير

ناتج عن واحد من ثلاثة أسباب:

أ. المجاورة: مثل الصاد التي كالزاي في نحو (مصدر)، والشين التي كالجيم في نحو (أشوق) فقد

لحق الجهر كلاً من الصاد والشين المهموستين لمجاورتها الدال المجهورة.

ب. لغات القبائل: مثل الهمزة بين بين، وألف الإمالة، ألف التفخيم.

ج. اللكنة الأعجمية: مثل الطاء التي كالتاء والباء التي كالفاء .

وقد أدرك علماء التجويد حقيقة الأصوات الفرعية فبينوا أن مخرج هذه الحروف يكون متوسطاً بين

مخرج الحرفين اللذين اشتركا فيه، كما أدركوا أن هذه الأصوات لا تبين إلا من خلال المشافهة، وأنها

ليست لها صورة في الكتابة.

وقد قسم العلماء هذه الأصوات إلى قسمين:

أ. أصوات مستحسنة.

ب. أصوات مستهجنة.

ويبدو أن الأساس الذي اعتمد عليه العلماء - وعلى رأسهم سيبويه في كتابه - في هذا التقسيم، هو

كثرة الاستخدام وقلته، فما كثر استخدامه منها في لغة من ترتضى عربيته كان مستحسناً، وما قل

استخدامه كان مستهجناً¹.

أ. الأصوات المستحسنة:

وهذه الأصوات ناتجة عن الحروف الأصلية بسبب تأثرها بغيرها من الحروف الأخرى داخل

السياق ووضح هذا الرضي بقوله: "يعني بالمتفرع حرفاً يتفرع عن هذه الحروف المذكورة قبل، بإشرابها صوتاً من غيرها"¹.

شكل (6) عدد الأصوات المستحسنة عند الرضي وعلماء اللغة الأوائل.

ابن الحأب الرضي الاسترأبأذي	ابن آني	سيبويه
آعلا هذه الأصوات ثمانية هي: همزة بين بين [وهي] ثلاثة، والنون الخفية نحو عنك، وألف الإمالة، وآم التفخيم، والصاد كالزاي، والشين كالآيم ⁴	عدها ابن آني قبلت عنده ستة أصوات هي: النون الخفية، ويقال الخفية والهمزة المخففة، وألف التفخيم، وألف الإمالة، والشين التي كالآيم، والصاد التي كالزاي ³	عدها سيبويه هذه الأصوات فجعلها ستة هي: النون الخفية، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالآيم، والصاد التي تكون كالزاي، وألف التفخيم ²

واليك توضيح هذه الأصوات حسب ما هو وارد عند ابن الحأب وشارحه الرضي.

1- همزة بين بين:

آعل ابن الحأب هذا الصوت ثلاثة أصوات أوضأها الرضي في شرحه بقوله:

مابين الهمزة والألف وما بينها وبين الواو وما بينها وبين الياء⁵.

وقد تحدث عن هذه الهمزة سيبويه في كتابه و أوضأها، كذلك فعل ابن آني حين تعرض لها بالذكر

والتوضيح.

وهمزة بين بين همزة متحركة تخرج من مخرجين مخرجها ومخرج الحرف الذي هو من آنس حركتها،

فإن كانت مفتوحة جعلت بين الهمزة والألف نحو: سأل - سأل.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحأب. 254/3.

2 - سيبويه: 432/4.

3 - ابن آني. سر الصناعة. 46/1.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحأب. 254/3.

5 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحأب. 254/3.

وإذا كانت مضمومة جعلت بين الهمزة والواو نحو: لؤم - لوم، وإن كانت حركتها الكسرة جعلت بين الهمزة والياء نحو: سؤم - سيم.

وهذه الهمزة هي ما عبر عنها في علم الأصوات الحديث باسم تسهيل الهمزة بسبب صعوبة النطق بها، فكان تسهيلها من باب الاقتصاد في بذل المجهود العضلي، وتسهيل الهمز وارد في كل القراءات؛ ولكن أكثر وروده كان في رواية حمزة، وكذلك قراءة نافع راوية ورش، في حين يقل في بعضها كما هو الحال في رواية حفص عن عاصم.

يقول الرضي "اعلم أن الهمزة لما كانت ادخل الحروف في الحلق ولها نبرة كريهة تجري مجرى التهوع، ثقلت بذلك على لسان المتلفظ بها، فخففها قوم وهم أكثر أهل الحجاز ولاسيما قريش¹."

ولعل هذه الهمزة تعد من الأصوات الناتجة تحت تأثير العامل الثالث الأنف الذكر ألا وهو "لغات القبائل" حيث مال بعض اللغات العربية القديمة إلى تسهيلها، وكانت لغة قريش أشهرها تسهلاً للهمزة، ووافقتها قبائل أخرى في ذلك منها على سبيل المثال: هذيل وكنانة وسعد بن بكر².

وهذه الهمزة وأن قريت من الساكن - أي ليس لها تمكن المحققة - إلا أنها في الحقيقة متحركة ويظهر ذلك جلياً في الوزن العروضي يقول ابن جني: "وهي مع ما ذكرنا من أمرها في ضعفها وقلة تمكنها بزنة الهمزة المحققة"³.

ويبدو من هذا أن ضعف هذه الهمزة لكونها ليس لها تمكن المحققة، ولا خلوص الحرف الذي منه حركتها كان سبباً مباشراً في تسميتها ب(همزة بين بين).

1 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 31/3، 32

2 - مختار العوت. لغة قريش. (الرياض. دار المعراج الدولية. 1997). 38-39.

3 - ابن جني. سر الصناعة. 48/1.

2- النون الخفية:

عرفها الرضي بقوله: "هي نون ساكنة غير ظاهرة مخرجها من الخشيم فقط، وإنما تجيء قبل

الحروف الخمسة عشر التي تذكر عند ذكر أحوال النون¹.

وقد ذكر الرضي أن الرواية الواردة عن سيبويه لهذه النون هي الخفيفة وليس الخفية²، في حين وردت

عند ابن جنى بالوضعين³.

وقد فرق تمام حسان بين النونين بقوله: "فالخفية هي نون الإخفاء قبل حروف الفم وهي التاء والتاء

والجيم والذال والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف وأما

الخفيفة فهي إحدى نوني التوكيد..."⁴.

3- ألف الإمالة:

يقول الرضي: "ويسمى سيبويه ألف الترخيم لأن الترخيم تليين الصوت".

وقد عرفها ابن الحاجب في شافيته بقوله: "أن ينحى بالفتحة نحو الكسرة وسببها قصد المناسبة لكسرة

أو ياء أو لكون الألف منقلبة عن مكسور أو ياء أو صائرة ياء مفتوحة وللواصل أو لإمالة قبلها على

وجه"⁵.

وبالنظر إلى ما ذهب إليه ابن الحاجب وشارحه الرضي وما هو وارد لدى المحدثين نلاحظ وجود

توافق كبير إلى حد ما بينهما.

فالإمالة عند المحدثين هي "تقريب صوتي بين الصوائت ومعناه الاتجاه بالصائت قصيراً كان أم

طويلاً إلى حالة ارتكازية وسطى بين اثنين من قريناته، وفي الإمالة تقترب الفتحة من الكسرة..."⁶.

1 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 254/3، 255.

2 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 254/3.

- سيبويه: 432/4.

3 - ابن جنى. سر الصناعة. 46/1.

4 - حسان. اللغة العربية. 53.

5 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 4/3.

6 - عبدالقادر عبدالجليل. الأصوات اللغوية. (عمان. دار الصفاء للنشر والتوزيع (1998). ص 306، 307.

والإمالة نوعان:

1- إمالة كبرى: وهي إمالة الألف نحو الياء، وهي التي يقرأ بها القراء مثلاً قوله تعالى: "والضحى

والليل إذا سجي" ¹ حيث يجعلون صوت الألف الأخيرة في "الضحى" و "سجي" كصوت الياء ².

2- إمالة صغرى: وهي إمالة الفتحة إلى الكسرة كما هو الحال عند نطق المناطق الشرقية من

ليبيا لكلمة "عالم وسالم" وغيرها.

فهم ينطقون حركة العين "الفتحة الطويلة بين الفتحة والكسرة ولكنها إلى الكسرة أقرب".

وتعد الإمالة التي هي صوتاً فرعياً مستحسناً - لكونها تقريباً صوتياً بين الصوائت لم ينتج عنه تغيير

في المعنى - أثراً من آثار اللهجات المحلية القديمة، لأنها وجدت في لغة تميم ومن جاورهم من بني

أسد في حين خلت منها لغة قرش.

يقول الرضي: "وليست الإمالة لغة جميع العرب، وأهل الحجاز لا يميلون وأشدهم حرصاً عليها بنو

تميم" ³.

4- لام التخميم:

وضحها الرضي بقوله: "يعني بها اللام التي تلي الصاد أو الظاء أو الطاء إذا كانت هذه

الحروف مفتوحة أو ساكنة كالصلوة ويصلون... وكذا لام "الله" إذا كان قبلها ضمة أو فتحة" ⁴.

فاللام المفخمة كلام لفظ الجلالة بعد فتح أو ضم أو كاللام التي بعد الصاد والضاد والطاء إذا سكنت

هذه الحروف أو فتحت وكانت اللام مفتوحة.

1 - سورة الضحى، الآية رقم 1، 2.

2 - حسان. اللغة العربية. 53.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 4/3.

4 - الاسترأبأذي شرح شافية ابن الحاجب. 255/3.

وبالنظر إلى الحروف العربية نجد أن منها ما لا يقبل التفخيم أصلاً مثل الحروف المستقلة ما عدا اللام والراء والألف، ومنها ما يلزم التفخيم وهي الحروف المستعلية، التي تشمل حروف الإطباق بالإضافة إلى الخاء والغين والقاف.

ومنها ما يعرض فيه التفخيم وهي اللام والراء والألف، وعلى هذا يفهم أن اللام يعرض لها التفخيم في مواضع معينة وهي:

1- في أشكال معينة من لفظ الجلالة (الله).

2- عند مجاورة الأصوات المستعلية.

وقد اعتبر المحدثون هذه اللام المفخمة ألوفاً¹ allophone للام العادية وليست فونيمياً مستقلاً في اللغة². أي أنها ليست ظاهرة فونيمية من شأنها التفريق بين المعاني.

وبالنظر إلى كل من سيبويه وابن جني عند حديثهما عن الأحرف المستحسنة نجد أنهما لم يذكر لـ لام التفخيم ولم يعداها من ضمن هذه الأصوات.

5- الصاد التي كالزاي:

وهي الصاد التي يقل همسها؛ ويحدث لها ضرب من الجهر لمضارعتها الدال³.

ويرجع السبب في هذا القلب إلى التناسب الموجود بين الصوتين، فالزاي من مخرج الصاد ومشاركة لها في صفة الصفير، كما أن الزاي تناسب الدال في الجهر وعدم الإطباق.

وقد وضحاها الرضي عند حديثه عن إبدال الصاد والزاي فقال: "ويجوز في الصاد الساكنة الواقعة قبل الدال قلبها زايّاً صريحة، أو اشرابها صوت الزاي، أما الإبدال فلأن الصاد مطبقة مهموسة رخوة وقد

1 - والالوفون: يعرف بأنه كل مظهر مادي مختلف للفونيم أو: التنوعات الصوتية التي يتوقف استعمال كل منها أساساً على موقعه في الكلمة وعلى الأصوات المجاورة له. عمر. دراسة الصوت اللغوي. 184.

2 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 332.

3 - ابن جني. سر الصناعة. 50/1.

جأورت الءال بلا ءائل من ءركة وغيرها والءال مجهورة شءءءة غير مطبقة... ومن ضارع: أي نءى بالصاد نءو الزاي ولم يقلبها زياً ءالصة فللمءافظة على فضيلة الإطباق"¹.

وقء أسهب الرضي الكلام في هذا الصءء فبعء أن أنهى ءءءه عن الصاد الساكنة الواقعة قبل الءال، تطرق للءءء عن الصاد المءركة الواقعة بعء الءال فببن ما يجوز فيها وما لا يجوز. فأشمام الصاد صوت الزاي هو الممكن في هذه ءالءة أما قلب الصاد زياً صرءة غير جائز هنا وذلك لوقوع ءركة فاصلة بينهما.

يقول الرضي: "إذا ءركء الصاد وبعءها ءال أشم الصاد صوت الزاي ولا يجوز قلبها زياً صرءة لوقوع ءركة فاصلة بينهما"².

وقء ببن الرضي أنه يقتصر على ما سمع عن العرب من كلمات في ءالءة ءرك الصاد والفصل بينها وببن الءال بأءثر من ءركة، ولم ءسءم المضاوعة ولا يمكن أن يقاس عليها والنسج على منوالها.

6- الشين ءي كالجيم:

وهي الشين ءي يقل ءفشيتها واستطالءتها، وتتراجع قليلاً مءصعة نءو الجيم³، هذا ما ذكره ابن جنبي في ءين نجد سببويه ذكرها ءون أن يوضحها أو يمثء لها⁴، كذلك هو ءالء عند ابن ءاآب⁵. أما الرضي شارء مءن الشافية فقء وضءها وذكر سبب اسءءسانها أي: - الشين المشربة صوت الجيم -، واستءهان الجيم المشربة صوت الشين على الرغم من أن كلءيهما شيء واحد فقال: "إنما يفعل ذلك بها إذا كانت الشين ساكنة قبل الءال، والءال مجهورة شءءءة والشين مهموسة رءوة ءنافي جوهر الءال، ولاسيما إذا كانت ساكنة لأن ءركة ءخرج ءرف عن جوهره، ءءشرب الشين صوت الجيم ءي هي مجهورة شءءءة كالءال لءناسب الصوت فلا جرم اسءءسن، وإنما اسءءجن الجيم ءي كالشين لأنها

1 - الاسءرأبأذي. شرح شافية ابن ءاآب. 231/3.

2 - الاسءرأبأذي. شرح شافية ابن ءاآب. 232/3.

3 - ابن جنبي. سر الصناعة. 50/1.

4 - سببويه: 432/4.

5 - الاسءرأبأذي. شرح شافية ابن ءاآب. 254/3.

إنما يفعل ذلك لها إذا سكنت وبعدها دال أو تاء نحو: اجتمعوا وأجدر وليس بين الجيم والدال ولا بينها وبين التاء تباين، بل هما شديدتان... فالفرار من المتنافيين مستحسن، والفرار من المتئين مستهجن، فصار الحرف الواحد مستحسناً في موضع ومستهجناً في موضع آخر بحسب موقعه"¹.

7- ألف التفخيم:

وقد نص الرضي على أن المصنف (ابن الحاجب) لم يذكر ألف التفخيم بين الحروف المستحسنة عند إحصائها لها، في حين ذكرها سيويه ومثل لها بالصلوة، والزكوة، والحيوة، دون أن يوضح ماهيتها"².

أما ابن جني فقد عرفها بقوله: "فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم سلام عليك، وقام زيد، وعلى هذا كتبوا الصلوة، والزكوة، والحيوة، بالواو، لأن الألف مالت نحو الواو"³.

وقد عرفها الرضي في شرحه بقوله: " هي الألف التي ينحى بها نحو الواو كالصلوة والزكوة، وهي لغة أهل الحجاز"⁴.

وقد عرض لها الدرس الصوتي الحديث فبينها تمام حسان بقوله: "وهي ألف تستدير في نطقها الشفتان قليلاً مع اتساع الفم نتيجة لحركة الفك الأسفل، ويرتفع مؤخر اللسان قليلاً فيصير الفم في مجموعه حجرة رنين صالحة لإنتاج القيمة الصوتية التي نسميها التفخيم على لغة الحجاز، وهو أوغل في بابه من تفخيم القبائل الأخرى، حتى أن بعض الألفات المفخمة على لغة الحجازيين في مثل كلمتي الصلاة والزكاة، لما جاورت أصواتاً غير مطبقة فخشي مدونو القرآن على تفخيم الألف فلهذا السبب كتبوها في صورة الواو، ليعلم القارئ أن هذه الألف مفخمة"⁵.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 255/3، 256.

2 - سيويه: 432/4.

3 - ابن جني. سر الصناعة. 50/1.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 255/3.

5 - حسان. اللغة العربية. 53.

هذه هي الحروف المستحسنة التي ذكرها ابن الحاجب ومن بعده الرضي الاسترلابادي في الشافية قد تناولناها بتعريفها والتمثيل لها وبيان مواضعها.

ومن خلال ما تقدم عرضه يمكننا القول: أن القدامى بما فيهم ابن الحاجب وشارح منته الرضي الاسترلابادي لم يفرقوا - عند حديثهم عن أصوات اللغة - بين الحرف والصوت، حيث نراهم قد أطلقوا مصطلح الحروف على أصوات اللغة الأصلية، ثم توسعت هذه التسمية فشملت ما يعرف لديهم بالحروف المستحسنة.

ولكن الدرس الصوتي الحديث يختلف عما عليه القدامى في كونه قد فرق بين مصطلحي الصوت والحرف، فجعل الصوت هو المنطوق والحرف هو المكتوب، هذا من ناحية أما من ناحية أخرى فإن مصطلح الحرف الذي يساوي الصوت عند المحدثين هو ما يمكن أن يطلق عليه اسم فوينم¹، لأنه لديه صورة أو رمز في الكتابة بينما الحروف المستحسنة التي ليس لها رمز كتابي، فهي لا تعدو أن تكون أحد شيئين: أوفونات أو ديافونات².

وبالنظر إلى الحروف المستحسنة نجد أن همزة بين بين، وألف الإمالة، وألف التفخيم، تتدرج تحت ما يعرف بالديافون.

في حين نجد النون الخفية، ولام التفخيم، والصاد التي كالزاي، والشين التي كالجيم، تتدرج تحت مصطلح الأوفون.

وتمثل الأصوات الأصلية في اللغة العربية فونيمات اللغة بالإضافة إلى ثلاثة فونيمات للعلل القصيرة (الفتحة - الضمة - الكسرة).

وثلاثة فونيمات للعلل الطويلة (ألف المد - واو المد - ياء المد).

1 - الفونيم: هو أصغر وحدة صوتية تفرق بين المعنى وغير قابلة للتجزئة. عبد الجليل. التنوعات اللغوية. 32، 33.
2 - الديافون: هو تنوعات الفونيم التي تقع في كل المنطوقات لكل المتكلمين بأي لغة. أو هو: فونيم لهجة يقابل في الاستعمال فونيم لهجة وأن اختلفت عنه صوتياً. عمر. دراسة الصوت اللغوي. 260.

وفونيمين لأنصاف العلل (الواو - الياء).

ب). الأصوات المستهجنة:

بعد أن انتهى ابن الحاجب وشارحه من توضيح الحروف المستحسنة، ذكر حروفاً أخرى

وصفاها بالمستهجنة، اختلفا في عددها كما اختلف من سبقهم من العلماء في ذلك.

شكل (7) عدد الأصوات المستهجنة عند الرضي وعلماء اللغة الأوائل.

الرضي الاسترأباضي	ابن الحاجب	ابن جني	سيبويه
انفرد الرضي بذكر بعض الأصوات التي لم ترد عند غيره، وبهذا يكون عددها اثني عشر صوتاً هي: الصاد كالمسين - والطاء كالتاء - الفاء كالباء - الضاد الضعيفة - الكاف كالجيم ³	عدّها فجعلها خمسة أصوات هي: الصاد كالمسين - والطاء كالتاء - الفاء كالباء - الضاد الضعيفة - الكاف كالجيم ³	بلغت عنده ثمانية أصوات هي: الكاف التي بين الجيم والكاف - الجيم التي كالكاف - الجيم التي كالشين - والصاد الضعيفة - والصاد التي كالمسين - والطاء التي كالتاء - والطاء التي كالتاء - والباء التي كالميم ²	عدّها فكانت عنده سبعة أصوات لاعتباره الكاف التي بين الجيم والكاف والجيم التي كالكاف شيئاً واحداً وهذه الأصوات هي: الكاف التي بين الجيم والكاف - الجيم التي كالكاف - الجيم التي كالشين - الضاد الضعيفة - الصاد التي كالمسين - الطاء التي كالتاء - والطاء التي كالتاء - والباء التي كالفاء ¹

ومما يجدر الإشارة إليه في هذا الصدد أن سيبويه قد ذكر هذه الحروف ولكنه لم يوضحها ولم يمثل

لها، باستثناء الضاد الضعيفة التي تعرض لها بشيء من التفصيل، كذلك ابن جني عرج عليها في سر

الصناعة ولكنه لم يفصل القول فيها.

واليك توضيح هذه الحروف كما وردت عند الرضي:

1 - الصاد التي كالمسين:

وقد برر الرضي تقريب الصاد من المسين بقوله: "قربها بعضهم من المسين لكونهما من مخرج

واحد"⁵.

¹ - سيبويه: 4/ 432.

² - ابن جني. سر الصناعة. 1/ 46.

³ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 3/ 254.

⁴ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 3/ 257.

⁵ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 3/ 256.

بالإضافة إلى ذلك نجد أن الصاد والسين يشتركان في الصفات الأخرى كالهمس والرخاوة، باستثناء صفة التفخيم التي تتصف بها إحداهما دون الأخرى، فالصاد مفخمة والسين مرقة، ومعنى قولنا الصاد التي كالسين يدل على أن هذه الصاد أشبهت السين باكتسابها صفة الترقيق، ومفارقة ما كانت عليه من تفخيم، ويمكن أن يمثل لهذا الحرف بكلمة (صابر) التي تصير (سابر)¹. ولعل السبب في عدّ هذا الحرف مستهجن هو أن التحول أو القلب الذي حدث فيه كان على غير المعروف والمألوف؛ وذلك لأنه تم فيه تحويل الصوت الأقوى وهو الصاد، إلى الصوت الأضعف وهو السين، وهذا مخالف لما هو متعارف عليه من وقوع الصوت الأضعف تحت تأثير الصوت الأقوى داخل السياق الكلامي.

2- الطاء التي كالتاء:

وقد وردت هذه الطاء عند كل من سيبويه وابن جني دون أي شرح أو تمثيل لها، كذلك هو الحال عند ابن الحاجب، فهو أيضاً ذكرها دون أي شرح أو تمثيل، لكننا نجد الرضي في شافيته يعلل ويذكر سبب وجود مثل هذا الصوت بقوله: "الطاء التي كالتاء تكون في كلام عجم أهل المشرق كثيراً لأن الطاء في أصل لغتهم معدومة فإذا نطقوا بها تكلفوا ما ليس في لغتهم فنطقوا بشيء بين الطاء والتاء"². وقد عقب تمام حسان عند توضيح هذا الصوت بقوله: "كلاماً شبيهاً بما قيل في وجه الشبه بين الصاد والسين يمكن أن يقال هنا أيضاً في وجه الشبه بين الطاء والتاء فالمعروف أن التفخيم والترقيق هو أوضح ما يفرق بين الطاء والتاء الآن فإذا أشبهت الطاء التاء فقدت تفخيمها"³.

1 - حسان. اللغة العربية. 55، 56.

2 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 256/3.

3 - حسان. اللغة العربية. 56.

ومثل هذه الطاء ما نسمعه اليوم من سكان المنطقة الغربية في ليبيا وخصوصاً سكان طرابلس وما جاورها من ترقيق الطاء في كلمات مثل: (طبيب - مطر - طرابلس).

3- الفاء التي كالباء:

عدّها ابن الحاجب من ضمن الحروف المستهجنة، وقد شرحها الرضي ووضحها مستعيناً في ذلك برأي السيرافي فقال: " هي كثيرة في لغة العجم وهي على ضربين: أحدهما لفظ الباء أغلب عليه من الفاء والآخر لفظ الفاء أغلب عليه من الباء ... وأظن أن العرب إنما أخذوا ذلك من العجم لمخالطتهم إياهم"¹.

أما سيبويه فلم يذكر ما إذا كان هذا الصوت مقتصراً على الكلمات المعربة من اللغات الأجنبية دون الكلمات الأصلية في العربية، كما أنه لم يذكر ما إذا كان هذا الصوت لحناً مما أصاب ألسنة العرب بسبب مخالطتهم الموالي، أو أنه ورد على ألسنة الموالي فقط.²

4- الضاد الضعيفة:

ميز سيبويه بين نوعين من الضاد هما:

- الضاد الفصيحة.

- الضاد الضعيفة.

وقد عدّ سيبويه الضاد الضعيفة من الحروف القليلة في لغة من ترتضى عربيته و أنها لا تستحسن في قراءة القرآن ولا في الشعر.

وقد بين سيبويه مخرج هذه الضاد بقوله: "إلا أن الضاد الضعيفة تتكلف من الجانب الأيمن وإن شئت

تكلفتها من الجانب الأيسر وهو أخف"³.

¹ - الاسترآبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 256/3.

² - حسان. اللغة العربية. 54.

³ - سيبويه: 432/4.

أى أنه يمكن إخراج هذه الضاد من الحافة اليمنى أو من الحافة اليسرى، وقد علل السيرافي سبب عدّ سببويه تكلف الضاد من الجانب الأيسر أخف بقوله: "لأن الجانب الأيمن قد اعتاد الضاد الصحيحة، وإخراج الضعيفة من موضع اعتاد الصحيحة أصعب من إخراجها من موضع لم يعتد الصحيحة"¹. وقد وافقه في ذلك الرضي بدليل إيراده لهذا النص في شرحه على الشافية عند حديثه عن هذه الضاد. وقد تضاربت آراء العلماء حول سبب تسمية هذه الضاد بالضعيفة، فنجد فريقاً منهم يذهب إلى أن سبب التسمية راجع إلى ضعف إطباقها، وهذا ما ذهب إليه أبو علي الفارسي، في حين يرى فريق آخر أن هذه الضاد نشأت بسبب نطق قوم ليس في لغتهم ضاد، وهذا يعني أنهم ليسوا عرباً أي من العجم وصاحب هذا القول هو السيرافي وقد أورده الرضي في شرحه على الشافية². إلا أن غانم قدور الحمد في كتابه الدراسات الصوتية يذهب مذهباً آخرأ، فيرى أن سبب ضعف هذه الضاد إنما هو تقريبها من صوت التاء. وقد أوضح تمام حسان سبب نطق بعض العرب كلمات مشتملة على تاء بشكل يقرب من الضاد بقوله: "صوت الضاد الفصيحة من بين أصوات الرخاوة مثله في ذلك مثل التاء، ومن هنا وجدنا بعض العرب حين ينطقون كلمة تشتمل على صوت التاء متلواً بحرف مفخم مجهور، يحدث في نطق التاء شيء من عدوى التّفخيم والجرّ الضعيفة فتصير التاء بذلك ضاداً ضعيفة"³. ولعل تمام حسان فيما ذهب إليه من تعليل يوافق غانم قدور الحمد في فكرته حول سبب تسمية الضاد الضعيفة بهذا الاسم.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 257/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 256/3.

3 - حسان. اللغة العربية. 55.

5- الكاف التي كالجيم:

أوردها ابن الحاجب ضمن الحروف المستهجنة، وقد بينها الرضي ومثل لها بقوله: "جافر في

كافر"¹.

وقد ذكرها سيبويه أيضاً بقوله: " والكاف التي بين الجيم والكاف"² ولكنه لم يوضحها ولم يمثل لها.

6- الجيم التي كالكاف:

لم يضمها ابن الحاجب إلى الحروف المستهجنة بدليل قوله: " وأما الجيم كالكاف والجيم

كالشين فلا يتحقق"³.

في حين اعتبرها الرضي من الحروف المستهجنة، فبينها وبين أماكن استخدامها بقوله: "وكذا الجيم

التي كالكاف يقولون في جمل: كمل وفي رجل: ركل وهي فاشية في أهل البحرين وهما جميعاً شيء

واحد، إلا أن أصل أحدهما الجيم، وأصل الآخر الكاف كما ذكرنا في الجيم كالشين والشين كالجيم، إلا

أن الشين كالجيم مستحسنة وعكسه مستهجن، والكاف كالجيم وعكسه مستهجنان فقوله: "لا يتحقق فيه

نظر وكأنه ظن أن مرادهم بالجيم كالشين حرف آخر غير الشين كالجيم، وكذا ظن أن مرادهم بالجيم

كالكاف غير مرادهم بالكاف كالجيم، وهو وهم"⁴.

7- الجيم التي كالشين:

وقد صنفها الرضي ضمن الحروف المستهجنة وبين أن عكس هذه الصورة ألا وهي "الشين

التي كالجيم" تعد من الحروف المستحسنة وقد بين السبب في ذلك.

وقد ورد هذا الحرف أيضاً عند سيبويه، وابن جنبي، لكن دون أي توضيح أو تمثيل.

وقد مثل الرضي لهذه الظاهرة بمثلين هما:

1 - الأسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 254/3.

2 - سيبويه: 432/4.

3 - الأسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 254/3.

4 - الأسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 257/3.

اجتمعوا ← اشتمعوا

أجدر ← أشدر

ولعل السبب في عدّ هذا الحرف مستهجناً هو خروجه عن المألوف، لكونه لا يوجد أي تباين بين الجيم والتاء أو بينها وبين الدال على اعتبار أن هذه الظاهرة - أي اشراب الجيم صوت الشين - تحدث عندما تكون الجيم ساكنة وما بعدها دال أو تاء كما هو الحال في المثالين السابقين الذكر.

مخارج الأصوات:

اللغة هي مجموعة أو سلسلة من الأصوات المتكونة في نقاط معينة، وهذه النقاط أو المواضع التي تتكون فيها الأصوات تعرف بالمخارج.

وتعتبر دراسة مخارج الأصوات من الموضوعات الرئيسية التي حظيت بالعناية والبحث من قبل العلماء سواء القدامى منهم أو المحدثين، فتحدثوا عنها في ثنايا كتبهم المشتملة على بعض الموضوعات الصوتية، فكان تناولهم لها من حيث عددها، والأصوات المنتمية لكل مخرج منها، وكيفية ترتيب هذه المخارج.

ولم يكن ابن الحاجب وشارح منته الرضي الاسترلابادي بمنأى عما حفلت به كتب معاصريهم أمثال ابن عصفور، وابن يعيش، ولا من تقدمهم كسيبويه، والمبرد، وابن جني.

فنجدهما تتاولا مخارج الأصوات مبينين عددها، والأصوات التي يشتمل عليها كل مخرج، وطريقة ترتيب هذه المخارج.

وقبل أن نتبع بالشرح والتحليل والمقارنة ما قيل عن هذا الموضوع في كتب الأوائل والمحدثين، لابد لنا من وقفة سريعة مع تعريف المخرج.

تعريف المخرج:

تعددت التعريفات للموضع أو النقطة التي يتكون فيها الصوت الإنساني، إلا أنه لم يحدث أي

تعارض بين هذه التعريفات.

ومن تعريفات المخرج:

الموضع الذي ينشأ منه الحرف¹.

وعرفه المحدثون بقولهم:

- موضع ينحبس عنده الهواء أو يضيق مجراه عند النطق بالصوت¹.
- النقطة التي يتم عندها الاعتراض في مجرى الهواء والتي يصدر الصوت فيها².
- المدراج أو الأحياز الصوتية التي تكلم عنها القدماء، وسجلها المحدثون على وفق ترتيب تنازلي ابتداءً من الشفتين³، ونزولاً إلى أقصى الحلق، وقد تعددت المصطلحات المستخدمة للتعبير عن مكان تكون الأصوات، فكان الخليل بن أحمد يستخدم عدة مصطلحات منها (حيز - مدرج أو مدارج - مخرج) وذلك في مقدمة كتابه العين⁴.
- وفيما يخص سيبويه نجد كلمة مخرج هي المستخدمة لديه أكثر من غيرها، كما وردت عنده كلمتا (حيز - موضع) على نحو أقل.
- أما ابن سينا فقد استخدم للتعبير عن إنتاج الصوت لفظ الحبس ومشتقاته فقد تردد عنده مصطلح (الحبس - المحابس)⁵.
- وقد كان أول بيان متقن لمخارج الحروف هو الذي أورده سيبويه في كتابه، أما ما أورده الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمة كتاب العين فإنه كان موضع نقد من بعض جوانبه، الأمر الذي جعل متقدمو علماء التجويد يعتمدون على بيان سيبويه لمخارج الحروف⁶.
- وقد علق الدكتور محمود السعران على الترتيبين فقال: "فإن التصنيف المنسوب إلى الخليل لا يبلغ من الدقة والشمول ما يتسم بتصنيف سيبويه لأصوات العربية حسب المخارج"⁷.

1 - القماطي: 46. نقلاً عن مجلة مجمع اللغة العربية. ج8/1955. 255.

2 - محمود فهمي حجازي. مدخل إلى علم اللغة. (بلا. دار الثقافة للنشر. بلا). 43.

3 - الخليل بن أحمد. علم اللسانيات. 311.

4 - الفراهيدي: 57-60.

5 - ابن سينا: 11 - 21.

6 - الحمد: 175.

7 - محمود السعران. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. (بيروت. دار النهضة العربية. بلا). 94.

وقد عدّ سيويه - وكذلك ابن جني من بعده - المخرج فبلغت عندهما ستة عشر مخرجاً، أما فيما يتعلق بابن الحاجب فقد عدّ المخرج في شافيته فبلغت عنده ستة عشر مخرجاً، "ومخرج الحروف ستة عشر تقريباً وإلا فلكل مخرج"¹

وكلام ابن الحاجب بشأن عدد المخرج يحتاج إلى التدقيق بعض الشيء، فهو في مستهل كلامه يقول أن عدد المخرج عنده ستة عشر مخرجاً فقط.

ولكن بالنظر إلى ما هو موجود حقيقة عنده بعد التتبع؛ نجد أن المخرج قد بلغ عندها خمسة عشر مخرجاً فقط، فهو لم يفرد للنون الخفية مخرجاً خاصاً بها كما فعل سيويه، وابن جني، وبالتالي فإن مخرج الأصوات عنده عندها خمسة عشر مخرجاً أساسياً وليست ستة عشر.

وأول المخرج عند ابن الحاجب هو:

الحلق والحروف (الأصوات) المتكونة فيه هي:

همزة، الهاء، الألف ← أقصى الحلق.

العين، الحاء ← وسط الحلق.

الغين، الخاء ← أدنى الحلق.

وآخر هذه المخرج عنده الشفتان والأصوات المتكونة فيه هي:

الباء، الميم، الواو.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 250/3.

شكل (8) مخارج الحروف (الأصوات) في عامة كتب التراث اللغوي والقراءات القرآنية.

المخرج	الحروف (الأصوات) المخرجة
الجوف	ويخرج منه الحركات، وكذلك حروف المد الثلاثة
أقصى الحلق	ويخرج منه الهمز والهاء
وسط الحلق	ويخرج منه العين والحاء
أدنى الحلق	ويخرج منه الغين والحاء
أقصى اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى	ويخرج منه القاف
أدنى من مخرج القاف قليلاً	ويخرج منه الكاف
وسط اللسان مع ما يقابله من الحنك الأعلى	ويخرج منه الجيم والشين والياء غير المدية
إحدى حافتي اللسان مع ما يحاذيها من الأضراس العليا	ويخرج منه الضاد
حافتي اللسان بعد مخرج الضاد إلى منتهاها	ويخرج منه اللام
طرف اللسان مع ما يحاذيه من اللثة	ويخرج منه النون
طرف اللسان أدخل إلى ظهره قليلاً مع اللثة	ويخرج منه الراء
أسلة اللسان مع ما يحاذيها من أصول الثنايا العليا	ويخرج منه التاء والذال والطاء
طرف اللسان مع الأسنان السفلى والعليا معاً	ويخرج منه السين والزاي والصاد
طرف اللسان مع طرفي الثنايا العليا	ويخرج منه الثاء والذال والظاء
باطن الشفة السفلى مع الأسنان العليا	ويخرج منه الفاء
الشفتان	ويخرج منه الواو والميم والباء
الخيشوم	وتخرج منه الغنة ¹

¹ - محمد امحمد بن طاهر. أوجه التوافق والتباين بين الألفباء الصوتية العالمية وأصوات اللغة العربية (الصوامت العربية نموذجاً). مجمع اللغة العربية الليبي. 2009. ص 11.

مقارنة بين ابن الحاجب والعلماء القدامى من حيث المخارج:

1. سيبويه وابن الحاجب

عقد سيبويه في آخر كتابه باباً للإدغام صدره ببيانٍ عن عدد حروف العربية ومخارجها وأحوالها، فذكر عدد المخارج فقال: "ولحروف العربية ستة عشر مخرجاً"¹.

وبموازنة ما ذكره سيبويه مع ما جاء به ابن الحاجب نجد أن هناك اختلافاً وتشابه بينهما يكمن في:
- اتفق سيبويه مع ابن الحاجب في عدم إفرادهما حروف المد بمخارج خاصة بها، بل جعلوا الألف من مخرج الهمزة، والواو والياء المديين من مخرجهما حالة كونهما غير مديين.

- قسم الاثنان المخرج الأول "الحلق" إلى ثلاثة أقسام هي:

- أقصى الحلق.

- وسط الحلق.

- أدنى الحلق.

- اتبع الاثنان في ترتيبهما للمخارج الترتيب التصاعدي "من الداخل إلى الخارج".

- أما مواطن الاختلاف بينهما تكمن في:

- انفرد سيبويه بتخصيصه مخرجاً خاصاً للنون الخفية وجعله "الخيشوم".

"ومن الخياشيم مخرج النون الخفية"² أما ابن الحاجب فلم يذكر للنون الخفية مخرجاً خاصاً بها.

وبالتالي فإن مخارج الأصوات عند سيويه ستة عشر مخرجاً في حين إنها عند ابن الحاجب خمسة

عشر مخرجاً فقط.

¹ - سيبويه: 433/4، 434.

² - سيبويه: 433/4، 434.

أ) ابن جنبي وابن الحاجب

- اقتدى ابن جنبي بسيبويه وما جاء في كتابه، فكان ترتيبه للمخارج وللحروف داخلها مشابهاً لما عليه سيبويه.
- وفيما يخص أحرف المخرج الأول فإن ترتيبها عند ابن جنبي جاء على نحو (الهمزة، الألف، الهاء) وهي في هذا تختلف عما أورده ابن الحاجب الذي جاء ترتيبه لها على نحو آخر، فهو قد قدم الهاء على الألف.

مقارنة بين ابن الحاجب والعلماء المحدثين من حيث المخارج :

يتفق البحث الصوتي الحديث مع البحث الصوتي التراثي في اعتماد المخارج أساساً من أسس التصنيف وأن اختلف التعبير عن هذه المخارج باختلاف مدارس اللغويين، حيث وقع الدرس الصوتي الحديث تحت تأثير كتب علم اللغة المترجمة عن اللغات الأخرى، بالإضافة إلى دراسة جلّ علماء الأصوات العرب في الجامعات الأوروبية، الأمر الذي جعل هناك نوعاً من التأثير بالدرس الغربي لدى علمائنا المحدثين، وقد ظهر ذلك جلياً في كتاباتهم وبحوثهم الصوتية، فأول كتاب حديث في مجال الأصوات العربية أبصر النور في سماء العالم العربي هو كتاب (الأصوات اللغوية) لإبراهيم أنيس، ثم تلتها بعد ذلك العديد من الكتب في هذا المجال.

وقد ارتكزت أهم أوجه الخلاف بين القدامى - ومنهم الرضي الاسترلابادي - والمحدثين حول أمرين هما:

1- عدد مخارج الأصوات العربية.

2- طريقة ترتيب هذه المخارج.

أما فيما عدا ذلك فإننا لا نجد تباعداً كبيراً عما هو موجود لدى القدامى.

وفيما يخص عدد المخارج الصوتية عند المحدثين نلاحظ تتذبذب العدد بين العشرة مواضع أو قد يزيد عن ذلك بموضع آخر.

شكل (9) مخارج الأصوات عند علماء اللغة المحدثين.

أحمد مختار عمر	محمود السعران	رمضان عبدالقواب	محمد منصف القماطي	عبدالقادر عبدالجليل
- الشفتان	- الشفتان	- المخرج الشفوي	- الشفتان (شفوي)	- الشفتان
- الشفه السفلى مع الأسنان العليا	- الشفه السفلى والأسنان العليا	- المخرج الشفوي الأسنان	- الأسنان العليا والشفه السفلى (شفوي)	- الشفه والأسنان
- الأسنان مع حد اللسان	- الأسنان	- المخرج الأسنان	- الأسنان (أسناني)	- الأسنان واللثة
- الأسنان واللثة مع حد اللسان	- ما بين الأسنان	- المخرج الأسنان اللثوي	- الأسنان العليا والسفلى وذلق اللسان (أسناني)	- اللثة
- اللسان وطرفه	- اللثة ومقدم الحنك	- المخرج اللثوي	- الأسنان العليا والسفلى واللثة وأسلة اللسان (أسناني)	- الطباق الصلب (الغار)
- اللثة مع طرف اللسان	- الأعلى	- المخرج الغاري	- الأسنان العليا والسفلى واللثة وأسلة اللسان (أسناني)	- الطباق اللين
- الغار مع مقدم اللسان	- مقدم الحنك	- المخرج الطبقي	- اللسان (أسناني)	- اللهاة
- اللسان الغار مع مقدم اللسان	- الأعلى ووسطه	- المخرج اللهوي	- اللسان (أسناني)	- الحلق
- اللسان مع وسط اللسان	- أقصى الحنك	- المخرج الحلقي	- اللثة وذلق اللسان (لثوي)	- الحنجره ¹
- اللسان	- الأعلى	- المخرج الحنجري ²	- اللسان (لثوي)	
- اللسان	- اللهاة		- الغار ومقدمة اللسان (غاري)	
- الطباق اللين مع مؤخر اللسان	- الحلق		- اللسان (غاري)	
- اللهاة مع مؤخر اللسان	- الحنجره		- اللسان (غاري)	
- اللسان			- اللسان (طريقي)	
- الحلق مع جذر اللسان			- اللسان (طريقي)	
- اللسان			- اللهاة ومؤخرة اللسان (لهوي)	
- تجويف الحنجره ¹			- اللسان (لهوي)	
			- الحلق وأصل اللسان (حلقي)	
			- الحنجره - الحبلان	
			- الصوتيان - (حنجري) ³	

1 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 315-319.

2 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 61.

3 - القماطي: 46.

هذا فيما يتعلق بعدد المخارج، أما بالنسبة لما يخص نسبة الأصوات إلى مخارجها فهو أيضاً فيه شيء من الخلاف بين القدامى والمحدثين عند النظر إلى الجدول الآتي:

شكل (10) مخارج الأصوات والأصوات المنتمة لكل مخرج.

المصطلح الإنجليزي	الأصوات المنتمة إلى المخرج	المخرج
Bi-labial	الباء - الميم - الواو	الشفثاني ²
Labio-dental	الفاء	الشفوي الأسنان
Dental	الذال - الظاء - الثاء	الأسناني
Dental-alveolar	الذال - الضاد - التاء - الطاء - الزاي - السين - الصاد	الأسناني اللثوي
Alveolar	اللام - الراء - النون	اللثوي
Palatal	الثين - الجيم - الياء	الغاري
Velar	الكاف - الغين - الخاء	الطريقي
Uvular	القاف	اللهوري
Pharyngeal	العين - الحاء	الحلقي
Glottal	الهزة - الهاء	الحنجري

وعلى هذا التصنيف يسير أغلب العلماء المحدثون³، إلا أن إبراهيم أنيس لم يدرج الواو ضمن

الأصوات الشفثانية والياء ضمن أصوات وسط الحنك (الغار)، وكذلك أحمد مختار عمر لم يدرج الواو

ضمن الأصوات الشفثانية لأنه تناولها عندما تحدث عن مخارج أصوات اللين.

وأخيراً يبرز لنا وجه اختلاف آخر بين القدامى والمحدثين يتمثل في إتباع المحدثين لترتيب هذه

المخارج الترتيب التنازلي أي من الخارج إلى الداخل (يبدأ من الشفتين وينتهي بالحنجرة) خلافاً لما

عليه القدامى، وكلا الترتيبين يؤدي إلى نتيجة واحدة، فقضية ترتيب المخارج مثل أي قضية ذات

طرفين يمكن دائماً أن تبدأ من أي من الطرفين لتصل إلى الطرف الآخر، ولعل السبب في اختيار

1 - عبدالقادر عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. (عمان. دار الصفاء للنشر والتوزيع. 2010). 98.

2 - يتميز هذا المصطلح (شفثاني) عن مصطلح (الشفوي) بالدقة والاختصار ولكن يعيبه خروجه عن قواعد الصرف التي تنسب إلى المثني عن طريق مفردة أما المصطلح (شفوي) فهو مختصر ومطابق لقواعد الصرف إلا أنه تنقصه الدقة. عمر. دراسة الصوت اللغوي. 315.

3 - عبدالقادر. المدخل إلى علم اللغة. 61.

- عمر. دراسة الصوت اللغوي. 315-319.

الترتيب التصاعدي من قبل القدامى هو أن الهواء الخارج من داخل الإنسان يعد مادة الصوت الأساسية، ولذلك جعلت أول نقطة يمكن أن ينتج فيها صوت لغوي أول المخارج وهي أقصى الحلق. وقد ذكر غانم قدور الحمد أن الترتيب التنازلي ليس بجديد في الدرس الصوتي العربي، واقتباس الدراسات الصوتية الحديثة له من الدرس الصوتي الغربي مبني على عدم الاطلاع على كثير من تراثنا القديم.

فقال: "ولم تكن هذه القضية في ترتيب المخارج لتغيب عن علماء التجويد، فبينوا أن هناك طريقتين لترتيب المخارج وإن جمهور علماء العربية والتجويد اختاروا البدء بالأقصى دون الأدنى؛ لأن مادة الصوت هي الهواء الخارج من داخل الإنسان، وإن أول نقطة يمكن أن تنتج فيها صوت لغوي اعتبروها أول المخارج وهي أقصى الحلق (الحنجرة)¹."

وخلاصة القول: نجد أن كلاً من القدامى والمحدثين قد أدركوا أن الصوت ينتج بسبب اتصال أو التقاء ناطق متحرك بآخر ثابت، فيحبس تيار الهواء خلفهما إما كلياً أو جزئياً ثم بعد ذلك ينتج الصوت.

كما أننا نرى أن ترتيب الأصوات ضمن مخارجها عند ابن الحاجب يختلف عما عليه المحدثون في نقاط معينة هي:

1- وجود الألف ضمن مجموعة الأصوات الحلقية عند ابن الحاجب في حين جعل المحدثون

الألف من الحركات الطويلة التي لا تنتمي إلى مخرج معين.

2- قدم ابن الحاجب القاف إلى الأمام على كل من الغين والخاء بالرغم من وضوح كون القاف

أعمق مخرجاً وأدخل من الغين والخاء.

3- أفرد ابن الحاجب الأصوات اللثوية (اللام - الراء - النون) بمخارج خاصة ومستقلة لكل منها، في حين جعل المحدثون هذه الأصوات الثلاثة ضمن مخرج واحد هو المخرج اللثوي وقد رتبوها ضمنه على النحو الآتي: (اللام - الراء - النون).

وأخيراً أود أن أشير إلى فكرة عرض لها ابن الحاجب في كتابه الشافية، لكنها لم تلق تأييداً من

العلماء إلا أنهم اشتغلوا بمناقشتها بعض الوقت، وفحوى هذه الفكرة هي أن كل حرف له مخرج.

يقول ابن الحاجب: " مخارج الحروف ستة عشر تقريباً وإلا فلكل مخرج"¹.

وقد ناقش الرضي هذه العبارة وعلق عليها موضعاً مذهب ابن الحاجب فقال: " فلولا اختلاف أوضاع

آلة الحروف - واعني بآلتها مواضع تكوينها في اللسان، والحلق، والسن، والنتع، والشفه، وهي

المسماة بالمخارج - لم تختلف الحروف. إذ لا شيء هناك يمكن اختلاف الحروف بسببه إلا مادتها

وآلتها"².

لكنه تشكك في دقة ما ذهب إليه ابن الحاجب فقال في آخر تعليقه على قول ابن الحاجب "إن

اختلافها قد يحصل مع اتحاد المخرج بسبب اختلاف وضع الآلة من شدة الاعتماد وسهولته وغير ذلك

فلا يلزم أن يكون لكل حرف مخرج"³.

وبالنظر إلى العلماء - القدامى منهم والمحدثين - نجدهم قد جعلوا لحروف متعددة مخرجاً

واحداً،

باعتبار أن التمييز حاصل باختلاف الصفات، وهذا ما نجده عند المحدثين أمثال أحمد مختار عمر،

منصور الغامدي، وإبراهيم أنيس، ورمضان عبدالنواب وغيرهم.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 250/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 251/3.

3 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 251/3.

يقول الغامدي: "إلا أن مكان إخراج الصوت ليس كافياً لتمييز جميع الأصوات اللغوية فصوتان كـ"م - ب" يخرجان من مكان واحد، ونحتاج إلى صفات أخرى تميز الأصوات ذات المخرج الواحد عن بعضها البعض، وهنا يأتي دور كيفية النطق"¹.

- فاتحاد المخرج المقصود به اتفاق الصوتين في جميع الأمور حتى الصفات لأن هذا يؤدي إلى اتحاد الصوتين فلولا اختلاف الصفات لكانت (الصاد سيناً) فكلاهما يعد من الحروف الرخوة "الاحتكاكية" المهموسة التي يصاحبها الصغير ويبقى الفرق الوحيد بين هذين الصوتين في صفتي الإطباق والانفتاح فلو سلبت صفة الإطباق عن الصاد لصارت سيناً.
- وبناءً على ما تقدم يمكننا القول بارتياح إن فكرة الاشتراك في المخرج فكرة صحيحة ومقبولة من الناحية العلمية على اعتبار أن الاشتراك يكون في الشكل العام فمثلاً (الجيم والشين) كلاهما صوت غاري أي أنهما يشتركان في انتمائهما إلى ذلك المخرج، ولكن لا يمكن أن نقول بأن مخرجهما متحد؛ وذلك لسبب بسيط وهو أن النقطة التي يتصل فيها مقدم اللسان مع الغار لإنتاج الجيم، ليست هي ذاتها التي يلتقي فيها مقدم اللسان مع الغار لإنتاج الشين، وبهذا نخلص إلى نتيجة مفادها أنه لا يوجد اتحاد في المخرج بل يوجد اشتراك في المخرج.

¹ - منصور الغامدي. الصوتيات العربية. (الرياض. مكتبة الملك فهد الوطنية. 2010). 66.

صفات الأصوات:

قسم العلماء أصوات اللغة العربية على مجموعة من المخارج، بلغت عند القدامى ستة عشر مخرجاً وعند المحدثين عشرة مخارج.

وبهذا تكون الأصوات العربية مقسمة على هذه المخارج؛ حيث تشترك كل مجموعة منها في مخرج خاص بها، ويوجد هذا الاشتراك نجد أنفسنا في حاجة إلى التفريق بين هذه الأصوات؛ بناءً على اعتبارات أخرى غير اختلاف المخرج.

وهنا يأتي دور الصفات التي تتصف بها الأصوات، فتعمل على التفريق بين ذواتها، وهذه الصفات تختلف من حيث الأساس الذي تنبني عليه، فقد تكون مبنية على أساس طريقة التدخل في مجرى الهواء الرئوي، الذي يعتبر المادة الأولى للكلام فإما أن يقفل مجراه ثم يسرح الهواء بسرعة، وإما أن يقفل ويسرح الهواء ببطء، وإما أن يترك مجرى الهواء كما هو دون إقفال أو تضيق.

وحسب طريقة النطق هذه نحصل على أصوات شديدة، أو رخوة، أو مركبة، أو متوسطة، أو انطلاقية. وقد يكون الأساس هو وجود اهتزاز في الوترين الصوتيين في منطقة الحنجرة، أثناء النطق بالصوت أو عدم وجوده، وبناءً على هذا الأساس نحصل على أصوات مجهورة، أو مهموسة.

وأحياناً يكون الأساس هو شكل حركات رنين الصوت أثناء النطق به وما يتسبب عن وضع مؤخر اللسان ارتفاعاً وانخفاضاً، وهذا الأساس يعطينا التفريق بين المفخم والمرقق من الأصوات¹.

وبناءً على ما تقدم ذكره من اختلافات في طريقة تكوين الأصوات قسمت الصفات إلى قسمين هما:

الصفات المميزة: وتتحصّر في الصفات التي لها أصداد كالجهر، والهمس، والشدة، والرخاوة،

وغيرها.

¹ - حسان. اللغة العربية. 68.

والصفات المحسنة: وهي الصفات التي لا أؤداد لها، منها ما يخص صوتاً واحداً ومنها ما يتعلق بمجموعة من الأصوات¹.

وقد ذكر ابن الحاجب - وتبعه الرضي في شرحه على متن الشافية - صفات الأصوات بنوعها (المميزة والمحسنة) فبلغت عندهما ثمانى عشرة دون أى تمييز بينها.

يقول ابن الحاجب: "ومنها المجهورة والمهموسة، ومنها الشديدة والرخوة وما بينهما، ومنها المطبقة والمنفتحة، ومنها المستعلية والمنخفضة، ومنها حروف الذلاقة والمصمتة، ومنها حروف القلقلة والصفير واللينة والمنحرف والمكرر والهاوي والمهتوت"²، وبعد أن أتم ذكرها شرع في بيان ماهية كل منها والأصوات المندرجة تحت كل صفة، وإليك بيان ذلك:

1. الجهر:

وقد عرف ابن الحاجب صفة الجهر بقوله: " ما ينحصر جرى النفس مع تحركه"³.

وقد بين الرضي هذا الكلام ووضحه بقوله: " إنما سميت الحروف المذكورة مجهورة لأنه لا بد في بيانها وإخراجها من جهر ما، ولا يتهاى النطق بها إلا كذلك،... والجهر: رفع الصوت، والهمس: إخفاؤه، وإنما يكون مجهوراً لأنك تشبع الاعتماد في موضعه"⁴.

وقد عدّ ابن الحاجب الأصوات المجهورة بقوله: " وهي ما عدا حروف "ستشحتك خصفه"⁵.

وقد أوضح ذلك الرضي بقوله: "جميع حروف الهجاء على ضربين: مهموسة: وهي حروف (ستشحتك خصفه) بالهاء في خصفه للوقف،... وما بقى من الحروف مجهورة، وهي قولك (ظِلُّ قَوْ رَيْضَ إِذْ غَرَا جُنْدٌ مُطِيع)"⁶.

1 - الحمد: ص 236، 237.

2 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 257/3.

3 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 257/3.

4 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

5 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 257/3.

6 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 259/3.

وما جاء به ابن الحاجب والرضي متفقاً إلى حد ما مع ما هو موجود لدى سيويه وابن جني، فالقداامي لم يختلفوا كثيراً عند تعريفهم للجهر، فالانحصار الذي جاء في عبارة ابن الحاجب يقابله عند سيويه مصطلح الإشباع.

كما أن هؤلاء العلماء على اختلاف عصورهم جميعهم لم يفتنوا إلى وظيفة الوترين الصوتيين في الجهر والهمس، وإن كانوا قد أحسوا بأثرهما كابن سينا إلا أنهم لم يهتدوا إليهما.

أما المحدثون من علماء الدرس الصوتي فقد عرفوا الجهر: بأنه اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالصوت، وعلى هذا فإن الصوت المجهور هو: الذي يهتز معه الوتران الصوتيان نتيجة لتقاربهما¹.

وقد أسعف هؤلاء العلماء في الوصول إلى هذا التعريف الوسائل الحديثة، والمختبرات العلمية المجهزة بالآلات المساعدة التي تستعمل للكشف عن الأصوات.

وهناك بعض الاختبارات يمكن أن يجربها أي شخص لمعرفة ما إذا كان الصوت مجهوراً أو مهموساً منها:

1- وضع الأصبع على "تفاحة آدم" والنطق بالصوت وحده مستقلاً عن غيره من الأصوات فإذا

كان الصوت مجهوراً شعرنا باهتزازات الوترين الصوتيين وإلا فهو مهموس.

2- أن نضع أصابعنا في آذاننا ثم ننطق بالصوت.

3- أن يضع المرء كفه فوق جبهته في أثناء نطقه بالصوت موضع الاختبار فيحس برنين الصوت

إذا كان مجهوراً².

¹ - الغامدي: 66 .

- كمال بشر. دراسات في علم اللغة. (القاهرة. دار المعارف. 1986) 109.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 325.

شكل (11) أهم أوجه التباين بين الرضي ومن سبقه من علماء وبين علماء اللغة المحدثين حول الأصوات المجهورة.

علماء اللغة المحدثون	العلماء القدامى ومن ضمنهم الرضي	نقطة التباين
ربط المحدثون عملية الجهر بالوترين الصوتيين، ففي حالة تنذبهما يكون الصوت مجهوراً وإلا فهو مهموس.	لم يتوصل علماء اللغة القدامى إلى معرفة العضو المسؤول عن عملية الجهر، وإنما ركزوا على ما يسمى لديهم بإشباع الاعتماد، فإذا أشبع الاعتماد كان الصوت مجهوراً وإذا أضعف كان الصوت مهموساً ¹ .	العضو المسؤول عن عملية الجهر
جعل المحدثون الأصوات المجهورة خمسة عشر صوتاً هي: الباء - الميم - الذال - الظاء - النون - الدال - الزاي - اللام - الضاد - الراء - الياء - الواو - الجيم - الغين - العين بالإضافة إلى الصوائت ² .	بلغ عدد الأصوات المجهورة عند علماء اللغة القدامى تسعة عشر صوتاً هي: الظاء - اللام - القاف - الواو - الراء - الباء - الضاد - الهمزة - الذال - الغين - الزاي - الألف - الجيم - النون - الدال - الميم - الطاء - الياء - العين.	عدد الأصوات المجهورة

وبناءً على هذا انتقلت الأصوات الثلاثة (الهمزة - الطاء - القاف) عند المحدثين من قائمة الأصوات المجهورة إلى قائمة الأصوات المهموسة؛ لأن التجارب والمعامل الصوتية الحديثة قد اثبتت لهذه الأصوات الثلاثة صفة الهمس؛ لكونها لا يهتز معها الوتران الصوتيان عند مرور الهواء بهما.

¹ - سيويو: 434/4.

² - الغامدي: 66.

1. صوت الهمزة:

جعل ابن الحاجب وشارح كتابه الرضي الهمزة ضمن الأصوات المجهورة، وهذا ما كان عليه كل من سبقهم من علماء من أمثال سيويوه وابن جني وابن عصفور وغيرهم، في حين عدّها بعض المحدثين من الأصوات المهموسة مثل:

حسام البهنساوي، رمضان عبدالنواب، عبدالرحمن أيوب، منصور الغامدي¹.

وبعضهم الآخر وصفها بأنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس؛ لأن وضع الوترين حال النطق بها لا يسمح بالقول بوجود ما يسمى بالجهر أو الهمس².

ومن هؤلاء: أحمد مختار عمر³، عبدالقادر عبدالجليل⁴، كمال بشر الذي وضح هذا بقوله: "إن وضع الوترين الصوتين - حال النطق بالهمزة - لا يمكن وصفه بالذبذبة أو عدمها، فالوتران مغلقان إغلاقاً تاماً، فلا ذبذبة، ولا مجال لخروج الهواء من بينهما... نحن نرى أن الهمس ليس معناه عدم الجهر أو بعبارة أدق،... للأوتار الصوتية - في نظرنا - ثلاثة أوضاع رئيسية في الكلام العادي: وضع لها حالة الجهر وآخر حالة الهمس وثالث عند النطق بالهمزة العربية، ولكن يبدو أن الباحثين المذكورين اكتفيا بوضعين اثنين لهذين الوترين، وهو ما لا نأخذ به"⁵.

ووصف ابن الحاجب للهمزة بأنها مجهورة لا يتوافق مع ما هو موجود في الدرس الصوتي الحديث. وقد حاول بعض العلماء المحدثين أن يفسروا هذا فتوصلوا إلى أن علماء العربية القدامى لم يوقفوا في وصف الهمزة؛ لأنهم لعلم وصفوها حالة كونها متبوعة بحركة، فأحسوا بالجهر بسبب وجود الحركة، إذ الحركات في العربية كلها مجهورة.

1 - حسام البهنساوي. علم الأصوات. (القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية. 2004). 50.

- عبدالرحمن أيوب. أصوات اللغة. (بلا. مكتبة الشباب. بلا). 183.

- الغامدي: 67.

2 - الحمد: 241.

3 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 324.

4 عبدالجليل. علم اللسانيات. 310.

5 - بشر: 110، 111.

أو لعلهم كانوا يصفون همزة مسهلة (ما تسمى بهمزة بين بين) وفي نطق الهمزة المسهلة لا تقفل الأوتار الصوتية إقفالاً تاماً بل يكون إقفالهما تقريبياً وحينئذ يحدث الجهر حال النطق¹.

2. صوت الطاء :

التفسير الصوتي للطاء عند علماء العربية القدامى أنه:

صوت من بين طرف اللسان وأصول الثنايا، شديد، مجهور، مفخم.

ومن بين هؤلاء العلماء ابن الحاجب والرضي الاسترلابادي، فهما قد أدرجاها تحت قائمة الأصوات المجهورة، فجاء وصفهم كنتيجة لما أتيح لهم من إمكانات، واعتمادهم في تصنيفهم على الملاحظة الذاتية، مما جعل نتائجهم أقل دقة من علماء الدرس الصوتي الحديث، أما التفسير الصوتي للطاء في الدرس الصوتي الحديث هو :

أنه صوت لثوي أسناني، انفجاري، مهموس، مفخم.

يقول كمال بشر: "لقد نص هؤلاء العلماء على الأصوات المجهورة نصاً، وهي في مجموعها تتفق مع ما عدناه مجهوراً فيما عدا صوتي القاف والطاء.... فهما في نظرهم مجهوران، على حين أنهما مهموسان بحسب نطقنا الحالي لهما"².

وهنا يترجح لدى بعض المحدثين أن صوت الطاء الذي وصفه القدامى بأنه صوت مجهور يختلف عن طائنا الحالية.

3. صوت القاف :

القاف العربية التي نتكلمها اليوم تعد صوتاً مهموساً كما جاء في وصف علماء الدرس الحديث، في حين عدّها ابن الحاجب من الأصوات المجهورة، وما عدا ذلك من صفات لهذا الصوت هو محل اتفاق بينهما، وقد حاول بعض العلماء إيجاد تفسير للسبب الذي حمل هذا العالم وغيره من

1 - بشر: 115، 116.

2 - بشر: 115.

المتقدمين على وصف القاف بالجهر، فذهبوا إلى احتمال أن يكونوا وصفوا قافاً أشبه بالجاف المصرية التي تنطق في الصعيد وبعض جهات الوجه البحري¹.

في حين يرى بعض المحدثين أن القاف التي نعتها القدامى بالجهر هي ذات القاف التي نطقها اليوم، أي أنها ذات القاف التي يرى المحدثون أنها صوت مهموس، وأن الاختلاف في الوصف راجع إلى الاختلاف في معيار الجهر والهمس عند الفريقين، فالمحدثون اتخذوا منذبذة الوترين الصوتيين وعدمذبذبتهما معياراً في وصف الصوت بالجهر أو الهمس، أما القدامى فإن المعيار عندهم هو زيادة الاعتماد أو الضغط على موقع الجهر مع الصوت المجهور وضعفه مع الصوت المهموس².

2. الهمس:

وهو من الصفات التي لها ضد وضده الجهر، وقد وضع الرضي الهمس بأنه إخفاء الصوت. وذكر أن السبب في كون الصوت مهموساً هو ضعف الاعتماد "ومن ضعف الاعتماد يحصل الهمس والإخفاء"³.

ويرى الرضي أن الأصوات المهموسة تخرج من مخارجها في الفم وذلك مما يرخي الصوت فيخرج الصوت من الفم ضعيفاً، في حين تخرج الأصوات المجهورة من الصدر. وقد بين الرضي كيفية معرفة الحرف المهموس بقوله: "وأما المهموسة فإنك إذا كررتها مع إشباع الحركة أو بدونه فإن جوهرها لضعف الاعتماد على مخارجها لا يحبس النفس، فيخرج النفس ويجري كما يجري الصوت بها، نحو كَكَ..."⁴.

وقد عدّ ابن الحاجب والرضي من بعده الأصوات المهموسة فبلغت عندهما عشرة هي:

(السين - التاء - الشين - الحاء - التاء - الكاف - الخاء - الصاد - الفاء - الهاء).

¹ - بشر: 115.

² - خالد العيساوي. في صوتيات القرآن. الساتل. ع. 2. 2007. 24.

³ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

⁴ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 259/3.

وقد اتفق ابن الحاجب فيما ذهب إليه مع من سبقه كسيبويه وابن جني¹.

أما المحدثون فالهمس عندهم يعني: عدم اهتزاز الوترين الصوتيين عند النطق بالأصوات المهموسة وذلك لتباعدهما.

- وهذه الأصوات قد بلغت عندهم اثني عشر صوتاً بعد أن أضافوا لها صوتي القاف والطاء وهي:
(التاء - الناء - الحاء - الخاء - السين - الشين - الصاد الطاء - الفاء - القاف - الكاف - الهاء)

مع خلاف حول صوت الهمزة فمنهم من جعلها ضمن الأصوات المهموسة².

ومما يحسب للمحدثين ذكرهم للنظائر الصوتية، فجزء من الأصوات المهموسة لها نظائر مجهورة والعكس صحيح، وقسم من الأصوات سواء المجهورة أو المهموسة لا نظائر لها.

شكل (12) الأصوات المهموسة التي لها نظائر مجهورة

مهموس	مجهور
ت	د
ث	ذ
س	ز
ط	ض
ح	ع
خ	غ

أما الأصوات المهموسة التي لا نظير لها هي: (ش - ص - ف - ق - ك - ه)³.

- والأصوات المجهورة التي لا نظير لها هي: (ب - م - ظ - ن - ل - ر - ي - و - ج).

وقد توصل علماء اللغة المحدثون إلى عدة نتائج أو لنقل ملاحظات حول الأصوات المهموسة، وهذه الملاحظات مفادها أن النطق بالصوت المهموس يتطلب جهداً عضلياً وقوة أكثر من الصوت

¹ - سيبويه: 434/4.

- ابن جني. سر الصناعة. 60/1.

² - البهناوي: 50. يعد الهمزة ضمن الأصوات المهموسة.

³ - السمران: 154، 156، 172، 173.

المجهور، كما أن الأصوات المهموسة تعتبر أقل وضوحاً من الأصوات المجهورة، والشيء الأخير الذي قرره العلماء هو أن عملية الهمس لا نعني بها الصمت المطلق للوترين الصوتيين، بل تحدث بعض الذبذبة بدليل إدراك الأذن البشرية لها¹.

بناءً على ما تقدم ذكره يمكننا أن نصل إلى نتيجة مفادها؛ أن حديث العلماء القدامى ومن بينهم ابن الحاجب - وشارحه الرضي - عن الأصوات كان استشعارياً، ودليل ذلك عدم معرفتهم بالدور الأساسي الذي يلعبه الوتران الصوتيان في عملية الجهر والهمس.

الأمر الذي جعل كلامهم في هذا الجانب يشوبه شيء من النقص وعدم الدقة، وذلك لاعتمادهم على حدسهم والملاحظة والتقدير لوصف هذه العملية.

ويكفي علماءنا القدامى شرف ارتياد هذا الجانب من الدراسة، وسبرهم أغوارها وتوصلهم إلى نتائج لا تختلف كثيراً عما توصل إليه المحدثون رغم قلة الإمكانيات المتوفرة.

3. الشدة :

عرفها ابن الحاجب بقوله: "والشديدة: ما ينحصر جرى صوته عند إسكانه في مخرجه فلا يجري، ويجمعها (أجدك قطبت)"².

في حين عرفها الرضي الاسترأبأذي بقوله: "ونعني بالشديدة ما إذا أسكنته ونطقت به لم يجر الصوت"³، وهو يتفق مع ابن الحاجب في عدد حروفها المجموعة عنده في قولك (أجدك قطبت).

وبالنظر إلى هذه الصفة عند المتقدمين أمثال سيبويه، وابن جني، نجد أن تعريفهم لها لا يختلف كثيراً عما هو موجود لدى ابن الحاجب وشارحه الرضي، وإن كان تعريفهما - أي ابن الحاجب والرضي - لها أكثر وضوحاً من تعريف سيبويه وابن جني.

¹ - عبدالجليل، علم اللسانيات، ص310.

² - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب، 258/3.

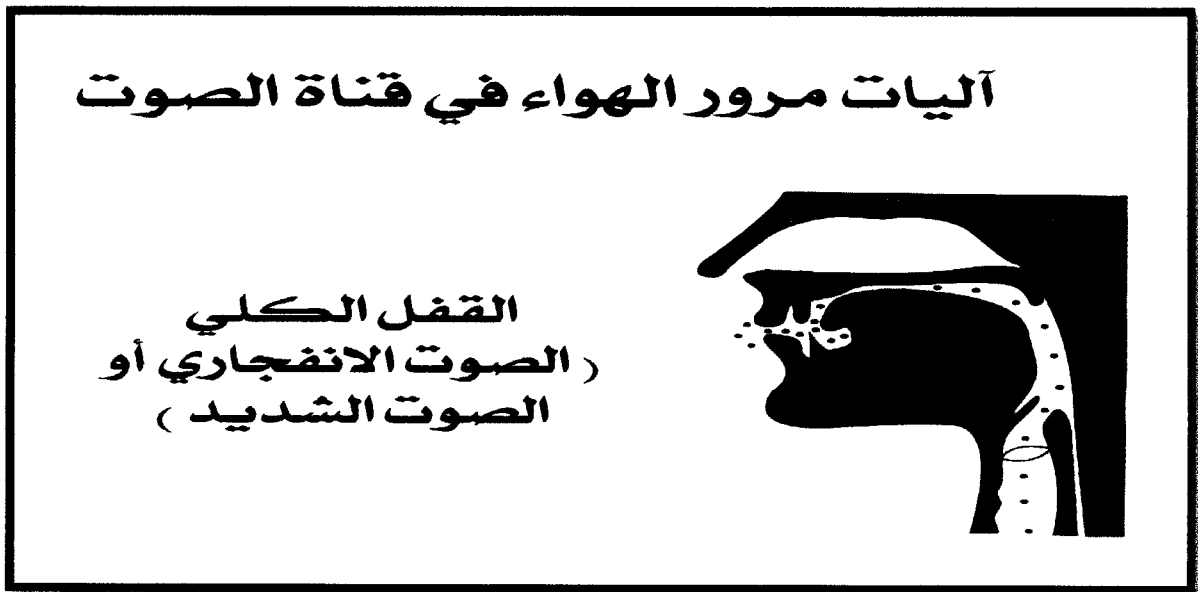
³ - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب، 260/3.

فالشديد عند سيبويه "هو الذي يمنع الصوت أن يجري فيه وهو الهمزة، والقاف، والكاف، والجيم، والطاء، والتاء، والذال، والباء، وذلك أنك لو قلت الحج ثم مددت صوتك لم يجر ذلك"¹.

ومعنى الشديد عند ابن جني هو "أنه الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه..."².

ويحدث الصوت الشديد بانحباس الهواء خلف العضوين المسؤولين عن إنتاج الصوت انحباساً تاماً، وذلك نتيجة لانطباقهما ثم بعد ذلك يسمح بمرور الهواء فجأة فيسمع صوتاً أشبه بالانفجار.

شكل(13) يوضح كيفية إحداث الصوت الشديد أو الانفجاري.³



ويقابل مصطلح الشدة عند القدامى مصطلح الانفجاري عند العلماء المحدثين، والذي يعني عندهم "الأصوات التي ينغلق فيها مجرى الهواء تماماً داخل الفم أثناء نطق هذه الأصوات⁴، ثم وقفة ثم تسريح فجائي ويشمل ذلك ثمانية أصوات ساكنة هي:

(الباء - الذال - التاء - الطاء - الضاد - الكاف - القاف - الهمزة) وتسمى هذه الأصوات عندهم

أيضاً بالوقفية⁵ والآنية⁶.

¹ - سيبويه: 434/4.

² - ابن جني. سر الصناعة. 61/1.

³ - ابن طاهر. موسوعة الأصوات العربية الإلكترونية. (2011).

⁴ - الغامدي: 67.

⁵ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 117، 322.

⁶ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 313.

وقد بين المحدثون أن الصوت الوقفي أو الانفجاري يمر بثلاث مراحل عند إنتاجه هي:

1-الإغلاق أو الحبس.

2- الإمساك وقد يكون طويل المدى أو قصيره.

3- الفتح أو الانفجار¹.

أما المواضع التي يوقف فيها الهواء وقفاً تاماً عند إحداث هذه الأصوات الانفجارية فهي:

- الشفتان: وذلك بأن تنطبق انطباقاً تاماً في حالة الباء.

- أصول الثنايا العليا: وذلك بأن يلتقي بها طرف اللسان في حالة نطق التاء والذال والطاء والضاد.

- أقصى الحنك الأعلى: بأن يلتقي به أقصى اللسان في حالة نطق الكاف.

- أدنى الحلق بما في ذلك اللهاة: و يلتقي به أقصى اللسان في حالة النطق بالقاف.

- الحنجرة: وذلك في حالة النطق بالهمزة².

ويبدو الفرق ظاهراً بين ابن الحاجب وشارحه الرضي وبين علماء الدرس الصوتي الحديث حول صفة

الشدّة، ويمكن إبراز هذا الفرق من خلال تتبع الشكل الآتي:

¹ - عبدالنواب. مدخل إلى علم اللغة. 34.

- والصوت الانفجاري يتكون من : 1. حبس "وقف" 2. إطلاق 3. صوت يتبع الإطلاق ولهذا توصف الأصوات الانفجارية بأنها أنية. السعران: 153.

² - السعران: 153، 154.

شكل(14) أهم أوجه التباين بين الرضي ومن سبقه من علماء وبين علماء اللغة المحدثين حول الأصوات الشديدة.

علماء اللغة المحدثون	العلماء القدامى من ضمنهم الرضي	نقطة التباين
ضمت قائمة المحدثين للأصوات الشديدة صوت الضاد - الذي لم يذكر عند القدامى على أنه صوت شديد - بدلاً من صوت الجيم الذي اعتبره المحدثون صوتاً مزدوجاً أو كما يسميه البعض صوتاً مركباً ¹ أو مزجياً.	اشتملت قائمة الأصوات الشديدة عند ابن الحاجب وشارحه الرضي على صوت الجيم الذي لم يذكر عند المحدثين ضمن قائمة الأصوات الشديدة.	صوت الجيم والضاد
ذكر علماء الدرس الصوتي الحديث النظائر الرخوة للأصوات الشديدة وقاموا بتوضيحها داخل كتبهم عند حديثهم عن صفتي الشدة والرخاوة.	لم يذكر علماء اللغة القدامى النظائر الرخوة للأصوات الشديدة عند حديثهم عن هاتين الصفتين.	ذكر النظائر ² الصوتية من عدمه
المحدثون من علماء الأصوات يضيفون شرطاً آخرًا للصوت الانفجاري وهو عنصر المفاجأة ³ وبالتالي يكون معنى الانفجار عندهم مشتقاً على شئيين اثنين هما انحباس الهواء، وعنصر المفاجأة.	الشدة عند القدامى لها معيار واحد ألا وهو انحباس الهواء مع الصوت الشديد.	تحديد ماهية الشدة أو الانفجار

وقد رأى بعض الباحثين أن تعريف القدامى ومن بينهم - ابن الحاجب والرضي - للجهر مشابه إلى حد كبير لتعريف الشدة⁴.

ولكن إبراهيم أنيس وضع هذا الأمر وأزال اللبس الموجود " عند حديثه عن سيبويه فقال: "ألا ترى أن سيبويه هنا - في تعريف الشديد - عبر بقوله: " منع الصوت" ولم يقل منع النفس؟ فهناك فرق بين المجهور الذي نحس فيه بمنع النفس وعدم انطلاقه حرراً طليقاً، ولكن الصوت معه لا يمنع بل نضل نسمعه، وأما في حالة الشديد فعند المخرج يمنع الصوت فلا نسمع شيئاً طالما كان الانحباس في المخرج قائماً... فسيبويه إذن لا يتناقض مع نفسه كما يظن بعض الدارسين، لأنه لا يدع مجالاً للبس، إذ فرق بين منع النفس مع المجهور، ومنع الصوت مع الشديد، فمنع النفس لا يكون إلا في الحنجرة،

1 - معنى التركيب هنا: أن نطق هذا الصوت يستلزم طريقتين من طرق النطق أولاهما الشدة أو الانفجار، والثانية الرخاوة أو الاحتكاك أي أن يبدأ شديداً ثم يدل أن يفصل فجأة يتم الانفصال ببطء
2 - المقصود بالتناظر إما اتحاد المخرج بين كل من الصوتين المتناظرين أو قرب المخرجين أحدهما من الآخر. أنيس: 25.
3 - العيساوي: 15.
4 - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 40.

وأما منع الصوت فمكانه مخرج الحرف¹ إلا أن رمضان عبدالنواب في كتابه المدخل إلى علم اللغة يبدو غير مقتنع بما ذكر من تعليل فيقول: "وقد قالوا أن الفرق بينهما أن المجهور يمنع النفس، والشديد يمنع الصوت، ولكن هذا التفريق غير واضح وضوحاً تاماً"².

والى مثل هذا المعنى أشار الرضي في شرحه بقوله: "والفرق بين الشديدة والمجهورة أن الشديدة لا يجري الصوت عند النطق بها، بل إنك تسمع به في أن ثم ينقطع، والمجهورة لا اعتبار فيها بعدم جري الصوت بل الاعتبار فيها بعدم جري النفس عند التصويت بها"³.

4. الرخاوة:

عرفها ابن الحاجب بأنها خلاف الشديدة دون أن يضع لها تعريفاً صريحاً، أما الرضي فقد عرفها بأنها "ما يجري الصوت عند النطق بها"⁴.

وهذه الصفة كما هو واضح من تعريف ابن الحاجب لها أنها عكس صفة الشدة وقد أتفق ابن الحاجب والرضي من بعده مع سيبويه وابن جني في تعريف الرخاوة. والحروف الرخوة عند ابن الحاجب والرضي ثلاثة عشر حرفاً هي:

(الثاء - الحاء - الخاء - الذال - الزاي - السين - الشين - الصاد - الضاد - الظاء - الغين - الفاء - الهاء).

ويتكون الصوت الرخو باقتراب العضوين المسؤولين عن إنتاج الصوت اقتراباً شديداً؛ فيضيق مجرى الهواء في هذا الموضع ضيقاً يسمح للهواء بالمرور مع الاحتكاك، وقد استعمل ابن سينا مصطلحي (مفردة، مركبة) في مقابل مصطلحي (شديدة، رخوة) المستعملين من قبل غيره من القدماء، يقول

1 - أنيس: 25، 126.

2 - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 40.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 260/3.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 260/3.

وتسمى هذه الأصوات أيضاً استمرارية وذلك لأنها متمادّة يمكن التغني بها واستمرار نطقها بلا انقطاع، مادام في الرئتين هواء، خلافاً للأصوات الشديدة فهي أصوات وقتية آنية لا يمكن التغني بها وترديدها، لأنها تنتهي بمجرد زوال العائق وخروج الهواء¹.

وقد رتبها إبراهيم أنيس حسب نسبة رخاوتها كما أثبت ذلك داخل المختبرات بواسطة التجارب الحديثة على النحو الآتي:

(السين - الزاي - الصاد - الشين - الذال - الثاء - الظاء - الفاء - الهاء - الحاء - الخاء - العين)².

وبالنظر إلى تصنيف الأصوات الرخوة عند المحدثين نجد أن ابن الحاجب قد خالفهم في تصنيفهم، حيث نجده جعل صوت الضاد من الأصوات الرخوة، في حين عدّ المحدثون هذا الصوت ضمن قائمة الأصوات الشديدة الانفجارية.

ولعل هذا الخلاف الموجود راجع إلى ما ذكره إبراهيم أنيس عند حديثه عن الضاد "إن الضاد القديمة قد أصابها بعض التطور حتى صارت إلى ما نعهده لها من نطق في مصر، وإن هذا التطور كان قد تم في عهد ابن الجزري، أي في القرن الثامن الهجري... والضاد القديمة كما أتخيلها يمكن النطق بها بأن يبدأ المرء بالضاد الحديثة ثم ينتهي نطقه بالظاء، فهي إذن مرحلة وسطى فيها شيء من شدة الضاد الحديثة وشيء من رخاوة الظاء العربية، ولذلك كان يعدّها القدمات من الأصوات الرخوة..."³.

5. بين الشدة والرخاوة:

عرفها ابن الحاجب بقوله: "وما بينها ما لا يتم له الانحصار ولا الجري، ويجمعها (لم يزوعنًا)"⁴.

1 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 41.

2 - أنيس: 25.

3 - أنيس: 49.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

وقد أوضأ الرضي كلام ابن الحاجب وشرحه بقوله: "إنما جعل حروف (لم يزوعُنًا) بين الشديدة والرخوة لأن الشديدة هي التي ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف، وهذه الأحرف الثمانية ينحصر الصوت في مواضعها عند الوقف، لكن تعرض لها أعراض توجب خروج الصوت من غير مواضعها"¹.

وقد اكتفى كل من سيويوه وابن جني بذكر الأصوات المتصفة بهذه الصفة دون أن يذكروا تعريفاً صريحاً لها.

إلا أن ابن جني قد أتفق مع ابن الحاجب وشارحه الرضي الاسترأبأذي من حيث عدد الأصوات المندرجة تحت هذه الصفة فقال: "والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضاً هي: (الألف - العين - والياء - واللام - النون - الراء - الميم - الواو)"².

أما سيويوه فقد نص على أنها صفة لصوت واحد وهو العين "وأما العين فبين الرخوة والشديدة، تصل إلى التردد فيها لشبهها بالحاء"³.

والأصوات المتوسطة - بين الشديدة والرخوة - يحصل في أثناء النطق بها اعتراض لمجرى النفس في مخرجه ولكن من غير أن يحصل حبساً تاماً، لأن النفس يجد له منفذاً يتسرب منه الصوت فيسمى الصوت حينئذٍ متوسطاً، وقد عدّ ابن الحاجب - والرضي من بعده - الأصوات التي بين الشدة والرخاوة فحصرها بالعدد ثمانية.

وقد تبع بعض علماء التجويد علماء العربية في عدّها ثمانية، في حين أخرج بعضهم - أي علماء التجويد - الواو والألف والياء من الحروف المتوسطة، فكانت عدتها عندهم على هذا خمسة أصوات"⁴.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 260/3.

² - ابن جني. سر الصناعة. 61/1.

³ - سيويوه: 435/4.

⁴ - الحمد: 258، 259.

وقد عرف المحدثون هذه الصفة بأنها تلك الأصوات التي ليست أصواتاً انفجارية وليست أصواتاً احتكاكية وهي تضم إلى جانب صوتي اللام والراء صوتي الميم والنون اللذين يغير الهواء مجراه في أثناء النطق بهما من الفم إلى الأنف، ولذلك يطلق عليهما الأصوات الأنفية وتطلق صفة الأصوات السائلة¹ أو المائعة أو المتوسطة على الأصوات الأربعة السابقة (الراء - اللام - الميم - النون)². ولعلّ صفة التوسط التي وصفت بها هذه الأصوات لم تكن بسبب الشدة والرخاوة، وإنما بسبب قوة وضوحها، فهذه الأصوات أشبه بحلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين، فهي تحمل من صفات الأولى تعرضها لبعض الحوائل عند النطق بها، ومن الثانية أنها ذات وضوح سمعي كبير. يقول إبراهيم أنيس: "ومن النتائج التي حققها المحدثون أن اللام والميم والنون أكثر الأصوات الساكنة وضوحاً، وأقربها إلى طبيعة أصوات اللين... ومن الممكن أن تعد حلقة وسطى بين الأصوات الساكنة وأصوات اللين، ففيها من صفات الأولى أن مجرى النفس معها تعترضه بعض الحوائل، وفيها أيضاً من صفات أصوات اللين أنها لا يكاد يسمع لها أي نوع من الحفيف، وأنها أكثر وضوحاً في السمع". إلا أن إبراهيم أنيس يرى أن السر في تسميتها بالمتوسطة هو أنها تخالف النوعين، أي أنها ليست بالشديدة أو الرخوة³.

وقد عدّ المحدثون الأصوات المتوسطة أربعة أصوات هي: (اللام - الراء - النون - الميم)⁴.

وهنا يظهر الخلاف بين ما ذهب إليه ابن الحاجب وشارحه، وما ذهب إليه المحدثون، فابن الحاجب قد جعل (العين) من الأصوات المتوسطة (بين الشديدة والرخوة).

1 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 36.

2 - البهنساوي: ص 55.

3 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 226.

4 - أنيس: 25، 27.

5 - البهنساوي: 111.

6 - أنيس: 24.

7 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 36.

- يقول إبراهيم أنيس: "قد زاد القدماء على هذه الأصوات الأربعة (العين) فعدوها صوتاً متوسطاً أيضاً، ولقلة التجارب الحديثة التي أجريت على أصوات الحلق لا تستطيع أن ترجح صحة هذه الصفة للعين"¹.

كذلك جعل المحدثون (الألف - الواو - الياء) التي صنفها القدماء على أنها من الأصوات بين الشدة والرخوة من أصوات اللين (الصوائت الطويلة) التي تمتاز بخلو مجراها من الحوائل والموانع²، وقد وصف عبدالقادر عبدالجليل ما ذهب إليه القدماء بالوهم³.

- وقد شرع الرضي بعد أن عرف صفة ما بين الشديدة والرخوة في بيان وتوضيح كيفية خروج هذه الأصوات من غير مواضعها على النحو الآتي:

1. العين :

يفسر الرضي سبب وصف العين بأنها من الأصوات المتوسطة بقوله: "أما العين فينحصر الصوت عند مخرجه، لكن لقربه من الحاء التي هي مهموسة ينسل صوته شيئاً قليلاً، فكأنك وقفت على الحاء"⁴.

- وما ذهب إليه الرضي وابن الحاجب يختلف عما ذهب إليه المحدثون فهم يرون أن العين من الأصوات الرخوة التي أشكلت على القدامى فنعتوها بأنها متوسطة، ولعلّ السر في هذا هو ضعف ما يسمع لها من حفيف إذا ما قورنت بالخين، وضعف حفيفها يقربها من الميم والنون واللام ويجعلها من هذه الأصوات التي هي أقرب إلى طبيعة أصوات اللين⁵.

¹ - أنيس: 25.

- عمر. دراسة الصوت اللغوي. 351.

- عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 81.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 322.

- أنيس: 26.

³ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 314.

⁴ - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 260/3، 261.

⁵ - أنيس: 88.

فالعين صوت مجهور مخرجه وسط الحلق، وعند النطق به يندفع الهواء ماراً بالحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق المجرى؛ ولكن ضيق مجراه عند مخرجه أقل من ضيقه مع الغين مما جعل الغين أقل رخاوة من العين¹.

فالعين - كما أتضح بواسطة صور الأشعة - يحدث عند نطقها تضيق كبير للحلق، وهذا ما دعا المحدثون إلى اعتبار العين رخواً لا متوسطاً².

وبالتالي يكون تفسير الرضي للعين بأنه صوت ينحصر عند مخرجه عند النطق به تنقصه الدقة، فهي ليس لها انحصار الشديد ولا جري الرخو.

وقد حاول الرضي والعلماء القدامى أن يوجدوا فرقاً آخرأً بين الحاء والعين باستثناء صفة الجهر، ففرقوا بينهما من ناحية وصف العين بالتوسط والحاء بالرخاوة فقال الرضي: "ولكن لقربه من الحاء التي هي مهموسة ينسل صوته شيئاً قليلاً"³.

ولكن لما أثبتت الدراسات الحديثة أن كليهما يعد من الأصوات الرخوة، حاول أحمد مختار عمر أن يضيف تفریقاً بين طبيعة الصوتين، فذهب إلى أن الفرق يكمن في ما يسمى بالانطلاق الاحتكاكي المهموس والانطلاق الاحتكاكي المجهور.

فضعف الاحتكاك مع العين المجهورة في رأيه ناتج عن محدودية الهواء الخارج من الرئتين نظراً لمروره في ممر ضيق في منطقة الوترين الصوتيين من ناحية، ولاتجاه جزء من الهواء المستعمل إلى إحداث ظاهرة الجهر من ناحية أخرى، ولهذا اعتبر جاكسون صوت العين ضعيفاً في مقابل صوت الحاء القوي⁴.

ولعلّ قلة الاحتكاك مع العين تعد مسوغاً ظاهراً لضم القدامى هذا الصوت إلى الأصوات المتوسطة.

1 - أنيس: 88.

2 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 82.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 260/3.

4 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 351، وهامش 352.

2. اللام:

وصفها الرضي ووضحها بقوله: "وأما اللام فمخرجها - أعني طرف اللسان - لا يتجافى عن موضعه من الحنك عند النطق به فلا يجري منه صوت، لكنه لما لم يسدّ طريق الصوت بالكلية كالدال والتاء بل انحرف طرف اللسان عند النطق به، فخرج الصوت من مستدق اللسان فويق مخرجه"¹.

في حين نجد ابن الحاجب صاحب المتن لم يتطرق إلى توضيحها وبيانها مطلقاً.

أما ابن جني الذي خالف سيبويه وأتفق مع ابن الحاجب والرضي في اعتبار اللام من الأحرف المتوسطة قال في وصفها: "ومن الحروف حرف منحرف، لأن اللسان ينحرف منه مع الصوت، وتتجافى ناحيتاً مستدق اللسان عند اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فويقهما وهو اللام"².

فاللام صوت قد انحرف عن موضعه، فخرج الصوت من مخرج مجاور وهو إحدى حافتي اللسان أي أن التحكم في إنتاج هذا الصوت كان عن طريق قفل المجرى في نطقه، والسماح للهواء بالمرور من نقطة أخرى جانبية³.

واللام كما وصفه الدرس الصوتي الحديث متوسط بين الشدة والرخاوة مجهور يتكون بأن يرتكز ذلق اللسان على اللثة، بحيث يسمح بتسرب الهواء من أحد جانبي الفم مصحوباً بدوي في الحنجرة بسبب اضطراب الوترين الصوتيين⁴. ويوصف هذا الصوت بأنه جانبي لأن أحد جانبي اللسان أو كليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس في الوقت الذي لا يمكنه فيه المرور من وسط الفم؛ لحيلولة طرف اللسان المتصل باللثة دون ذلك⁵.

1 - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 261/3.

2 - ابن جني سر الصناعة. 63/1.

3 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 322.

4 - القماطي: 57.

5 - عبدالتواب. المدخل إلى علم اللغة. 47، 48.

وقد ميز الالرس الصوتي الالديث بين نوعين من اللام هما: اللام المرقةة - واللام المفخمة¹.

فبينوا أن الأصل في اللام الترقيق ولكن تفخم اللام إذا عرض لها عارض يوجب التفخيم كما هو الحال في لام لفظ الالالة (الله) إذا كان يسبقها الضمة أو الفتحة، أو إذا كانت اللام مسبوقة بأحد حروف الاستعلاء².

والفرق بين اللام المرقةة واللام المفخمة يكمن في وضع اللسان مع كل منهما، فمؤخرة اللسان ترتفع ناحية الطبق مع اللام المفخمة، وتتخفض إلى قاع الفم مع اللام المرقةة، ولم يرمز الرسم العربي على الرغم من هذا الاختلاف إلى كل من اللامين برمز خاص بل جعل نوعي اللام فونيميا واحداً أو صوتاً واحداً³.

3. الميم والنون:

يقول الرضي عنهما: "وأما الميم والنون فإن الصوت لا يخرج من موضعيهما من الفم، لكن لما كان لهما مخرجان من الفم وفي الخيشوم جرى به الصوت من الأنف دون الفم، لأنك لو أمسكت أنفك لم يجر الصوت بهما"⁴.

وليس هناك أي خلاف بين ما ذكره الرضي وما جاء به الالرس الصوتي الالديث، فالعلماء المأللون وصفوا هذين الصوتين بوصف مشابه لوصف الرضي لهما فهما عندهم "النون صوت أنفي⁵ مجهور متوسط بين الشدة والرخاوة⁶، يتم نطقه بجل طرف اللسان متصلاً بالثة مع خفض الطبق ليفتح المجرى الأنفي؛ فيتسرب الهواء من التجويف الأنفي مألناً بمروره نوعاً من الالفيف لا يكاد يسمع وهي

¹ - عمر. الالسة الصوت اللغوي. 317.

² - أنيس: 64.

- الاللتواب. المأل إلى علم اللغة. 48.

³ - أنيس: 64، 65.

- الاللتواب. المأل إلى علم اللغة. 48.

⁴ - الالسترأبأذي. شرح شافية ابن الالجاب. 261/3.

⁵ - الأنفية: ومعناها في هذا الصوت، أن الهواء الالارج من الرنين، يمر في التجويف الأنفي، مألناً نوعاً من الالفيف.

⁶ - أنيس: 66.

بهذا الوصف كالميم تماماً، غير أن الفرق بينهما أن طرف اللسان مع النون يلتقي باللثة؛ فيمتنع مرور الهواء عن طريق الفم، بعكس الميم، فإن الذي يمنع مرور الهواء من الفم معهما هما الشفتان¹. وتعتبر النون من الأصوات المجهورة التي يحسن السكوت عليها؛ للغة التي تحصل في النطق غناءً أم تجويداً أم ترسلاً، ومن أجل هذا لزمته الفواصل القرآنية المسجوعة²

4. الراء:

وصفها الرضي بشيء من الوضوح حيث قال: "وأما الراء فلم يجز الصوت في ابتداء النطق به، لكنه جرى شيئاً لانحرافه وميله إلى اللام، كما قلنا في العين المائلة إلى الحاء، وأيضاً الراء مكرر، فإذا تكرر جرى الصوت معه في أثناء التكرار"³.

وأنفق سبويه مع الرضي في أن الراء تنحرف إلى مخرج اللام ولكنه يخالفه في جعله الراء صوتاً شديداً لا متوسطاً. "ومنها المكرر وهو حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره وانحرافه إلى اللام"⁴. أما ابن جني فقد جعل الراء من الأصوات المتوسطة وأثبت لها صفة التكرير بقوله: "ومنها المكرر وهو الراء وذلك أنك إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير"⁵.

وقد أتفق وصف الرضي للراء مع وصف المحدثين لها فهي عندهم من الأصوات المتوسطة المجهورة المكررة، التي يتم نطقها عن طريق ضرب طرف اللسان في اللثة ضربات متتالية مع اهتزاز الوترين الصوتيين⁶.

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 316.

- عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 49.

- أنيس: 66، 67.

² - إبراهيم السامرائي. فقه اللغة المقارن. (بيروت. دار العلم للملايين. 1987). ص125، 126.

³ - الاستراباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 261/3.

⁴ - سبويه: 435/4.

⁵ - ابن جني. سر الصناعة. 63/1.

⁶ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 317.

- القماطي: 57.

5. الواو والياء والألف :

جعل الرضي وابن الحاجب هذه الأصوات ضمن الأصوات المتوسطة، "الواو والياء والألف لا يجري الصوت معها كثيراً، ولكن لما كانت مخرجها تتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها من المهورة كان الصوت معها يكثر فيجري منه شيء...¹."

إلا أن الرضي قد فرق بين صوتي الواو والياء من جهة وصوت الألف من جهة أخرى، وذلك لكون مخرج الألف أكثر اتساعاً من مخرج الواو والياء، فقال: "واتساع مخرج الألف لهواء صوته أكثر من اتساع مخرجي الواو والياء لهواء صوتهما"².

وقد ذكر الرضي سبب ذلك وعلله بقوله: "وإنما كان الاتساع للألف أكثر لأنك تضم شفتيك للواو فيضيق المخرج وترفع لسانك قبل الحنك للياء، وأما الألف فلا تعمل له شيئاً من هذا، بل تفرج المخرج؛ فأوسعهن مخرجاً للألف ثم الياء ثم الواو، لأن سعة مخرجها أكثر"³.

أما سيويه فلم يذكر هذه الأصوات الثلاثة ضمن الأصوات المتوسطة كما فعل الرضي الاسترأبأذي إلا أنه قد فرق فيما بينها فوصف الواو والياء بأنها من الأصوات اللينة، في حين أثبت للألف صفة الهاوي فقال: "ومنها اللينة وهي الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرهما...، ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو لأنك قد تضم شفتيك في الواو وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف"⁴. أما الخليل بن أحمد الفراهيدي فقد وصف هذه الأصوات في كتابه العين بأنها هوائية وأنها لا تقع ضمن مدرج من المدارج⁵.

1 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 261/3.

2 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 261.

3 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 261.

4 - سيويه: 436، 435/4.

5 - الفراهيدي: 57/1.

كذلك ابن جني أشار إلى أن هذه الأصوات الثلاثة أكثر الأصوات اتساعاً في المخرج وخاصة الألف وجعلها هو أيضاً من الأصوات المتوسطة¹.

وبالنظر إلى الدرس الصوتي الحديث نجد أن هناك خلافاً بين ما هو موجود فيه حول هذه الأصوات، وبين ما أورده الرضي وغيره من القدامى الذين عدّوا هذه الأصوات متوسطة بين الشديدة والرخوة، والخلاف يمكن في أن الدرس الصوتي الحديث قد جعل (الألف والواو والياء) من الأصوات الصائتة الطويلة، التي تتميز بنطق مفتوح خالي من أي عائق وبطبيعتها الرنانة المصوتة².

وقد عرف المحدثون أصوات العلة بأنها "الأصوات المجهورة، التي يحدث في تكوينها، أن يندفع الهواء في مجرى مستمر، خلال الحلق والنفم، وخلال الأنف، أو معهما أحياناً، دون أن يكون هناك عائق يعترض مجرى الهواء اعتراضاً تاماً، أو تضيق لمجرى الهواء، من شأنه أن يحدث احتكاكاً مسموعاً"³.

فأول صفة من صفات أصوات العلة من خلال هذا التعريف هي الجهر، ومعناه تذبذب الوترين الصوتيين حال النطق بها، وصفتها الثانية أن صوت العلة يخرج حراً طليقاً من دون عائق يعترضه أو يغيره بحيث تدركه حاسة السمع بوضوح.

ومن مظاهر الخلاف أيضاً بين الرضي والمحدثين تمييز الدرس الصوتي الحديث بين الواو والياء من حيث كونهما أنصاف علل أو أصوات علة، وهذا التمييز غير موجود عند الرضي، وقد بين أحمد مختار عمر الفرق بين هذين الصوتين عند اعتبارهما أنصاف علة أو أصوات علة فيما يأتي:

1. قلة وضوح الأولى بالنسبة للثانية.

2. ضيق المجرى مع الأولى بالنسبة للثانية.

1 - ابن جني. سر الصناعة. 61/8.

2 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 135.

3 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 91.

3. الخواص الوظيفية لكل منهما مختلفة عن الأخرى، فالواو والياء كنصفي علة تقومان بدور الأصوات الساكنة وتقعان موقعها تماماً في التركيب الصوتي للغة العربية، ويتضح هذا من

الثنائيات الآتية:

بَلَد - وُلِد - نَتْرَك - يَتْرَك

ثَعْر - ثَوْر - بَخْت - بَيْت

ومما يؤيد أنهما في المثالين الأولين ونحوهما يؤيدان وظيفة الأصوات الساكنة أنهما كالأصوات الساكنة تماماً متبوعتان بحركات (الفتحة في كل منهما)¹ إلا أنهما ليسا بصامتتين؛ لأنه ينقصهما بعض خصائص الصوامت كالاختكاك أو الحبس التام.

ومن خلال ما تقدم عرضه عن الأصوات المتوسطة بين الشديدة والرخوة عند الرضي الاسترأبادي نجد أن هناك بعض الاضطراب وعدم الدقة في تصنيف الأصوات المندرجة تحت هذه الصفة، وفي فهم ماهية أو تعريف الصفة في ذاتها.

فهو قد صنف العين والواو والياء والألف ضمن هذه الأصوات، وهذا مخالف لما هو موجود في الدرس الصوتي الحديث المعتمد في ما توصل إليه من نتائج على التجارب والاختبارات. كما أنهم جعلوا معنى متوسطة أنها بين الشديدة والرخوة ولعلّ في ذلك نظر لأن المقصود بالمتوسطة عند المحدثين هو أنها متوسطة بين الأصوات الصامته والحركات².

6. الإطباق:

وعرفها ابن الحاجب بقوله: "والمطبقة ما ينطبق على مخرجه الحنك، وهي الصاد والضاد والطاء

والظاء"³.

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 330، 331.

² - أنيس: 27.

³ - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

ووضح الرضي هذا التعريف الوارد عن ابن الحاجب وبين معنى "ما ينطبق على مخرجه الحنك" بقوله: "لأنك ترفع اللسان إليه فيصير الحنك كالطبق على اللسان، فتكون الحروف التي تخرج بينهما مطبقاً عليها"¹.

وما جاء به ابن الحاجب وشارحه الرضي يتفق مع ما هو موجود عند سيبويه وابن جني، فابن جني يجعل الحروف المطبقة أربعة فيقول "المطبقة أربعة هي الضاد والصاد والطاء والظاء". ثم يعرض إلى تعريف الإطباق فيقول: "أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً والصاد سيناً والطاء ذالاً ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدت"².

ومما يحسب للرضي الاسترابادي أنه أشار بوضوح إلى وضع التقعر الذي يتخذه اللسان عند النطق بالحروف المطبقة، وهذا الوضع قد أشار إليه المحدثون في كلامهم إلا أن القدامى مثل سيبويه، وابن جني، وحتى ابن الحاجب، لم يصرحوا بذلك يقول الرضي: "فيصير الحنك كالطبق على اللسان" وقوله هذا يدل على إدراكه حالة التقعر التي يكون عليها اللسان عند نطق تلك الأصوات الأربعة. وقد جعل القدامى الإطباق صفة مميزة لهذه الحروف عن مشاركتها في المخرج، فسيبويه قد صرح بأن لولا الإطباق لصارت الطاء دالاً، والصاد سيناً، والطاء ذالاً، وقد تبع سيبويه في ذلك مجموعة من العلماء من بينهم ابن جني مثلاً، إلا أن الدرس الصوتي الحديث قد بين أن النظير المرقق للطاء هو التاء.

1 - الاسترابادي. شرح شافية بن الحاجب. 262/3..

2 - ابن جني. سر الصناعة. 61/1.

شكل (16) يبين نظائر الأصوات المفخمة في الدرس الصوتي الحديث.

ص	س
ط	ت
ض	د
ظ	ذ ¹

والمحدثون قد أطلقوا على الإطباق مصطلح التفخيم "ويسمى الصوت مفخماً أو مطبقاً نظراً لارتفاع مؤخرة اللسان تجاه الطبق، وهو الجزء الرخو من سقف الحنك... والأصوات المفخمة في العربية، هي: الصاد، والضاد، والطاء، والظاء"².

وقد عرفه أحمد مختار عمر بقوله: "والتفخيم معناه ارتفاع مؤخر اللسان إلى أعلى قليلاً في اتجاه الطبق اللين وتحركه إلى الخلف قليلاً في اتجاه الحائط الخلفي للحلق، ولذلك يسميه بعضهم الإطباق بالنظر إلى الحركة العليا للسان"³. إلا أنهم قد بينوا أن هناك بعض الأصوات تعرض لها صفة التفخيم عند مجاورتها بعض الأصوات المفخمة داخل السياق كما في حالة السين أو بسبب آخر كما هو مع الراء.

وقد قسم أحمد مختار عمر الأصوات المفخمة إلى ثلاثة أنواع:

1. أصوات كاملة التفخيم أو مفخمة من الدرجة الأولى وهي الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، واللام المفخمة.

2. أصوات ذات تفخيم جزئي أو مفخمة من الدرجة الثانية وهي الخاء، والغين، والقاف.

3. صوت يفخم في مواقع ويرقق في مواقع وهو الراء.

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 125.

² - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 37.

³ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 326.

ويلاحظ أن كلاً من الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، لها مقابل مرقق ولذلك تراعي اللغة الفصل بحسم بين المتقابلين حتى لا يقع اللبس فلذلك عدت مفخمة من الدرجة الأولى¹. وقد فرق المحدثون بين الإطباق والطبقية فجعلوا الطبقة ارتفاع مؤخرة اللسان، حتى يتصل بالطبق فيسد المجرى، أو يضيقه تضيقاً يؤدي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقائهما؛ فهي إذن حركة عضوية مقصودة لذاتها، ويبقى معها طرف اللسان في وضع محايد، أما الإطباق فارتفاع مؤخرة اللسان في اتجاه الطبقة، يغلب أن يكون طرف اللسان أحد الأعضاء العاملة فيه².

7. الانفتاح:

وهو عكس الإطباق وضده؛ بمعنى أنه إذا وجد أحدهما في صوت لم نجد فيه الآخر. وهذا يفهم من قول ابن الحاجب: "والمنفتحة بخلافها"³.

وقد بين الرضي المراد من كلام ابن الحاجب بقوله: "لأنه تتفتح ما بين اللسان والحنك عند النطق بها"⁴.

فهو بقوله هذا ذكر السبب في تسمية الأصوات المندرجة تحتها بهذا الاسم، وتشمل الأصوات المنفتحة أصوات اللغة العربية بعد استثناء المفخمة "المطبقة" منها.

يقول ابن جني: " فالمطبقة أربعة هي الضاد، والصاد، والطاء، والظاء، وما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق"⁵.

ويقابل مصطلح الانفتاح عند القدامى الترقيق عند المحدثين، وقد تناسب ما جاؤوا به حول هذه الصفة مع القدامى وبخاصة ابن الحاجب وشارحه الرضي.

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 325، 326.

² - تمام حسان. مناهج البحث في اللغة. (القاهرة. مكتبة الانجلو المصرية. 1955). ص 89.

³ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

⁴ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 262/3.

⁵ - ابن جني. سر الصناعة. 61/1.

8. الاستعلاء:

وقد عرفها ابن الحاجب بقوله: "والمستعلية ما يرتفع اللسان بها إلى الحنك وهي المطبقة والخاء والغين، والقاف".

ويتفق معه شارح منته الرضي الاسترلابادي الذي عرفها بقوله: "والمستعلية ما يرتفع بسببها اللسان، وهي المطبقة والخاء، والغين، المعجمتان، والقاف؛ لأنه يرتفع اللسان بهذه الثلاثة أيضاً لكن لا إلى حد انطباق الحنك عليها"¹.

وبالنظر إلى المتقدمين على الرضي وابن الحاجب نجد أن سيبويه لم يذكر هذه الصفة عند حديثه عن صفات الأصوات في حين نجدها قد ذكرت عند ابن جني في "سر الصناعة". وهي عنده سبعة أحرف (الخاء، والغين، والقاف، والضاد، والطاء، والصاد، والظاء).

والاستعلاء عند ابن جني معناه "أن تتصعد في الحنك الأعلى؛ فأربعة منها فيها مع استعلائها إطباق وأما الخاء، والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها"².

وهناك فرق بين صفة الإطباق وصفة الاستعلاء وهو أن الإطباق من الصفات المميزة للأصوات المتصفة بها عن غيرها من الأصوات المشاركة لها في المخرج، أما الاستعلاء فإنه يشير إلى حالة اللسان أثناء النطق بهذه الأصوات.

وعبارة الرضي "لأنه يرتفع اللسان بهذه الثلاثة أيضاً لكن لا إلى حد انطباق الحنك عليها". تشير إلى أن الإطباق يلزمه الاستعلاء في حين أن الاستعلاء لا يلزمه الإطباق أو بعبارة أخرى أن كل صوت مطبق هو مستعلٍ وليس كل صوت مستعلٍ مطبق.

¹ - الاسترلابادي، شرح شافية ابن الحاجب. 262/3.

² - ابن جني، سر الصناعة. 62/1.

9. الانخفاض:

لم يعرف ابن الحاجب هذه الصفة واكتفى بقوله: " والمنخفضة بخلافها"¹ أي خلاف المستعلية.

أما الرضي فقد وضح ما أجمله ابن الحاجب بقوله: "والمنخفضة ما ينخفض معه اللسان ولا يرتفع، وهي كل ما عدا المستعلية"².

وسبويه في كتابه لم يذكر هذه الصفة، أما ابن جنى فقد ذكرها عند حديثه عن صفات الأصوات وأشار إلى الحروف المندرجة تحت هذه الصفة بقوله: "وما عدا هذه الحروف - أي أحرف الاستعلاء - فمنخفض"³.

10. الذلاقة:

عرفها ابن الحاجب بأنها " ما لا ينفك رباعي أو خماسي عن شيء منها لسهولتها، ويجمعها (مرينفل)"⁴.

وقد بين الرضي السبب في سهولة هذه الحروف وعلة بقوله: "وهذه الحروف أخف الحروف، ولا ينفك رباعي ولا خماسي من حرف منها، إلا شاذاً... وذلك لأن الرباعي والخماسي ثقيلان؛ فلم يخلوا من حرف سهل على اللسان خفيف"⁵.

وسبويه لم يذكر هذه الصفة عند حديثه عن صفات الأصوات، أم ابن جنى فقد ذكرها بقوله: "ومنها حروف الذلاقة وهي ستة: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه، فمتى وجدت كلمة رباعية أو خماسية معرأة من بعض هذه الأحرف الستة فأقضى بأنه دخيل في كلام العرب وليس منه"⁶.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 262/3.

3 - ابن جنى. سر الصناعة. 62/1.

4 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

5 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 262/3.

6 - ابن جنى. سر الصناعة. 65/1.

كذلك هو الحال عند الخليل فقد تحدث عنها وذكرها بقوله: "فإن وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معرأة من حروف الذلق أو الشفوية ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك، فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ليست من كلام العرب"¹.

وبالنظر إلى المحدثين وما أوردوه من آراء حول هذه الصفة فإننا نجد إبراهيم أنيس قد أوضح سبب تسمية هذه الأصوات بحروف الذلاقة وعلله بأنه ليس راجعاً إلى مخرجها أو صفاتها أو أي ناحية صوتية، وإنما هو راجع إلى كثرة شيوعها في الكلام العربي، فقال: "ويبدو أن كلمة الذلاقة هنا لا تعني أكثر من معناها الشائع المألوف وهو القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم... ولما كانت هذه الحروف الستة هي أكثر الحروف شيوعاً في الكلام العربي، أطلق عليها حروف الذلاقة دون النظر إلى مخرجها أو صفاتها أو أي ناحية من نواحي الدراسة الصوتية"².

11. الإصمات:

وهذه الصفة ضد الذلاقة وعرفها ابن الحاجب بقوله: "والمصممة بخلافها لأنه صمت عنها في بناء رباعي أو خماسي منها"³. ووضحها الرضي بقوله: "والمصممة : ضد حروف الذلاقة، والشيء المصمت هو الذي لا جوف له، فيكون ثقيلًا".

كما أوضح سبب التسمية بقوله: "سميت بذلك لتقلها على اللسان، بخلاف حروف الذلاقة. وقيل: إنما سميت بذلك لأنها أصممت عن أن يبني منها وحدها رباعي أو خماسي، والأول أولى، لأنها ضد حروف الذلاقة في المعنى؛ فمضادتها لها في الاسم أنسب"⁴.

¹ - الفراهيدي: 52/1.

² - أنيس: 110.

³ - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

⁴ - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 262/3، 263.

والأحرف المصمته هي كل ماعدا حروف الذلاقة، وصفة الاصمات لم يذكرها سيبويه في كتابه، في حين ذكرها ابن جني بقوله: "ومنها الحروف المصمته وهي باقي الحروف"¹.

وبالنظر إلى الخليل نجده قد ذكر هذه الصفة إلا أنه لم يستخدم مصطلح (المصمته) في مقدمة العين لكنه ذكر مصطلح الحروف (الصتم)².

والملاحظ على صفتي الذلاقة والاصمات أنهما ليس لهما دلالة صوتية محددة وهما ألصق بالدراسة الصرفية من بعض الجوانب³.

12. القلقة:

وضع النحاة العرب الأصوات العربية الانفجارية (الشديدة) المجهورة في طبقة واحدة سموها القلقة، وتعد صفة القلقة من الصفات المحسنة التي لا ضد لها.

وقد عرفها ابن الحاجب بقوله: "ما ينضم إلى الشدة فيها ضغط في الوقف"، وحصرتها بقوله: "ويجمعها

(قطبج)"⁴، وقد أوضح الرضي سبب تسميتها بحروف القلقة بقوله: "إنما سميت حروف القلقة لأنها

يصحبها ضغط اللسان في مخرجها في الوقف مع شدة الصوت المتصعد من الصدر، وهذا الضغط

التام يمنع خروج ذلك الصوت، فإذا أردت بيانها للمخاطب احتجت إلى قلقة اللسان وتحريكه عن

موضعه حتى يخرج صوتها فيسمع"⁵.

وقد اشترط علماء العربية والتجويد لحصول القلقة في الحرف اجتماع الشدة والجهر فيه⁶.

وبالنظر إلى الأصوات الخمسة المقلقة عند علماء العربية وهي (قطب جد) نجدها لا تتوافق مع

معطيات الدرس الحديث؛ ذلك لأن الطاء والقاف من الأصوات المهموسة في نطق العربية الفصحى

المعاصرة، ومن تم تخلف فيهما أحد شرطي القلقة وهو الجهر.

1 - ابن جني. سر الصناعة. 64/1.

2 - الفراهيدي: 54/1، 55.

3 - الحمد: 296.

4 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

5 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 263/3.

6 - الحمد: 304.

ولكن نلاحظ أن قراء القرآن وناطقى العربية يحرصون على إتباع هذين الصوتين عند الوقف بصويت القلقة محافظة منهم على سنية القراءة¹.

وقد استخدم علماء التجويد والعربية كلمة (صويت) للتعبير عن الصوت الذي يسمع عند الوقف على الحروف المقلقة، وهذه الكلمة قد استخدمها سيبويه عند حديثه عن ظاهرة القلقة "إن من الحروف حروفاً مشربة، ضغطت من مواضعها، فإذا وقفت خرج معها من الفم صوت..."².

وقد أكدت الدراسة الصوتية الحديثة ما ذهب إليه القدامى يقول السعران: "وبسبب هذا الصوت الإضافي تنتقل هذه الأصوات الانفجارية من السكون إلى شبه الحركة"³.

13. الصفير:

عرفها ابن الحاجب بقوله: "وحروف الصفير ما يصفّر فيها"، وقد أحصاها بقوله: "وهي الصاد

والزاي والسين"⁴.

وابن جنى والرضي الاسترلابادي لم يعرضا لهذه الصفة بالشرح والتوضيح أو حتى مجرد الإشارة عند ذكرهما صفات الأصوات، وسيبويه بدوره أيضاً لم يذكرها في معرض حديثه عن الصفات؛ ولكنه ذكرها في ثنايا حديثه عن إدغام هذه الأصوات وعدمه حيث قال: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغم في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنها حروف الصفير، وهن اندى في السمع"⁵.

والصفير صفة ذاتية في هذه الأصوات لا تنفك عنها، وتطرق العلماء إلى هذه الصفة وحديثهم عنها على الرغم من أنها ليست ذات أثر في التفريق والتمييز بين الأصوات يدل على إدراكهم الخصائص الدقيقة لكل صوت من الأصوات⁶.

1 - العيساوي: 27.

2 - سيبويه: 174/4.

3 - السعران: 161، 162.

4 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

5 - سيبويه: 464/4.

6 - الحمد: 315.

وما ذهب إليه القدامى من علماء العربية يتفق مع ما هو موجود عند المحدثين الذين لاحظوا هذه الصفة وتحدثوا عنها وحصروا أصواتها وعللوا سبب تسميتها بالصفيرية.

يقول احمد مختار عمر: "وسميت صفيرية لقوة الاحتكاك معها، والسبب في قوة الاحتكاك هو أن نفس المقدار من الهواء مع (الثاء) يجب أن يمر مع (السين) خلال منفذ أضيق"¹.

14. اللين:

وهذه الصفة ذكرها ابن الحاجب في الشافية بقوله: "واللينة حروف اللين"²، وقد ذكر سيوييه حروف اللين وحددها بأنها الواو والياء "ومنها اللينة وهي الواو والياء لأن مخرجهما يتسع لهواء الصوت أشد من اتساع غيرها"³، وحروف اللين هي تلك الواو الساكنة أو الياء الساكنة المسبوقة بفتحة نحو: (بَيْت - يَوْم). وقد سميا حرفي لين في هذه الحالة لأن حركة ما قبلهما ليست من جنسهما، فنقص مقدار المد فيهما ولكن لسبب سكونهما بقي فيهما شيء من اللين فسميا بهذا الاسم، وتكون الواو والياء حرفي مد عندما تكون حركة ما قبلهما من جنسهما نحو: (سُور - سَمِيع).

15. الانحراف:

وهذه الصفة أيضاً من الصفات الخاصة بصوت واحد ألا وهو اللام، وقد أشار إليه ابن الحاجب بقوله: "والمنحرف اللام لأن اللسان ينحرف به"⁴. وقد علل الرضي سبب تسمية اللام بالمنحرف بقوله: "وإنما سمي اللام منحرفاً لأن اللسان ينحرف عند النطق به، ومخرجه من اللسان - أعني طرفه - لا يتجافى عن موضعه من الحنك وليس يخرج

1 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 118.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

3 - سيوييه: 435/4.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

الصوت من ذلك المخرج، بل يتجافى ناحيتها مستدق اللسان، ولا تعترضان الصوت، بل تخليان طريقه، ويخرج الصوت من تينك الناحتين"¹.

ويتفق ما ذهب إليه ابن الحاجب وشارح منته الرضي مع ما هو موجود عند سيبويه في كتابه، وابن جني في سر الصناعة.

يقول سيبويه: "ومنها المنحرف وهو حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف اللسان مع الصوت وهو اللام... وليس يخرج الصوت من موضع اللام ولكن من ناحيتي مستدق اللسان وفويق ذلك"².

أما ابن جني فيقول: "ومن الحروف حرف منحرف لأن اللسان ينحرف فيه الصوت وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت من تينك الناحتين ومما فويقهما وهو اللام"³.

أما المحدثون فقد استخدموا للتعبير عن مصطلح (الانحراف) مصطلح (الجانبي)⁴، واتفقوا في إضافة هذه الصفة لصوت اللام.

وقد وضح رمضان عبدالتواب معنى جانبي بقوله: " ومعنى أنه صوت جانبي، أن أحد جانبي اللسان، أو كليهما يسمح للهواء الخارج من الرئتين بالمرور بينه وبين الأضراس، في الوقت الذي لا يمكنه فيه المرور من وسط الفم، لحيلولة طرف اللسان المتصل بالثة دون ذلك"⁵.

16. المكر:

ويقال لها التكرار والتكرير"⁶.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 263/3، 264.

2 - سيبويه: 235/4.

3 - ابن جني. سر الصناعة. 63/1.

4 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 120، 322.

5 - عبدالتواب. المدخل إلى علم اللغة. 48.

6 - الحمد: 315، 316.

وهذه الصفة خاصة بصوت واحد من أصوات العربية وهو الراء، وقد ذكر ابن الحاجب هذه الصفة وأثبتها لصوت الراء وعلل سبب هذه التسمية بقوله: "والمكرر الراء، لتعثر اللسان به"¹.

أما الرضي فقد كان أكثر وضوحاً من ابن الحاجب في تعليل سبب هذه التسمية بقوله: "وإنما سمي الراء مكرراً لأن طرف اللسان إذا تكلم به كأنه يتعثر: أي يقوم فيتعثر؛ للتكرير الذي فيه ولذلك كانت حركته كحركتين"².

ويتفق مع ابن الحاجب والرضي فيما ذهبوا إليه كلٌّ من سيبويه³، وابن جني⁴، فكلاهما أثبت هذه الصفة للراء.

وقد أتفق الدرس الصوتي الحديث مع القدامى في هذه الصفة ووصفها وأثبتها لصوت الراء، "فالراء عندهم صوت تكراري يتم نطقه بأن يترك اللسان مسترخياً في طريق الهواء الخارج من الرئتين، فيرفرف اللسان، ويضرب طرفه في اللثة ضربات متكررة، وهذا معنى وصف الراء بأنه صوت تكراري، هذا بالإضافة إلى حدوث ذبذبة في الأوتار الصوتية عند نطق هذا الصوت"⁵.

17. الهاوي:

وهذه الصفة أثبتها ابن الحاجب والرضي من بعده للألف يقول ابن الحاجب: "والهاوي الألف؛ لاتساع هواء الصوت به"⁶.

أما الرضي فقد قال عنه عند حديثه عن الأصوات المتوسطة بين الشديدة والرخوة "واتساع مخرج الألف لهواء صوته أكثر من اتساع مخرجي الواو والياء لهواء صوتهما فلذلك سمي الهاوي، أي ذات الهواء"⁷.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 264/3.

3 - سيبويه: 435/4.

4 - ابن جني. سر الصناعة. 63/1.

5 - عبدالقواب. المدخل إلى علم اللغة. 48.

6 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

7 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 261/3.

وقد فسر الرضي معنى الهاوي بقوله: "ومعنى الهاوي ذو الهواء"¹.

وسيبيويه أيضاً ذكر هذه الصفة وخصّ بها صوت الألف فقال: "ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو"².

أما الخليل فقد قال عن الألف ومعها الواو والياء والهمزة أنها جوف لأنها "لا تقع في مدرجه من مدارج اللسان ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة، إنما هي هاوية في الهواء فلم يكن لها حيز تتسب إليه إلا الجوف"³.

والدرس الصوتي الحديث أشار إلى أن الألف ليس لها نقطة إنتاج معينة على طول مجرى الهواء فاللسان معها يكون في وضع إراحة - أي ممتد في قاع الفم.

وقد أشار أحمد مختار عمر إلى سبب صعوبة وصف أصوات العلة على القدامى وأرجعه إلى طبيعة هذه الأصوات فهي قد تخرج مصحوبة باحتكاك بسيط وقد تخرج دون أن يصحبها أي احتكاك ولذلك صعب وصفها على اللغويين الأوائل⁴.

18. المهتوت:

وهي صفة خاصة بصوت التاء؛ لما يتميز به من ضعف وخفاء على حد تعبير ابن الحاجب

الذي يقول: "والمهتوت التاء، لخبائثها"⁵.

وقد علّل الرضي ووضح هو أيضاً سبب تسمية التاء بالمهتوت بقوله: "وإنما سمي التاء مهتوتاً لأن

التهت سرد الكلام على سرعة، فهو حرف - خفيف لا يصعب التكلم به على سرعة"⁶.

1 - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 264/3.

2 - سيبويه: 436/4.

3 - الفراهيدي: 57/1.

4 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 122، 345.

5 - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 258/3.

6 - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 264/3.

ويختلف الرضي وابن الحاجب مع ابن جني الذي جعل المهتوت صفة للهاء وليس للتاء فقال: "ومن الحروف المهتوت وهو الهاء وذلك لما فيها من الضعف والخفاء"¹.

إلا أنهما اتفقا على أن الضعف والخفاء هما سبب التسمية، كذلك الخليل بن أحمد قد جعل الهاء هي الصوت المهتوت في العربية "ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء"².

شكل (17) صفات الأصوات عند علماء اللغة المحدثين³.

مخارج الأصوات																													
الحنجرة	الحلق			اللهاء				الحنك اللين (الطبق)				الحنك الصلب (الغار)			اللثة				الألسان واللثة				الألسان		لثفة والألسان		لثقتان		
	هـ	ح	ع	ق	و	غ	خ	ك	ش	ج	ي	ر	ل	ن	ض	ص	س	ز	ط	ت	د	ظ	ث	ذ	ف	م	ب		
الهمزة	x			x			x								x				x	x	x						x		انفجاري
		x	x	x		x	x		x							x	x	x				x	x	x	x				احتكاكي
										x																			مركب
												x																	جانبي
											x																		تكرري
													x													x			أنفي
				x		x	x							x	x				x			x							مفخم
	x	x	x	x				x	x	x		x	x	x			x	x		x	x		x	x	x	x	x	x	مرق
			x		x	x				x	x	x	x	x				x			x	x		x			x	x	مجهور
	x	x		x			x	x	x							x	x		x	x			x						مهموس
					x					x																			أنصاف الغلل

¹ - ابن جني. سر الصناعة. 64/1.

² - الفراهيدي: 57/1.

³ - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 98.

شكل (18) مقارنة صفات الأصوات عند الرضي الاسترلابادي ومن سبقه وعلماء اللغة المحدثين.

علماء اللغة المحدثون	الرضي الاسترلابادي وعلماء اللغة القدامى	وجه التشابه أو التباين
اعتمد العلماء المحدثون في وصفهم للأصوات على عدة أسس تتمثل في: - وضع الوترين الصوتيين من حيث التذبذب وعدمه، وينتج عن هذا اتصاف بعض الأصوات بالجهر، وبعضها الآخر بالهمس. - كيفية مرور داخل مجراه وتعرضه للحبس التام أو التضيق ويترتب على هذا وجود صفتي الانفجار أو الاحتكاك. - وضع مؤخر اللسان من حيث الارتفاع والانخفاض وهذا يعطينا أصواتاً مفخمة وأخرى مرقة.	اعتمد الرضي ومن سبقه من علماء عند وصفهم للأصوات على المخارج تارة، أو على كيفية مرور الهواء داخل مجراه تارة أخرى، أو على وضعية مؤخرة اللسان.	المنهجية المعتمدة في وصف الأصوات
توصل المحدثون إلى معرفة العضو المسؤول عن الجهر والهمس وهذا العضو هو الوتران الصوتيان.	من الملاحظ على وصف الرضي ومن سبقه للأصوات بصفتي الجهر والهمس أنه كان ذاتياً وغير معتمد على معرفة الوترين الصوتيين، الأمر الذي جعل تصنيفهم لها تنقصه الدقة.	الأساس الذي تم عليه تقسيم الأصوات إلى مجهورة ومهموسة
والمقابل الحديث للمصطلحات القدامى يتمثل في: الانفجاري أو الوقفي، والاحتكاكي أو الاستمراري، والمتوسط، والأنفي، والجانبى.	اختلفت المصطلحات المستعملة للتعبير عن الصفات بين القدامى والمحدثين حيث استخدم القدامى مصطلحات مثل: الشديد، والرخو، وبين الشديد والرخو، والأغن، والمنحرف.	المصطلحات المستخدمة للتعبير عن الصفات

الأصوات الصائفة وعلاقتها بصوت الهمزة:

وهي تمثل القسم الثاني من فونيمات اللغة العربية، وهي نوعان: صوائت قصيرة (فتحة، ضمة، كسرة)، صوائت طويلة (ألف المد، واو المد، ياء المد) وهنا سنتحدث عن الطويلة منها لارتباطها بما نحن في صدد دراسته.

تمهيد:

تعتبر الأصوات الصائفة أكثر الأصوات استخداماً؛ والأرسخ في الزيادة من بين الأصوات العشر المختصة بالزيادة، ويرجع السر في ذلك إلى طبيعتها التكوينية. فالصوائت أصوات انطلاقية، مجهورة، تخرج من منطقة الفم، بعيداً عن الحنجرة أو الحلق أو اللهاة، تمتاز بخاصيتها التصويتية العالية، أي أنها من أكثر الأصوات ارتفاعاً في درجة الصوت، وهذه الأصوات تشكل الفئة الثانية من الفونيمات التركيبية للغة العربية، وتندرج تحت فئة الأصوات الصائفة ثلاثة أصوات هي: (الألف، الواو، الياء) على اعتبار أن الأخيرتين مديتان أو انتقاليتان، بالإضافة إلى الحركات القصيرة الثلاث (الفتحة، الضمة، الكسرة) وإلى مثل هذا التقسيم أشار ابن جني في كتابه سر الصناعة عندما قرر أن الحركات القصيرة ما هي إلا جزء من الحركات الطويلة فقال: "اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الفتحة والكسرة والضمة فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو"¹.

وهذه الأصوات لها دور مهم في اللغة العربية ونظمها الصوتية، والصرفية، والنحوية.

¹ - ابن جني. سر الصناعة. 17/1.

فهي التي تمثل مركز المقطع العربي أو لنقل أنها في معظم الأحيان - وذلك لمشاركة اللام والنون والميم لها في ذلك - تحتل قمم المقاطع العربية، لذا فهي تعتبر أصواتاً مقطعية؛ نظراً لما تمتاز به من قوة في الوضوح السمعي.

أما من الناحية الصرفية فإن الصوائت العربية يقع على عاتقها مهمة تقليب صيغ الاشتقاق المختلفة للمادة الواحدة.

فالفرق بين (قاتل، ومقتول، وقتيل) هو فرق يأتي من تنوع أصوات العلة.

بالإضافة إلى ذلك فإن أصوات العلة تصلح أن تكون علامة إعرابية في النحو العربي كما هو الحال في المثني، وجمع المذكر السالم، والأسماء الخمسة¹.

وعند النظر إلى الأصوات الصائتة العربية من حيث تكوينها نجد أن اللسان والشفيتين هما العضوان الأساسيان اللذان لهما دخل في تغيير شكل ممر الهواء في حالة النطق بالصوائت، فبناءً على حركة اللسان يتم تصنيف الصوائت إلى عدة تصنيفات هي:

- علة أمامية.

- علة خلفية.

- علة وسطى أو مركزية.

كما أن الشفتين لهما عدة أوضاع يتخذانها حالة النطق بالصوائت، فهما قد تتضمان أو تكسران أو تتخذان وضعاً محايداً.

فبانضمام الشفتين نحصل على الضمة والضممة الطويلة، وعندما تكسران ينتج لنا صوت الكسرة والكسرة الطويلة، أما عندما يتخذان وضعاً محايداً فذلك يكون عند النطق بالفتحة والفتحة الطويلة².

¹ - حسان. اللغة العربية. 72.

² - السمران: 183، 184.

وبالنظر إلى الجزء الذي يرتفع من اللسان عند النطق بها ومدى درجة ارتفاعه، فإننا نحصل على

تصنيف آخر للعلل هو:

- علل ضيقة.
- علل نصف ضيقة.
- علل مفتوحة.
- علل نصف مفتوحة.

وهناك تقييم آخر للعلل يمكننا أن نحصل عليه عند ملاحظتنا لثبات موضع اللسان أثناء النطق بالعلل.

فإذا ما ثبت اللسان عند النطق في مكانه الخاص نتج عن ذلك علل بسيطة، أما إذا تغير وضعه وانتقل إلى موضع علة آخر نتيجة لانزلاق اللسان إلى ذلك الموضع، نتج عن ذلك علل مركبة¹ التي بدورها تنقسم إلى عدة أقسام هي:

- علة مركبة ثنائية: إذا كانت تتكون من عنصرين.
- علة مركبة ثلاثية: حين تتكون من ثلاثة عناصر.
- علة مركبة مستوية: إذا كان النبر يستمر معها بدرجة واحدة.
- علة مركبة هابطة: إذا كان النبر ابتداءً قوياً ثم بدأ يتناقص.
- علة مركبة صاعدة: إذا كان النبر يقوى في اتجاه الآخر².

وقد أطلق على هذه الأصوات الصائتة في العربية عدة تسميات منها: (الأصوات اللينة -

الأصوات الطليقة - حروف المد - المصوتات - حروف العلة - الصائتة - الحركات)³.

¹ - السعران: 185، 186.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 139 - 141.

³ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 318.

شكل (19) الصوائت ورموزها العربية والدولية.

الرمز الدولي	الرمز العربي	اسم الصوت
i	ـ	الكسرة القصيرة
u	ـ'	الضمة القصيرة
a	ـ'	الفتحة القصيرة
i: أو ii	ي	الكسرة الطويلة
u: أو uu	و	الضمة الطويلة
a: أو aa	ا	الفتحة الطويلة
j	ي	الياء نصف العلة
w	و	الواو نصف العلة

ونظام أصوات العلة الموجود في اللغة العربية يتخذ شكلاً ثلاثياً متمثلاً في (i – u – a) حيث يعد هذا

النظام الذي تحويه العربية؛ من أقل أنظمة العلل المعروفة في اللغات من حيث العدد، في حين يمثل

نظام العلل الخماسي الموجود في الأسبانية واليونانية الحديثة وغيرها؛ أكثر أنواع الأنظمة استعمالاً

ولكنه ليس بأكثرها عدداً¹، وقد ارتبط تناول القدماء من علماء اللغة (النحو والصرف) للأصوات

الصائنة بشكل الكتابة أو لنقل (الرموز) التي تستخدم لتمثيل النطق وتصويره، مما جعل عملهم في هذا

الباب يشوبه كثير من الخلط وعدم الدقة، إضافة إلى ذلك فإننا نجد القدماء قد جعلوا الهمزة مرتبطة

ارتباطاً وثيقاً بهذه الفصيصة من الأصوات، وهي (الألف، الواو، الياء).

ولعل السبب في ذلك راجع إلى استخدام الألف للدلالة على الهمزة التي حدد لها فيما بعد رمزاً خاصاً

بها وهو عبارة عن عين صغيرة؛ ابتكرها الخليل بن أحمد منتصف القرن الثاني تقريباً².

ولعل من مظاهر ارتباط الهمزة بالألف ومن ثم بأصوات العلة جعلهم – أي القدماء – الهمزة حرف

علة تارة أو شبيهة بحرف العلة تارة أخرى.

ويظهر ذلك جلياً في موضوعي الإعلال والإبدال عندما تناولهما علماؤنا الإجلاء.

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. ص156.

² - عبدالصبور شاهين. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديدة في الصرف العربي. (بيروت. مؤسسة الرسالة. 1980). ص171.

ولهذا قد حاولت في هذه الصفحات الحديث عن طبيعة صوت الهمزة وأصوات العلة وحقيقة العلاقة بينهما.

لجعل هذه المقدمة مدخلاً لموضوعي الإعلال والإبدال عند القدماء ومقارنته بما هو عند المحدثين وتحليله من الناحية الصوتية الحديثة.

الهمزة:

طبيعة الهمزة من الناحية الصوتية:

الهمزة صوت صامت، يخرج من الحنجرة ذاتها، نتيجة لانغلاق الوترين الصوتيين تماماً فيتم

حبس الهواء خلفهما ثم ينفرج الوتران الصوتيان، فيخرج الهواء محدثاً دويماً أو انفجاراً.

ولهذا تعد الهمزة من الأصوات الصامتة، الانفجارية، الحنجرية، وقد وصفت بالانفجارية أو الوقفية مراعاة لطريقة مرور الهواء أثناء تكوينها، وبالحنجيرية نسبة لموضع النطق وهو منطقة الحنجرة.

وقد خرجت هاتان الصفتان فتشكل منهما لقباً لصوت الهمزة وهو (الوقفة الحنجرية)¹.

أما فيما يخص ملاحظة وضع الوترين الصوتيين من حيث الاهتزاز و عدمه عند النطق بالهمزة، وما يترتب على ذلك من وصف الصوت بالجهر أو الهمس، فإنه قد اختلف حول الهمزة من حيث تصنيفها ضمن الأصوات المهموسة أو وصفها بأنها صوت لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس، وكلا الأمرين له أنصاره من المحدثين².

ومهما يكن من أمر الهمزة من كونها مهموسة أو لا بالمجهورة ولا بالمهموسة، فإن هذا لا ينفي كونها صوتاً صامتاً؛ له خواص الأصوات الصامتة ولا علاقة لها بأصوات المد والعلة، فالبون شاسع بين طبيعة الهمزة، وبين طبيعة أصوات العلة والمد.

¹ - بشر: 109.

² - صوت الهمزة صوت مهموس رأي يؤيده مجموعة من العلماء منهم: شاهين: 172، أيوب: 183.
- صوت الهمزة لا هو بالمجهور ولا هو بالمهموس رأي يؤيده مثلاً: بشر: 110.

والقول بوقوع الإبدال بين الهمزة من جانب وأصوات المد والعلّة من جانب آخر قول لا تؤيده الحقيقة الصوتية، ولعل الذي دفع إلى مثل هذا الاعتقاد هو ما يعتري الهمزة من حذف وتغيير وتسهيل، أي أنها في نظرهم غير مستقرة الصورة النطقية، وبذلك فهي لم ترق إلى درجة غيرها من الأصوات الصامتة فصنّفوها ضمن الأصوات المعتلة لكونها قابلة للتحوّل والتغيير، ومن بين هؤلاء العلماء الخليل بن أحمد الفراهيدي حيث عدّ الهمزة صوتاً عليلاً على اعتبار أن الاعتلال عنده يعني التغيير من حال إلى حال، ودخول الأصوات العلية بعضها على بعض واستخلاف بعضها من بعض¹.

وأخيراً: يجب أن تشير إلى شيء مهم عن طبيعة الهمزة إلا وهو أن معنى الهمزة متصل بالنبر أو الضغط، أي أنه دليل على وظيفة قبل أن يكون دليلاً على صوت لغوي. ولعل (الهمز) أو لنقل النبر يعد من أهم المميزات التي تميزت بها لهجة قريش عن لهجة تميم، فالقرشيون لم يعرفوا الهمز مطلقاً، وبلغتهم نزل القرآن.

ألف المد:

الألف المدية يرمز لها علماء اللغة القدامى المتأخرون بالرمز الكتابي (ا) دون رأس العين

فوقه أو تحته.

أما في اصطلاح علماء اللغة المحدثين فقد تم الاتفاق على تسميته بالفتحة الطويلة، وجعلوا له رمزاً خاصاً يمثل به عند الكتابة الصوتية وهذا الرمز هو (aa).

ولعل السبب الرئيسي والأساسي في خلط القدامى بين الهمزة وأصوات العلة قد نجم عن عدم تخصيصهم رمزاً كتابياً للهمزة بادئ الأمر² واستغلالهم الرمز (ا) للدلالة على صوت الهمزة. والدليل

¹ - بشر: 119.

² - بشر: 78، 85.

- على ذلك قول ابن جني في سر صناعة الإعراب عند حديثه عن أسماء الحروف وأجناسها "اعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة"¹.
- وقوله: "أن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه؛ ألا ترى أنك إذا قلت (جيم) فأول حروف الحرف (جيم)، وإذا قلت (دال) فأول حروف الحرف (دال)... وكذلك إذا قلت (ألف) فأول الحروف التي نطقت بها همزة فهذه دلالة أخرى غريبة، على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفاً"².
- وقد علل كمال بشر سبب استغلال العلماء الرمز (ا) للدلالة على الهمزة بقوله: "أغلب الظن أنهم فعلوا ذلك لما رأوا من أن الهمزة "تقلب" فتحة طويلة في بعض مواضع التخفيف، فاستعملوها في هذه المواضع وفي غيرها كذلك طرداً للباب... وربما فعلوا ذلك تقليداً لما حدث في حالتي الياء والواو، فهما في الأصل كانتا رمزين للواو والياء بصفتهما صوتين صامتين فقط... ثم استخدمتا فيما بعد... للدلالة على الواو والياء بصفتهما حركات أي ضمة طويلة (uu) وكسرة طويلة (ii)"³.
- وقد استمر الوضع على ما هو عليه إلى أن وضع الخليل بن أحمد رمزاً خاصاً للهمزة، وهذه العلامة المميزة هي عبارة عن رأس عين صغيرة (ء) استخدمت لتصوير صوت الهمزة والدلالة عليه، وبهذا أمن اللبس والخلط الناشئين من استعمال الرمز (ا) للدلالة على شيتين في آن واحد وهما الهمزة - والفتحة الطويلة "ألف المد" هذا من الناحية الصوتية.
- أما من الناحية النحوية فإن الألف المدية - باعتبارها صائتاً طويلاً - أي حركة - فإنه لا يبتدأ به لأن والعربية لا تبدأ وحداتها بالأصوات الساكنة⁴ كما أنه لا يكون أصلاً في الأسماء والأفعال، أما الحروف والأسماء المتوغلة في البناء فإن الألف تكون فيها أصل.

1 - ابن جني. سر الصناعة. 41/1.

2 - ابن جني. سر الصناعة. 42/1.

3 - بشر: 85، 86.

4 - يجب التفرقة هنا بين استعمال القدماء والمحدثين لكلمة ساكن فالقدماء يستعملونها للدلالة على الصوائت الممتدة والصوائت غير المتبوعة بحركة.

أما المحدثون فالساكن عندهم بمعنى الصامت والمتحرك هو الصائت.

أما من الناحية الصرفية فإن ألف المد تزداد في الأفعال والأسماء في جميع المواقع باستثناء البداية، فهي تزداد ثانياً كما في: جاهد، وثالثاً كما في: ملاعب، ورابعاً كما في: مصباح، وخامساً كما في: زعفران، وسادساً كما في: استغفار.

وأخيراً بقي التذكير بأن ألف المد تعتبر صوتاً صائتاً انطلاقاً مجهوراً ذا درجة عالية من الارتفاع والوضوح السمعي، لذا فهو يصنف ضمن الأصوات المقطعية التي عادة ما تحتل موقع نواة أو مركز

المقطع العربي¹

الياء المدية واللينية:

ياء المد من الناحية الصوتية صوت انتقالي - أي ذو طبيعة مزدوجة وقابلية على التحول من

صفته كصائت طويل إلى صامت - غاري نسبة إلى مخرجه من وسط الحنك (الغار).

يرمز له بالرمز (ي) ويسمى بياء المد أو العلة، وقد رمز لها المحدثون بالرمز (ii) وأطلقوا عليها مصطلح الكسرة الطويلة.

وهي إلى جانب ذلك تعد من الأصوات ذات الوضوح السمعي لكونها مجهورة لينية، لذا فهي تصنف بناءً على هذا تصنيفاً آخرًا وهو أنها تقع ضمن دائرة الأصوات المقطعية.

وهذه الياء إذا ما اعتبرت صوتاً صامتاً فإنها تزداد في بداية الوحدة اللغوية أما باقي المواضع الأخرى التي تزداد فيها الياء فإنها تختلط بين كونها مدية أو لينية.

وتزداد الياء في مواضع منها:

- ثانياً مثل: هيمن - ميت.

- ثالثاً مثل: شريف - زرياب.

- رابعاً مثل: كبرياء - صديق.

¹ - أنيس: 160.

- خامساً مثل: مفاتيح.

- سادساً مثل: صحاري - مختلفين.

- سابعاً مثل: انهزامي.

الواو المدية والليننة:

صوت انتقالي - أي صامت وحركة طويلة - يخرج من أقصى اللسان، شفوي، مجهور، ذو

طبيعة مزدوجة له قابلية التحول من صوت صائت طويل إلى صوت صامت.

يرمز له في كتب التراث بالرمز (و) ويستخدم هذا الرمز للدلالة على الواو بنوعيهما.

أما الدرس الصوتي الحديث فقد أطلق على الواو المدية مصطلح الضمة الطويلة، ورمز لها بالرمز

(uu)، وتعتبر الواو صوتاً مقطوعياً يتمتع بخاصية الوضوح السمعي، وهذه الواو لا تزداد في بداية الوحدة

اللغوية ولكنها تزداد فيما عدا ذلك من مواضع ومثاله:

- تزداد ثانياً كما في: جوهر - كوثر.

- وثالثاً كما في: جلوس - صنوبر.

- ورابعاً كما في: أسلوب - جبروت - أعجوبة.

- وخامساً كما في: زيزفون.

- وسادساً كما في: معارضون.

- وسابعاً كما في: متنافسون.

وهكذا يتبين لنا أن الأصوات الصائتة تشكل القسم الثاني من فونيمات اللغة العربية التي لاقت عناية

كبيرة واهتماماً خاصاً من علماء اللغة المحدثين، في الوقت الذي نجد فيه علماء اللغة القدامى قد

وجهوا جل اهتمامهم للقسم الأول من فونيمات اللغة - الأصوات الصامتة - فنظروا إليها نظرة جادة

من حيث مخارجها وصفاتها، أما القسم الثاني فقد أطلقوا عليه مصطلح الحركات، وهذه الحركات لم

يولوها أي اهتمام، فبالكاد نعر على أقوال متناثرة هنا أو هناك تشير إلى شيء من خواصها أو صفاتها في كتبهم.

علم الصرف وتداخله بعلم الصوت:

علم الصرف هو أأء فنون اللغة العربية، التي تدرس الكلمة كاملة وما يحدث فيها من تغيير.

ويعء علم الصرف شعبة من شعب اللسانيات التي تتعالق فيها مباحثه بمباحث علم الأصوات.

فهو مخترع علم التصريف؛ ذلك نتيجة لولوعه بالأبنية الصرفية¹.

وقء كان الصرف في مراحله الأولى منضمأ إلى علم النحو، فوجدت الموضوعات الصرفية في ثنايا

كتب النحو، ويمرور الزمن انفصل العلمان وأصبح لكل منهما قواعد، وقوانينه، ومسائله الخاصة به،

كما أصبح لكل منهما علماءه وكتبه.

وكان أول من صنف مؤلفأ خاصأ بالصرف هو أبوعثمان المازني، وهذا المصنف هو (كتاب

التصريف).

وقء أشتهر عند المتقدمين تسمية هذا العلم بالتصريف للدلالة على المبالغة والتكثير؛ وهذا يتناسب مع

المعنى التطبيقي لعلم الصرف الذي تكثر فيه تقلبات الجذر الواحد.

ومن هؤلاء المازني، والمبرد الذي تبع المازني فصنف كتابأ في الصرف جعل له عنوان التصريف،

وابن كيسان وكتابه التصريف، وفي القرن الرابع أطلق الرماني على كتابه اسم (التصريف)، والفارسي

صنف كتابأ سماه (التكملة في التصريف)، وكذلك ابن جني².

أما المتأخرون فقد آثروا استخدام مصطلح الصرف وذلك مراعاة لأصل الكلمة، وقصدأ للاختصار،

وتماشياً مع العلم اللصيق به إلا وهو علم النحو.

والصرف والتصريف بمعنى واحد وكلاهما مستخدم الآن على السنة المتخصصين، فقد ظهرت في

العصر الحديث بعض المصنفات التي تتخذ من مصطلح (الصرف) عنوانأ لها منها (شذا العرف في

¹ - عبدالجواد حسين الياأا، زين كامل الخويسكي. الصرف العربي صياغة جديدة. (الأسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. 1988). 10.

² - صالح سليم الفاخري. علم التصريف العربي. (فاليثا. منشورات ELGA. بلا). 20/1، 21.

فن الصرف) للشيخ الحملاوي، و(الصرف الواضح) لسعيد النائلة، و(التطبيق الصرفي) لعبده الراجحي، و(عمدة الصرف) لكمال إبراهيم.

وعدد آخر من المحدثين فضل استخدام مصطلح التصريف ويأتي في مقدمتهم فخرالدين قباوة حيث سمي مؤلفه (تصريف الأسماء والأفعال) ومحمد محمود هلال وله مؤلف تحت عنوان (الوافي الحديث في فن التصريف)¹.

وهذا الفن له ثلاثة معانٍ هي :

1. **المعنى اللغوي:** معنى الصرف لغة يدور المعنى اللغوي لكلمة الصرف حول التغيير، ومنه تصريف الرياح أي تغييرها، وكذلك تصريف السحاب أي تغيير اتجاهها وأحوالها²، ولقد قال تعالى: " وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون" والصرف الشيء الخالص الذي لم يشب بغيره، وصرف المال أنفقه، وصرف الشيء رده على وجهه، وصرف الأمر دبره، وصرف الألفاظ اشتقت بعضها من بعض.

2. **المعنى الاصطلاحي العملي:** هو تحويل الأصل الواحد إلى أمثلة مختلفة لمعانٍ مقصودة لا تحصل الفائدة إلا بها مثل: (الفهم - يفهم - افهم - فاهم - مفهوم - فهيم - تفاهم - استفهم) ولهذا تعد اللغة العربية من أكثر اللغات تصريفاً، وتنتع بأنها لغة اشتقاقية؛ لكونها تصوغ للمعاني المتعددة أبنية متنوعة من الجذر الواحد، وهذا يدل على غزارة مادتها المعجمية وقدرتها الاستيعابية لكل الدلالات.

فكل مثال من الأمثلة السابقة له المعنى الخاص به دون غيره.

¹ - الفاخري، علم التصريف. 21/1.

² - مجمع اللغة العربية. المعجم الوسيط. (بلا. مكتبة الشروق الدولية. 2004). ص513.

3. **المعنى الاصطلاحي العلمي**: العلم الذي يبحث في أبنية الوحدة اللغوية وتلواناتها على وجوه

وأشكال عدة، وبما يكون لأصواتها من الأصالة، والزيادة، والحذف، والصحة، والإعلال، والإدغام،

والإمالة، وبما يعرض لتواليها من التغيرات مما يفيد معانٍ مختلفة¹.

وهذا الفرع من الدراسة اللغوية قد أفرد الصرفيين من علماء اللغة الذين أجادوا القول فيه بمكان لا

يدانيه أي مكان آخر في عالم اللغويين قديماً وحديثاً. فكشفهم عن النظام الصرفي وإمطتهم اللثام عن

أسراره جعلهم موضع إعجاب واحترام².

وقد أوضح العلماء المجال الذي يدور فيه علم الصرف فجعلوه مختصاً بالأسماء المتمكنة - أي

المعربة - والأفعال المتصرفة .

أما الأسماء المبنية كأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، والأفعال الجامدة مثل : (ليس - نعم -

بئس) والحروف بجميع أنواعها فلا يدخلها علم الصرف³.

وتعتبر شافية ابن الحاجب التي قام بشرحها العلامة الرضي الاسترلابادي من أهم كتب الصرف،

فمباحثها تسير في مادتها وطريقتها على نهج يقرب مما نجده الآن في كتب الصرف المعروفة، وإلى

جانب ذلك اشتملت على بحوث في مخارج الأصوات وصفاتها؛ ذلك لأن علم الصرف لصيق وملازم

لعلم الصوت، فعلم الصرف قد برز واستوى على سوقه من خلال نسيج الرؤية الصوتية للفونيمات

العربية، وقام على طبيعتها التكوينية وهو يعالج الأبنية الصرفية.

فنحن لا نستطيع دراسة موضوعات الصرف ما لم يكن هناك اطلاع ومعرفة بالدرس الصوتي، لأن

الوحدات الصوتية تمثل اللبانات التي تقوم عليها بنية الكلمة، فقد وقع على عاتق الدرس الصوتي

مسؤولية التمهيد لدراسة بعض الموضوعات الصرفية مثل : الإعلال، والإبدال، والإدغام، والإمالة

¹ - عبدالجليل. علم اللسانيات. 387.

² - حسان. اللغة العربية. 15.

³ - البابا، الخويسكي. الصرف العربي. 9.

فالناظر إلى اللغة العربية يجدها تتميز بأنها بناء متعدد من العلوم وتتميز هذه العلوم، بأنها مترابطة بشكل يؤدي إلى تداخلها.

ومعنى التداخل: هو أن تكون معطيات العلم الأسبق وحقائقه تدخل في تكوين العلم اللاحق له.

فعلم الأصوات الذي يتركز حول الصوت مخرجاً وصفة مفرداً أو مركباً يشارك في بناء علم الصرف الذي لا يستطيع أن يسبر أغواره إلا من كان متضلعاً ومطلعاً على علم الأصوات.

وهناك شعبة من شعب اللسانيات أطلق عليها علم الصرف الصوتي، وهو علم تتعالق فيه مباحث علمي الأصوات والصرف وتتداخل مع بعضها بشيء من التناغم والانسجام.

ولعلّ من أهم المباحث الصوتية الصرفية (الصوائت والصوامت، والمقاطع الصوتية، والنبر، والتنغيم، والإعلال، والإبدال، والقلب، والميزان الصرفي، والمجرد والمزيد).

فالميزان الصرفي الذي وضع من قبل العلماء بعد استقراءهم والذي يتألف من ثلاثة أصوات هي (الفاء - والعين - واللام) اتخذ أصلاً لوزن كلمات اللغة واعتبر النواة الصوتية الأساسية.

ولعلّ السبب في اختيار العلماء لهذه المادة الصوتية راجع إلى ما تتضمنه هذه الأصوات من خواص متميزة.

فالفاء: صوت أسناني، شفوي، احتكاكي، مهموس، مرقق.

وهو من الأصوات التي لا نظير لها في الأصوات المجهورة ولأنه شفوي فإنه يمتلك خاصية الرؤية التشكيلية الصورية حتى ولو كان همساً.

أما العين: فهو صوت حلقي، مجهور، مرقق، من الأصوات المتوسطة بين الشدة والرخاوة - على رأي بعض العلماء¹ - وأحد أفراد عائلة (لم نرع) التي تتميز بشدة وضوحها السمعي.

¹ - عبدالجليل. علم اللسانيات. ص 314.

أما اللام: فهو أحد أفراد تلك العائلة أيضاً وهو صوت لثوي، جانبي، متوسط بين الشدة والرخاوة، مجهور.

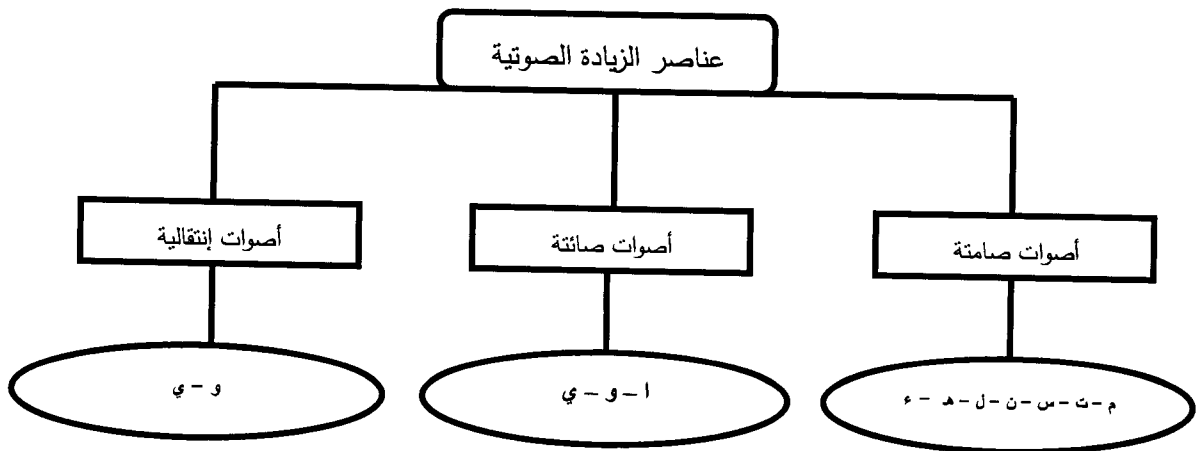
ولهذه الأسباب اختيرت هذه الأصوات لتمثل الميزان الصرفي العربي¹.

أما فيما يخص المجرد والمزيد ومن خلال النظر إلى أصوات الكلمات العربية نجد أن منها ما هو أصلي ويقابل بأصوات الميزان (فعل)، ومنها ما هو مزيد عن ذلك.

وأيضاً كان الصوت أصلياً أو مزيداً - فهو يندرج تحت قائمة الأصوات العربية بنوعها الصامتة والصائتة.

وفصيلة الأصوات المزيدة - التي تتبوأ منزلة مهمة في البناء الصرفي - ضمت النوعين معاً بالإضافة إلى الصوتين الانتقاليين (الواو - الياء).

شكل (20) عناصر الزيادة الصوتية.



1 - عبدالجليل، علم الصرف الصوتي.. 44 - 46.

وهنا في هذه الدراسة سأحاول - بعون الله - أن أسلط الضوء على أهم المسائل الصرفية التي تداخلت بالمسائل الصوتية عند ابن الحاجب في مآله على الشافية، والرضي الاسترلابادي في أثناء شرحه لها متناولة إياها بشيء من الحداثة الممزوجة بنكهة التراث.

أملة التوفيق والسداد من الله، فإن أصبت في إنجاز ما أنا بصدد فبتوفيق من المعطي الوهاب، وإن أخطأت فذلك من نفسي الضعيفة، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.

الفصل الثالث

القضايا الصوتية الصرفية عند الرضي الاسترابادي

تحوي اللغة مجموعة من الأنظمة وهي بدورها نابعة منها لا من الكلام الذي يعد في حقيقته

تطبيقاً لأنظمة اللغة.

وبالنظر إلى النظام الصوتي في اللغة العربية نجد أن هناك عثرات وصعوبات تواجه التطبيق لهذا

النظام؛ فيصعب معها المحافظة على ما قرره النظام من قوانين، وبناءً على هذا يسعى السياق جاهداً

إلى إيجاد حلول مناسبة، من خلال الاستعانة بظاهرة ما من الظواهر السياقية المتاحة في اللغة العربية

: كالإدغام، والإبدال، والوقف وغيرها.

ولعل من أهم مشكلات التطبيق التي تعد سبباً في حدوث الظواهر السياقية هي: ثقل العملية

العضوية، وأمن اللبس، ومراعاة الذوق في صياغة الكلام العربي¹.

وقد تناول الرضي بعض هذه الظواهر فجاء تناوله لها مزيجاً بين الصوت والصراف، وهنا سأحاول أن

أتناول بالدراسة أهم القضايا الصوتية عند الرضي، وتحليلها تحليلاً صوتياً حديثاً وهي تشمل:

- الإدغام.

- الإبدال.

- الإعلال.

¹ - حسان. اللغة العربية. 262، 263 بتصرف.

أولاً الإدغام:

تمهيد :

تتأثر الأصوات اللغوية بعضها ببعض في المتصل من الكلام، فحين ينطق المرء بلغته نطقاً طبيعياً لا تكلف فيه نلحظ أن أصوات الكلمة الواحدة قد يؤثر بعضها في البعض الآخر، إلا أن نسبة التأثير قد تختلف من صوت إلى آخر، فالأصوات منها ما هو سريع التأثير يندمج في غيره أكثر مما قد يطرأ على سواه من الأصوات.

ومجاورة الأصوات بعضها لبعض في الكلام المتصل هي السر فيما قد يصيب بعض الأصوات من تأثير، والأصوات في تأثيرها تهدف إلى نوع من المماثلة أو المشابهة بينها، ليزداد مع مجاورتها قربها في الصفات أو المخارج¹.

وأقصى ما يمكن أن يصل إليه الصوت في تأثيره بما يجاوره من أصوات هو فناؤه في مجاوره، وهذه العملية قد اصطلح العلماء القدامى على تسميتها بظاهرة الإدغام.

تعريف الإدغام عند الرضي :

عرف الرضي الإدغام لغة بقوله: "الإدغام في اللغة إدخال الشيء في الشيء، يقال: أدغمت اللجام في فم الدابة : أي أدخلته فيه، وليس إدغام الحرف في الحرف إدخاله فيه على الحقيقة، بل هو إيصاله به من غير أن يفك بينهما"².

وقد عرفه ابن الحاجب من ناحية اصطلاحيه بقوله: "الإدغام: أن تأتي بحرفين ساكن فمتحرك

من مخرج واحد من غير فصل، ويكون في المثلين والمتقاربين"³.

¹ - أنيس: 178.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 235/3.

³ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 234، 233/3.

وقد أوضأ الرضي تعريف ابن الأابب بقوله: " وإنما الإءغام وصل حرف ساكن بأرف مثله متحرك بلا سكة على الأول بأبب يعءمء بهما على المخرج اعءماءة واحدة قوية"¹.

وما ذهب إليه الرضي بئفق مع ما آاء به العلماء القءامى أمثال سببويه²، وابن آني³.

أما فيما بخص المصطلأ فإننا نجد الرضي وصاحب المءن - ابن الأابب - قد اسءءءما لفظة الإءغام للءالة على هذه الظاهرة، في آين نجد سببويه قد ذكر عدة مصطلأات لنعء هذه الظاهرة منها:

1. الإءغام.

2. المضارعة آبب عقء باباً في آتابه آءء عنوان: "هذا باب الأرف الءب بضارع به حرف من موضعه والأرف الءب بضارع بءلك الأرف ولبس من موضعه"⁴.

3. الإءباع وهي ضرب من ضروب آأءر الصوائء المتآاورة بعضها ببعض وبسببها المءءءون بالءوافق الأركب.

أما المءءءون فهم بطلقون على هذه الظاهرة اسم: (المماءلة الكاملة)، ويعرف أحمد مآءار عمر الإءغام بقوله: " إزالة الءءوء ببين الصوئبب المءغمبب وصهرهما معاً، أو على أنه إءلال صوت ساكن طوبل محل الصوئبب الساكنبب القصبببب"⁵.

وبعرفه إبراهيم أنبس بقوله: " والإءغام عبارة عن فناء الصوت الأول في الءابب، بأبب بنبق بالصوئبب صوتاً واحداً كالءابب"⁶.

¹ - السترأبأذي. شرح شافية ابن الأابب. 235/3.

² - سببويه: 417/4.

³ - أبو الفءآ عثمان بن آني. الأصائص. آء: محمد النآار. (بلا. المكآبة العلمية. بلا). 139/2.

⁴ - سببويه: 477/4.

⁵ - عمر. ءراسة الصوت اللغوب. 387، 388.

⁶ - أنبس: 187.

وإمقارنة الإدغام والتضعيف يتبين لنا أن الإدغام غير التضعيف وليس له أن يكون تضعيفاً؛ لأن العملية الصوتية في وضع التضعيف لا تفني صوتاً ما في الآخر، بل يتحقق الصوت المضعف بصورتين مستقلتين، كما أن الإدغام يؤتى به ويوظف لتيسير عملية النطق، في حين نجد التضعيف تكون له وظائف متنوعة لا تقف عند حد التيسير في النطق بل تتعداها إلى أغراض صرفية أخرى كالتعدية، والمبالغة، والإلحاق وغيرها¹.

وبهذا يكون التضعيف من وجهة نظري ما هو إلا خطوة سابقة قد ينتج الإدغام عنها وقد لا ينتج، أي أن التضعيف تكرار للصوت ولكن هذا التكرار قد يكون في موقع يسمح بعد ذلك بإجراء الخطوة التالية وهي الإدغام كما هو الحال في كلمة: شدد التي تتحول إلى شدّ، وقد يكون في موقع يمتنع معه إجراء الإدغام، وهو أن يكون التكرار لغرض إلحاق الكلمة بوزن معين، كما هو الحال في كلمتي: قردد وجلبب التي تم فيهما تضعيف الدال والباء لأجل إلحاق هاتين الكلمتين بوزن صرفي معين، أو أن يكون هناك فاصل بين الصوتين المثلين ومثال ذلك: زلزل، وعسعس فهنا فاء الكلمة ولامها الأولى من جنس واحد، وعين الكلمة ولامها الثانية من جنس واحد، وهذا النوع من التضعيف امتنع معه الإدغام، أو أن يكون محل التضعيف فاء الكلمة وعينها وهنا أيضاً يمتنع الإدغام، والذي يؤيد ما ذهب إليه من كون الإدغام خطوة تلي التضعيف قول الرضي: "ولم بينوا ثلاثياً فإؤه وعينه متمثالان إلا نادراً نحو ددن ووبر، بل ضعفوا حيث يمكنهم الإدغام"² فقلوه: "ضعفوا حيث يمكنهم الإدغام" يشي ويشير إلى أن الإدغام خطوة لاحقة للتضعيف، كما أن التضعيف يعد نوعاً من أنواع الزيادة الصرفية وما هو إلا نطق الصوت مرتين، أو لنقل إعطاء الصوت أمداً أطول، وهذا مخالف لحقيقة الإدغام الذي يؤتى به

¹ - وقد يكون التضعيف بمعنى السلب والإزالة مثل: قلّمت أظفاري... أي أزلت قلامتها أو اختصار تعبير ما وحكايته مثل: هلّل - كبرّ.
² - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 339/3.

للتخلص من الثقل الناتج عن توالي أو تكرار أو تضعيف الصوت الواحد، حيث تعتبر عملية الرجوع إلى المخرج بعد الانتقال عنه أمراً صعباً¹، لذلك ادغموا رغبة في الاقتصاد في المجهود العضلي². وهناك فرق أخير يمكن الإشارة إليه بين التضعيف والإدغام، وهو أن التضعيف يدرك من خلال التلفظ والسماع، في الوقت الذي لا يتم فيه إدراك الإدغام إلا ذهنياً، أي من خلال القياس والمقاربة. فالإدغام من حيث أنه يعني الإدخال أو الإفناء، يتحقق في عملية استبدال صوت ما بصوت مقارب له في المخرج، وهذا يتم قبل عملية الكلام، أما في عملية الكلام فيتحقق التضعيف، أي: تكرار صوت ما من مخرجه بطريقتين مختلفتين وفي موضعين متتاليين من السلسلة الصوتية. وبناءً على ما تقدم ذكره نخلص إلى أن التضعيف عملية صوتية محققة في واقع الكلام، في حين أن الإدغام - وبخاصة نوعه الثاني إدغام المتقاربين - عملية استنتاجية، أي أنها لا تدرك إلا من خلال المقارنة الذهنية بين واقع الكلام وواقع اللغة.

سبب الإدغام:

ذكر الرضي أن السبب في الإدغام إنما هو التخلص من الثقل الناتج عن توالي المثليين "إنهم يستقلون التضعيف غاية الاستئقال، إذ على اللسان كلفة شديدة في الرجوع إلى المخرج بعد انتقاله عنه، ولهذا الثقل لم يصوغوا من الأسماء ولا الأفعال رباعياً أو خماسياً فيه حرفان أصليان متماثلان متصلان؛ لتقل البناءين وتقل التقاء المثليين ولاسيما مع أصالتهما... ولم يبنوا ثلاثياً فاؤه وعينه متماثلان إلا نادراً نحو: ددن وبيبر إنما ضعفوا حيث يمكنهم الإدغام"³. وللسبب ذاته أرجع سيويوه ظاهرة الإدغام⁴.

والدرس الصوتي الحديث يتوافق مع ما هو موجود في التراث العربي حول أسباب الإدغام.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 338/3.

2 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 387.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 238/3، 239.

4 - سيويوه: 417/4.

فالمحدثون يرون أن المماثلة (الإدغام) من الظواهر السياقية الأكثر استخداماً في اللغة، إذ كثيراً ما تستجد بها اللغة للتخلص من تنافر أو تباعد يصيب أصواتها في تواصلها، لتحقيق التوازن بين عناصرها فيعم التوافق والانسجام.

يقول إبراهيم أنيس في سبب الإدغام "والغرض من مثل هذا التأثير هو التقريب بين الصوتين المتجاورين ما أمكن، تيسيراً لعملية النطق واقتصاداً في الجهد العضلي"¹.

أما أحمد مختار عمر فيرى أن ميل اللغة إلى ظاهرة الإدغام ناتج عن رغبتها في تحقيق الاقتصاد في الجهد العضلي المبذول "تميل اللغة العربية إلى الإدغام حين يتوالى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو كلمتين إذا كان الصوت الأول مشكلاً بالسكون والثاني محركاً، وذلك لتحقيق حد أدنى من الجهد عن طريق تجنب الحركات النطقية التي يمكن الاستغناء عنها"².

كذلك تمام حسان يرى أن من أبرز المشكلات التي تواجه تطبيق أنظمة اللغة هي ثقل العملية النطقية، واحتمال اللبس، ويجعل ظاهرة الإدغام كواحدة من أهم الحلول لمشاكل النظام اللغوي³.

أقسام الإدغام:

قسم اللغويون الإدغام إلى قسمين هم إدغام المثليين وإدغام المتقاربيين يقول ابن الحاجب:

"ويكون في المثليين والمتقاربيين"⁴.

يقول ابن جني: "إن الإدغام المؤلف المعتاد إنما هو تقريب صوت من صوت، وهو في

الكلام على ضربين: أحدهما أن يلتقي المثلان على الأحكام التي يكون عنها الإدغام فيدغم الأول في

1 - أنيس: 184.

2 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 387.

3 - حسان. اللغة العربية. 262، 263.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 234/3.

الأخر.. والأخر أن يلتقي المتقاربان على الأحكام التي يسوغ معها الإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه فتدغمه فيه"¹.

أما سيبويه فقد عقد أبواباً في كتابه بعنوان "باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد، وباب الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً يزول عنه"². فالظاهر من عناوين سيبويه اشتمالهما على نوعي الإدغام الأنفة الذكر، أما الدرس الصوتي الحديث فقد جاء هو أيضاً بمثل ما هو موجود لدى القدامى، من حيث تقسيم الإدغام إلى قسمين.

فهذا إبراهيم أنيس قد ذكر في كتابه الأصوات اللغوية أقسام الإدغام بقوله: "قد يترتب على تجاوز صوتين متجانسين أو متقاربين أن أحدهما يفنى في الآخر، وهو ما أصطلح على تسميته في كتب القراءات بالإدغام"³.

وعلى مثل هذا القول نص أحمد مختار عمر في كتابه دراسة الصوت اللغوي حيث قال: "تميل اللغة العربية إلى الإدغام حين يتوالى صوتان متماثلان سواء في كلمة واحدة أو كلمتين، إذا كان الصوت الأول مشكلاً بالسكون، والثاني محركاً... وهناك حالتان أخريان يقع فيهما الإدغام أحياناً هما:

تتابع صوتين متماثلين في كلمتين حين يكون الصوت الأول محركاً، تتابع صوتين مختلفين - متقاربين - سواء في كلمة واحدة أو كلمتين"⁴.

والملاحظ من خلال ما سبق عرضه من آراء للعلماء أن الاتفاق حول أقسام الإدغام موجود بين علماء العربية القدامى والمحدثين، فكلاهما جعل الإدغام قسمين اثنين هما: إدغام المثليين - إدغام المتقاربين.

1 - ابن جني. الخصائص. 139/2، 140.

2 - سيبويه: 437/4، 445.

3 - أنيس: 186.

4 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 387.

إدغام المثلين:

ذهب ابن الحاجب - وتبعه في ذلك الرضي - إلى أن كل مثلين قد يدغمان، وقد استثنى من ذلك الألفين والهمزتين، وذكر علة هذا الاستثناء بأن الألف حرف ساكن ولا يكون متحركاً أبداً، وهذا مخالف لحقيقة الإدغام التي هي الإتيان بحرفين ساكن فمتحرك، يقول ابن الحاجب: "والألف في الألفين لتعذره"¹.

أما الهمزتان فلا يدغمان؛ وذلك لثقل الهمزة الواحدة مما جعل بعض العرب يخففها، فكان من باب أولى أن يكون اجتماع الهمزتين أثقل.

ويتفق ما ذهب إليه ابن الحاجب وشارحه الرضي مع ما ذهب إليه سيبويه في سبب منع الإدغام في الهمزة والألف، يقول سيبويه في سبب المنع: "ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه وكما لم يدغم في مثله وذلك الحرف الهمزة، لأنها إنما أمرها في الاستئقال التغيير والحذف، ... وكذلك الألف لا تدغم في الهاء ولا فيما تقاربه، لأن الألف لا تدغم في الألف"².

كذلك المبرد في المقتضب نص على أن هذين الحرفين لا يصلح فيهما الإدغام بقوله: "الألفين لا يصلح فيهما إدغام، لأن الألف لا تكون إلا ساكنة.... أما الهمزتان فلا يجوز فيهما إدغام في غير باب (فعل) و (فعال)"³.

وما هو موجود في الدرس الصوتي الحديث يتوافق مع ما هو موجود عند القدامى، فالألف عند المحدثين عبارة عن حركة طويلة ونظام المقطع في اللغة العربية لا يسمح باجتماع الصوائت الطويلة، لأنه يجعل الثاني منهما بداية للمقطع الثاني من الكلمة، والمقطع العربي لا يبدأ بحركة بل بصامت فكل صوت مكانه داخل المقطع ووظيفته التي يؤديها.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 234/3.

2 - سيبويه: 446/4.

3 - المبرد: 198/1.

كما أنهم يرون أن الأصوات لا حياة لها إلا داخل المقطع¹، فهي لا تنطق من البشر منفصلة وإنما على شكل تجمعات، فصفاتها وخصائصها وكيفية انتظامها يعتمد على طبيعة المقطع وتشكلاته.

فعملية النطق بالصوت المدغم كصوت السين مثلاً في كلمة (السّر)، يتم فيها توزيع الصوت المدغم بين بنيتي مقطعين متتابعين، وهذا يعني أن الصوت المدغم جزآن منفصلان بالحد الذي يفصل المقطع عن المقطع الآخر في سلسلة الكلام، وذلك لأن الجزء الأول منه يكون في خاتمة مقطع سابق، في حين يكون الجزء الآخر منه في هامش مقطع لاحق، وهذا يعني أن لكل منهما - أي الصوتين المدغمين - حركة مختلفة ووظيفة وقيمة مختلفة.

فالاختلاف في القيمة يتضح من خلال أن الصوت الأول من المثلين يكون أكثر بروزاً ومدى من الصوت الثاني من المثلين الذي يقع في هامش المقطع الثاني.

أما الاختلاف في الوظيفة فيتمثل في أن الصوت الأول من المثلين يمثل قمة المقطع المنبور، ذلك لأن قمة المقطع الصوتي إنما تكون في صوته الأخير، إذا ما استثنينا من ذلك الصوت الذي يلحق بهامش المقطع إلحاقاً مع الوقف عند ختام القول. كما أن هذه القمة تكون حاملة للنبر بالضرورة في حالة المقطع غير القصير.

أما الصوت الثاني من المثلين فتمثل وظيفته في كونه يقوم بوظيفة الهامش في المقطع اللاحق. وبناء على هذا فإن المحدثين يمنعون إدغام الألفين؛ لأنه ينتج عن هذا الإدغام جعل ثاني الألفين بداية للمقطع اللاحق وهذا غير مسموح به في العربية يقول أحمد مختار عمر: "اللغة العربية مثلاً لا تسمح بأي مقطع لا يبدأ بساكن"².

¹ - تعريف المقطع: هو تركيب يتألف من سلسلة من الوحدات الصوتية المميزة أو من وحدة صوتية مميزة واحدة على الأقل ويتألف من بادنه، قمة، خاتمة. القماطي: 148.

- وهو أيضاً: كمية من الأصوات تحتوي على حركة واحدة يمكن الابتداء بها والوقوف عليها من وجهة نظر اللغة موضوع الدراسة. عبدالنواب المدخل إلى علم اللغة. 101.

وهو: وحدة تحتوي على صوت علة واحد - واحد فقط - إما وحده أو مع سواكن بأعداد معينة وبنظام معين. عمر. دراسة الصوت اللغوي. 286.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 299.

كما يقول رمضان عبدالتواب: "ولذلك يبدأ كل مقطع فيها بصوت من الأصوات الصامتة"¹.

أما تمام حسان فيقول: "إن الحروف الصحيحة تكون بداية المقطع في اللغة العربية ولا تكون العلل كذلك"².

وهنا يجب التنويه إلى أن مصطلح (الساكن) يختلف مدلوله بين القدامى والمحدثين، فعلماء الصرف الأوائل يقصدون بالساكن كل صائت ممتد (ألف - واو - ياء) للمد، وكل صامت يتم الوقف عليه أي لا تتبعه حركة، أي كل صائت ممتد وصامت ساكن وما عدا ذلك فهو عندهم متحرك، وهم في هذا ينطلقون في وصف الصوت من خلال موقعه داخل السياق لا من خلال طبيعته، وهذا يختلف عما هو موجود في اللسانيات المعاصرة التي تجعل الساكن بمعنى الصامت في حين تجعل المتحرك بمعنى الصائت أو على حد تعبير تمام حسان الساكن هو الصحيح، والمتحرك هو حرف العلة.

أما فيما يخص امتناع إدغام الهمزتين فالسبب الذي ذكره القدامى وعلى رأسهم ابن الحاجب وشارحه الرضي يتماشى مع ما ذكره المحدثون.

ويتلخص السبب في عسر النطق بهذا الصوت، فهو من أشق الأصوات نطقاً إذ يحتاج إلى جهد عضلي أكثر لنطقه، وقد نص على ذلك إبراهيم أنيس بقوله: "فما لاشك فيه أن توالي همزتين أشق، ويحتاج إلى جهد عضلي أكثر في نطقها"³.

وإدغام المثليين يكون في الكلمة الواحدة ويكون في الكلمتين، كما أنه يجيء في الأفعال والأسماء. وسأعرض هنا لحالات الإدغام حسب ما أورده ابن الحاجب وشارحه الرضي الاستراباذي، حيث جعل ابن الحاجب الإدغام ثلاثة أقسام: واجباً، وممتنعاً، وجائزاً واليك تفصيل ذلك.

1 - عبدالتواب. المدخل إلى علم اللغة. 101.

2 - حسان. اللغة العربية. 69.

3 - أنيس: 74.

أولاً حالات وجوب الإدغام:

ذكر ابن الحاجب حالات وجوب الإدغام بقوله: "قالمثلان واجب عند سكون الأول إلا في الهمزتين إلا في نحو السأل والدأت وإلا في الأفين لتعذره...، وعند تحركهما في كلمة لا إلحاق ولا لبس إلا نحو حي فإنه جائز... وتنتقل حركته إن كان قبله ساكن غير لين نحو يرد¹".

وقد بين الرضي ذلك وفصل الحالات التي يجب فيها الإدغام على النحو الآتي:

- يجب الإدغام إذا سكن أول المثليين : سواء أكانا في كلمة كالشدّ والمدّ، أو في كلمتين متصلتين نحو اسمع علياً.

- يجب الإدغام إذا تحرك المثلان في كلمة.

ولما كانت الكلمة تشمل كلاً من الأفعال والأسماء، سأعرض لحالات وجوب الإدغام في كلمة واحدة في الأفعال ثم في الأسماء:

إدغام المثليين في الأفعال:

حالات وجوب الإدغام في الفعل:

1. إذا كان المثلان حرفين صحيحين وكان أولهما ساكناً والثاني منهما متحركاً : ففي هذه الحالة

يجب الإدغام مثل: شدّ

ص ح / ص ح

شدّ / د

فأصلها ← شدّد

ص ح / ص ح / ص ح

¹ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 234/3.

تم التخلص من حركة أول المثلين ليجتمع مثلاً أولهما ساكن وثانيهما متحرك، فتم الإدغام فأصبحت الكلمة مكونة من مقطعين الأول منهما طويل¹ مغلق، والثاني قصير² بدلاً من ثلاثة مقاطع قصيرة، وبذلك يكون الإدغام قد خلس هذه الكلمة من أن يتوالى فيها عدد من المقاطع القصيرة، غير المرغوب تواليها على حد تعبير إبراهيم أنيس³ "وتوالي المقاطع من النوع الأول - يقصد به المقطع القصير - أو من النوع الثالث - يقصد به المقطع الطويل المغلق - جائز ومستأغ في الكلام العربي وأن كانت اللغة في تطورها تميل إلى التخلص من توالي النوع الأول"³.

2. إذا كان المثان متحركين في كلمة في غير أولها وجب الإدغام لكونه في الفعل الثقيل وفي الآخر الذي هو محل التغيير⁴.

ومثاله: استقرَّ أصلها ← استقرَّر

وهنا في هذا المثال تطلب الأمر لكي يتم الإدغام نقل حركة أول المثلين إلى الصامت غير المتحرك قبله وهو (القاف).

فأصبحت ← استقرَّر

فتم الإدغام للرئين وصارت البنية (استقرَّ).

وبهذا تغيير البناء المقطعي للكلمة فهي في حالة الإدغام على النحو:

اسد/ت/قر/ز

ص ح ص/ص ح/ص ح ص/ص ح

أما في حالة عدم الإدغام على النحو:

1 - المقطع الطويل المغلق: وهو ما بدأ بصامت تليه حركة ثم صامت آخر مثل كلمة (من - عن) وكذلك ما بدأ بصامت تليه حركة طويلة ثم صامت آخر مثل كلمة (باب) في الوقف.

2 - المقطع القصير: هو ما بدأ بصوت صامت وجاء بعده حركة قصيرة مثل كلمة (كُنْب) فهي مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة وهو بهذا المعنى لا يكون إلا مفتوحاً - أي أنه يقبل الزيادة عليه - فإذا زاد عليه شيء بأن طالت الحركة أو أضيف إليه صامت آخر لم يعد المقطع قصيراً بل يتحول في هذه الحالة إلى مقطع طويل. عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 101، 102.

3 - أنيس: 165.

4 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 241/3.

اسد/ثقف/ز

ص ح ص/ص ح ص/ص ح/ص ح

وقد يتطلب الأمر لكي يتم الإدغام في بعض الأمثلة حذف حركة أول المثليين.

ومثاله: شَدَّ ← أصلها شَدَّ شَدَّ

حيث تم حذف حركة المثل الأول وهي الفتحة القصيرة لكي يتم الإدغام، وبهذا الحذف أيضاً تغير النسيج المقطعي للكلمة حيث أصبحت مكونة من مقطعين أولهما طويل مغلق وثانيهما قصير، بدلاً من ثلاثة مقاطع قصيرة والتي عرف عن العربية كراهيتها لتوالي مثل هذا النوع من المقاطع¹.

امتناع الإدغام في الفعل:

1. إذا تحرك المثلان في نهاية الكلمة وكان الأول منهما مدغماً فيه، امتنع الإدغام لأن الإدغام

هنا على حد تعبير الرضي "لا يخرج به إلى حال أخف من الأولى"².

فالإدغام يؤتى به من أجل تخلص الكلمة من الثقل والصعوبة في النطق، فإذا تم الإدغام في

مثل: (رَدَد) لم يتحقق الهدف من الإدغام وهو السهولة في النطق.

وقد أشار سيبويه أيضاً في كتابه إلى سبب امتناع الإدغام عندما يكون أول المثليين مدغماً فيه

بقوله: "وأما (رَدَد) و (يُرَدَد) فلم يدغموه؛ لأنه لا يجوز أن يسكن حرفان فيلتقيا ولم يكونوا

ليحركوا العين الأولى لأنهم لو فعلوا ذلك لم ينجحوا من أن يرفعوا ألسنتهم مرتين"³.

2. إذا كان التضعيف الغرض منه الإلحاق امتنع الإدغام⁴ - أي إدغام المثليين - في هذه الحالة،

لأنه إنما زيد في البنية لغرض إلحاقها بوزن صرفي معين، والإدغام يفوت الغرض الذي جاء

من أجله التضعيف.

1 - أنيس: 165.

2 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 240/3.

3 - سيبويه: 535/3.

4 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 240/3، 241.

فكلمة جلبب مثلاً: زبذت فيها الباء لأجل إلحاق هذه الكلمة بالوزن الصرفي (فَعَلَّ)، يقول سببويه: "وإذا ضاعفت اللام وكان فعلاً ملحقاً ببينات الأربعة لم تدغم؛ لأنك إنما أردت أن تضاعفه لتلحقه بما زدت بدحرجت"¹ فإذا ما أذغمت اللامين أصبحت الكلمة (جَلَبَّ) بوزن (فَعَلَّ).

كما أن الكلمة بهذه الحالة - أي بعد الإدغام - أصبحت أكثر ثقلاً مما كانت عليه، وهذا مغاير ومخالف لحقيقة الإدغام.

3. إذا تحرك المثل الأول وسكن المثل الثاني.

يقول الرضي: "وإن كان الساكن هو الثاني فهو على ضربين: أحدهما أن تحذف الحركة لموجب، ولا يجوز أن يحرك بحركة أخرى، مادام ذلك الموجب باقياً، وذلك هو الفعل إذا اتصل به تاء الضمير أو نونه، نحو: رَدَدْتُ ورَدَدْنَا ورَدَدْنَا... والثاني: أن تحذف الحركة لموجب، ثم قد تعرض ضرورة يحرك الحرف لأجلها بغير الحركة المحذوفة، مع وجود ذلك الموجب وذلك الفعل المجزوم أو الموقوف نحو: لم يرُدُّ وارُدُّ فإنه حذف منه الحركة الإعرابية، ثم إنه قد يحرك ثاني المثلين فيهما لالتقاء الساكنين نحو: ارُدُّ القوم"².

وما ذهب إليه الرضي يتفق مع ما ذهب إليه سببويه الذي أشار في كتابه تحت عنوان (هذا باب اختلاف العرب في تحريك الآخر) إلى مثل هذا الكلام فقال: "وأهل الحجاز وغيرهم، مجتمعون على أنهم يقولون للنساء: ارردن وذلك لأن الدال لم تسكن ههنا لأمر ولا لنهي"³.

4. الفعل الرباعي المزيد الذي يتفق في أوله مثلان متحركان مثل: تَتَدَخَّرُ وهذا النوع قد أشار

الرضي إلى امتناع الإدغام فيه بقوله: "ومن ذي زيادة الرباعي باب يتفق في أوله ذلك

¹ - سببويه: 425/4.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 244/3.

³ - سببويه: 534/3.

- يقصد مثلين متحركين - نحو: تتدحرج، فأما ذو زيادة الرباعي فلا يخفف بالإدغام؛ إذ لو أدمجت لاحتجت إلى همزة الوصل فيؤدي إلى التقل عند القصد إلى التخفيف، بل الأولى إبقاؤها، ويجوز حذف أحدهما¹.

جواز الإدغام في الفعل:

ذكر الرضي حالات جواز الإدغام في الفعل وعدمه وهذه الحالات هي:

1. إذا توالى مثلان في أول الفعل الثلاثي ذي الزيادة وكان الثاني أصيلاً.

فإن كان الفعل ماضياً جاز:

أ. الإدغام مع اجتلاب همزة الوصل لأجل الابتداء بسبب سكون الأول.

ومثاله: تترك - أترك.

وبهذا الإدغام تغير النسيج المقطعي للكلمة حيث كانت مكونة من أربعة مقاطع هي:

ت/تا/ز/ك

ص/ح/ص ح/ح/ص ح/ص ح

أي عبارة عن أربعة مقاطع ثلاثة منها قصيرة وهي المقطع الأول، والثالث، والرابع، بينما المقطع الثاني كان من النوع الطويل المفتوح.

أما بعد الإدغام أصبح النسيج المقطعي مكوناً من أربعة مقاطع أيضاً، اثنان فقط منها قصيرة وهي المقطع الثالث، والرابع، في حين تغير المقطع الأول بسبب همزة الوصل إلى مقطع من النوع الطويل المغلق (ص ح ص)، فأصبح المقطعان الأول والثاني من النوع الطويل، وبهذا التغيير في

النسيج المقطعي للكلمة تم التخلص من توالي المقاطع القصيرة².

¹ - الأسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 239/3، 240.

² - أنيس: 165.

ب. الإظهار وهو الأولى على حد تعبير الرضي "فالأولى في الماضي الإظهار"¹.

أما إن كان الفعل مضارعاً جاز:

أ. الإدغام ولا يكون إلا في درج الكلام لتقل المضارع "وإذا أدغم لم يجتلب له همزة الوصل كما في

الماضي؛ لتقل المضارع بخلاف الماضي، بل لا يدغم إلا في الدرj ليكتفي بحركة ما قبله

نحو: قال تَنَزَّل².

ب. الإظهار نحو: تَنَزَّل.

ج. الحذف نحو: تَنَزَّل.

2. إذا توالى المثان في وسط ذي الزيادة الثلاثي الماضي جاز لك:

أ. الإدغام:

ويكون إما بنقل حركة المثل الأول إلى فاء الكلمة قبلها، وحذف همزة الوصل لانتفاء سبب

وجودها.

فتصبح الكلمة: قَتَل بدلاً من أَقَتَل.

أو بحذف حركة المثل الأول فيلتنقي ساكنان هما فاء الكلمة والمثل الأول فيحرك الأول طبقاً لقاعدة

التقاء الساكنين بالكسر، ويتم إدغام المثليين وتحذف همزة الوصل لعدم الحاجة إليها فتصير الكلمة:

قَتَل ← بدلاً من أَقَتَل

يقول سيبويه: "وقد أدغم بعض العرب فأسكن لما كان الحرفان في كلمة واحدة، ولم يكونا منفصلين،

وذلك قولك: يَقْتَلُونَ وقد قَتَلُوا، وكسروا القاف لأنهما النقياء، فشبهت بقولهم: رُدُّ يافتي وقد قال آخرون:

قَتَلُوا، ألقوا حركة المتحرك على الساكن. وجاز في قاف اقتتلوا الوجهان"³.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 240/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 240/3.

3 - سيبويه: 443/4.

وبالإدغام تغير النسيج المقطعي للكلمة حيث كانت مكونة قبل الإدغام من أربعة مقاطع: ثلاثة منها قصيرة، وواحد طويل مغلق.

اق/ت/ت/ل

ص ح/ص/ص ح/ص ح

أصبحت بعد الإدغام مكونة من ثلاثة مقاطع: اثنان منها قصيران، وواحد طويل مغلق.

ق/ت/ل

ص ح/ص/ص ح

ب. الإظهار:

مثل: اقتتل

يقول سيبويه: "ومما يجري مجرى المنفصلين قولك: اقتتلوا ويقتتلون، إن شئت أظهرت وبيّنت، وإن شئت أخفيت وكانت الزنة على حالها... وليس هذا بمنزلة أحمررت وأفعاللت، لأن التضعيف لهذه الزيادة لازم، فصارت اللام بمنزلة العين واللام اللتين هما من موضع واحد في مثل: يَرُدُّ ويستعدُّ، والتاء الأولى التي في يقتتل لا يلزمها ذلك، لأنها قد تقع بعد تاء يفتعل العين وجميع حروف المعجم"¹.

3. الفعل المضارع المضعف المجزوم

نحو: لم يَرُدّ

فلغة الحجازيين قد ترك فيها الإدغام، في حين أجاز غيرهم الإدغام؛ لأن أصل الحرف الثاني الحركة وهي وإن انتفتت بالعارض - الجزم، والوقف - لم يمتنع دخول الحركة الأخرى عليه فجوز الإدغام فيما لم يعرض فيه تلك الحركة أيضاً نحو: رُدّ زيد فإذا أدغم حرك الثاني بما ذكر في التقاء الساكنين².

¹ - سيبويه: 443/4.

² - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 246/3.

إدغام المثلين في الأسماء:

أ. الاسم الثلاثي المجرد:

حالات وجوب الإدغام في الاسم الثلاثي المجرد:

1. إذا تحرك المثلان في الاسم الثلاثي المجرد المشابه للفعل.

مثاله: صَبَّ ^{وزنها} ← فَعَلٌ

- يقول الرضي: "قال الخليل: هو فَعَلٌ - بكسر العين - لأن صَبَّيْتُ صَبَابَةً فأنا صَبُّ كَقَنَعْتُ قَنَاعَةً فأنا قَنِعٌ"¹ ولا يدغم ما كان على وزن (فَعَلٌ) رغم مشابهته الفعل (كشَرَر، وقصَص) وذلك لخفة هذه الأسماء؛ لكونها مفتوحة الفاء والعين، ولتجنب اللبس بوزن (فَعَلٌ)² كذلك لم يدغم نحو: (سُرُرٌ - قِدَدٌ) لعدم موازنة الفعل"³.

2. إذا سكن أول المثلين وجب الإدغام⁴.

ومثاله: رَدٌّ - شَدٌّ

- والاسم الثلاثي المشابه للفعل المزيد بحرف لازم كألف التأنيث أو الألف والنون لا تمنعه هذه الزيادة من الإدغام كما منعه من الإعلال وذلك لتقل إظهار المثلين مما جعل الحرف اللازم مع لزومه كالعدم⁵.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 241/3.
2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 242/3.
3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 243/3.
4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 236/3.
5 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 243/3.

ب. الاسم المزيد:

حالات وجوب الإدغام في الاسم المزيد:

1. الاسم المزيد يجب فيه الإدغام إذا وازن الفعل.

"ولا يشترط في الإدغام مع الموازنة المخالفة بحركة أو حرف في الأول ليس في الفعل كما اشترط

ذلك في الإعلال"¹.

ومثاله: مُسْتَعِدُّ ← أصلها مُسْتَعِدِّ

حيث تم نقل حركة المثل الأول إلى الحرف الساكن الصحيح قبلها ليتم الإدغام.

حالات امتناع الإدغام في الاسم المزيد:

1. إذا كان التضعيف في الاسم الغرض منه الإلحاق بوزن صرفي معين.

ففي هذه الحالة "امتنع الإدغام في الاسم كان كقردد... لأن الغرض بالإلحاق الوزن؛ فلا يكسر ذلك

الوزن بالإدغام"².

إدغام المثلين في كلمتين:

ذكر الرضي الاسترلابادي أحكام اجتماع المثلين في كلمتين منفصلتين على النحو الآتي:

1. إذا كان المثلان في كلمتين، وكان أولهما ساكناً ولكنه ليس حرف مدّ وجب الإدغام³.

ومثال ذلك: قلّ لزيد ← قلّ زيد

2. إذا كان المثلان في كلمتين، وكان ثانيهما ساكناً فقط وجب إثباتهما⁴ أي: امتنع الإدغام

وقد شذ عن ذلك حذف أول المثلين إذا كان الثاني منهما لام التعريف.

¹ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 243/3.

² - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 240/3.

³ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 247/3.

⁴ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 247/3.

ومثال ذلك: على الماء ← عَمَاء

وقد ذكر الرضي سبب هذا الحذف وعلة بقوله: "وذلك لكثرة لام التعريف في كلامهم؛ فطلب التخفيف بالحذف لما تعذر الإدغام"¹.

3. إذا كان المثلان في كلمتين، وكانا متحركين وكان ما قبل أولهما متحركاً جاز الإدغام²

ومثال ذلك: جعلَ لك ← جَعْلَكَ

4. إذا كان المثلان في كلمتين، وكانا متحركين وكان ما قبل أولهما ساكناً، وهو حرف مد أو لين، جاز الإدغام³.

مثال ذلك: ثوب بكر ← ثوبَكَ

جَيْبُ بكر ← جَيْبَكَ

قالَ لهم ← قالَهُم

قيلَ لهم ← قيلَهُم

عمودُ داود ← عمودَاود

5. إذا كان المثلان في كلمتين، وكانا متحركين وكان ما قبل أولهما حرفاً صحيحاً ساكناً، لم يجز الإدغام⁴.

مثاله: شَهْرُ رَمضان

وقد لخص الرضي بعد ذلك هذه القاعدة بذكره مراتب استحسان الإظهار أو الإدغام في هذه الحالات بقوله: "واعلم أن أحسن ما يكون الإدغام فيما جاز لك فيه الإدغام من كلمتين أن يتوالى خمسة أحرف فصاعداً متحركة مع المثلين المتحركين، نحو: جعل لك، وذهب بمالك،... والإظهار

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 247/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 247/3.

3 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 247/3.

4 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 247/3.

فيما قبل أول المثليين فيه حرف مد أحسن من الإظهار فيما قبل أول المثليين فيه حرف متحرك، والإظهار في الواو والياء اللتين ليستا بمد نحو: ثوب بكر، وجيب بكر أحسن منه في الألف و الواو والياء المدتين؛ لأن المد يقوم مقام الحركة¹.

إدغام المتقاربين:

وهو النوع الثاني من أنواع الإدغام، والإدغام في الأصوات المتقاربة يحدث نتيجة لتأثر هذه الأصوات ببعضها.

والتقارب إنما يكون بين الأصوات المتجاورة في المخارج أو المشتركة في الصفات مما يساعد على اندماج الصوتين أحدهما في الآخر، وإلى هذا أشار ابن الحاجب بقوله: "المتقاربان، ونعني بهما ما تقاربا في المخرج أو في صفة تقوم مقامه"².

كما أشار ابن عصفور إليه بقوله: "اعلم أن التقارب الذي يقع الإدغام بسببه قد يكون في المخرج خاصة أو في الصفة خاصة أو في مجموعهما"³.

فإن أدى الإدغام إلى نقل الصوت من مخرجه إلى مخرج الصوت المؤثر كانت المماثلة في المخرج، أما إذا لم ينتقل الصوت من مخرجه فالإدغام يكون في الصفة (الكيفية أو طريقة النطق)⁴.

وقد أشار إلى ذلك التقارب كل من سيويوه في كتابه⁵، وابن جني في خصائصه، حيث لاحظنا أن تعريف الأخير للإدغام يتضمن فكرة التقريب بين الأصوات⁶، وعملية إدغام المتقاربين لكي تتم لابد من أن يسبقها بعض التغييرات مثل حذف الحركة، قلب أحد الصوتين إلى مثل الآخر، وغالباً ما يكون

1 - الإسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 248/3.

2 - الإسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 250/3.

3 - ابن عصفور الإشبيلي. الممتع في التصريف. تح: فخرالدين قباوة. (بيروت. منشورات دار الآفاق الجديدة. 1978). ص663/2.

4 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 280.

5 - سيويوه: 445/4.

6 - ابن جني. الخصائص. 139/2، 140.

الصوت الأقوى على حد تعبير جرامونت¹ في قانونه، وذلك لما يتسم به هذا الصوت من صفات وخصائص، وأحياناً يتخلف تطبيق قانون جرامونت فنجد الصوت الأقوى يخضع للأضعف مما يؤدي مثلاً إلى همس المجهور، أو ترقيق المفخم.

ولكن هذا الكلام لا يعني أن كل صوتين متقاربين يدغمان بالضرورة وبشكل مطرد، فهناك أصوات لا تدغم في مقاربتها، كما أنه لا يدغم فيها مقاربتها وهما: صوتا (الهمزة والألف).

ومنهما ما لا تدغم في مقاربتها ولكن يدغم مقاربتها فيها مثل (الميم - الفاء - الراء - الشين)، ومنها ما يدغم في مقاربه ويدغم مقاربه فيه وهي ما عدا ذلك.

ولعل من أهم ملامح أو سمات القوة التي يتصف بها الصوت فتخوله وتجعله قادراً على أن يكون ذا تأثير في غيره من الأصوات المجاورة له هي:

1. ملامح الصفير وتتسم به أصوات: الزاي والسين والصاد².

2. ملامح التفخيم (الإطباق) وتتسم به أصوات الصاد والضاد والطاء والظاء³.

3. ملامح التكرير ويتسم به صوت الراء، والتنفسي ويمتاز به صوت الشين⁴.

4. ملامح الجهر⁵ والشدة.

5. كما أن الحركات لها دور في منح الأصوات القوة حيث تعتبر الكسرة أقوى الحركات، تليها

الضمة في حين تعد الفتحة أخف الحركات، أما علامة السكون فهي أخف من الحركات.

وهنا سأعرض لأحكام إدغام المتقاربين عند الرضي مستندة في ذلك على ما تقدم ذكره من صفات

وملامح القوة التي تتسم بها الأصوات.

1 - قانون جرامونت: صاغه الفرنسي جرامونت وسماه قانون الأقوى وملخص هذا القانون أنه "حينما يؤثر صوت في آخر فإن الأضعف - بموقعه في المقطع أو بامتداده النطقي - هو الذي يكون عرضة للتأثر بالآخر".

2 - حيث جعلها الرضي فضيلة يجب المحافظة عليها عند الإدغام حتى ولو أدى هذا إلى مخالفة الأصل في قاعدة الإدغام. الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 265/3، 266، 269.

3 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 372.

4 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 270/3.

5 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 388.

أحكام أصوات الحلق في الإدغام:

قسم ابن الحاجب - ووافقه الرضي في ذلك - الحلق إلى ثلاثة أقسام هي:

1. أقصى الحلق: وجعله مخرجاً للهمزة والهاء والألف.

2. وسط الحلق: وجعله مخرجاً للعين والحاء.

3. أدنى الحلق: وجعله مخرجاً للعين والحاء.

"فلهمزة والهاء والألف أقصى الحلق، وللعين والحاء وسطه، وللعين والحاء أدناه"¹.

وقد تبين لنا فيما سبق أن الألف من الأصوات الصائتة عند المحدثين، وهي في عرفهم فتحة طويلة تصور في الكتابة الصوتية بصورة (a:) أو (a a) على أساس أن تكرار الصوت يعني طول الحركة².

1. الألف والهمزة:

نص ابن الحاجب على أنهما لا يدغمان فيما يجاورهما بقوله: "إلا" في الهمزتين... وإلا في

الألفين"³.

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب في ذلك أما سيبويه فقد نص على هذا بقوله: "ومن الحروف ما لا يدغم في مقاربه ولا يدغم فيه مقاربه كما لم يدغم في مثله وذلك الحرف الهمزة... وكذلك الألف"⁴.

ويفهم من عبارة سيبويه "كما لم يدغم في مثله" أن إدغام المتقاربين محمول على إدغام المثليين، أي

أن امتناع إدغام الهمزتين والألفين في المثليين، كان سبباً في منع إدغام هذين الصوتين فيما يقاربهما.

وقد علل الدرس الصوتي الحديث سبب منع إدغام الألف فيما يقاربهما بأن الألف تعد من الحركات -

فتحة طويلة - ولما كانت تندرج تحت فئة الأصوات الصائتة امتنع إدغامها فيما هو مندرج تحت فئة

الأصوات الصامتة، وذلك للبون الشاسع بين طبيعة الصوتين، حيث يشترط في الصوتين المتبادلين أن

1 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 250/3.

2 - بشر: 130.

3 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 234/3.

4 - سيبويه: 446/4.

يكونا هما الاثنان من الصوامت أو من الحركات، وهذا ما نص عليه عبدالصبور شاهين في كتابه المنهج الصوتي للبنية العربية، أما عدم إدغام الهمزة فيما يقاربها فيمكن تعليله بالسبب ذاته الذي منع الهمزة أن تدغم في مثلها؛ ألا وهو صعوبة النطق بالهمزة مفردة، فإذا انضم إليها غيرها سواء أكان مثلاً لها أو مقارباً ازداد الثقل وتعسر النطق وهذا منافٍ لطبيعة الإدغام.

وعليه؛ لم يكن تخفيف الهمزة عند العرب بواسطة الإدغام، وإنما كان بطرق أخرى يشملها التغيير كالإبدال، والقلب، والتسهيل، أو الحذف أحياناً¹.

2. الحاء والعين والهاء :

بين الرضي أن إدغام الأصوات المتقاربة قياسه قلب الأول إلى الثاني² دون العكس.

والهاء على حسب تصنيف القدامى للأصوات مخرجها من أقصى الحلق، وهذا الجزء من الحلق أطلق عليه المحدثون اسم المخرج الحنجري، ويشترك مع الهاء في هذا المخرج الألف والهمزة - على حد تعبير ابن الحاجب وشارحه الرضي -، ولما كانت الهمزة والألف غير قابلين للإدغام مع الهاء لما ذكر من أسباب، أمكن للهاء أن تلتحق مع أصوات المخرج الذي يلي مخرجها وتدغم مع أصواته. وقد نص ابن الحاجب على ذلك بقوله : "قالهاء في الحاء"³ وأوضح الرضي أن الهاء لا تدغم إلا في الحاء فقط، إلا أن البيان أحسن نحو: أجه حاتماً.

وقد يعرض أحياناً ما يمنع القياس المذكور في إدغام المتقاربين وهو قلب الأول إلى الثاني، مما يؤدي إلى حدوث العكس ويتمثل هذا العارض حسب ما أورده الرضي في:

1 - حسان. اللغة العربية. 283، 284.

2 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 264/3.

3 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 276/3.

- كون الأول أخف من الثاني:

ويكون في حروف الحلق عند مجاورتها لبعضها، فحروف الحلق يقل فيها الإدغام¹ لتقلها فأنزلها في الحلق أنقلها² والمقصود من الإدغام التخفيف، فلو اجتمع حرفان حلقيان ثانيهما أنزلها في الحلق من أولهما حدث العكس في الإدغام وهو قلب الثاني إلى الأول؛ وذلك لكي لا تضع الخفة المرجوة من الإدغام.

مثل: اذ بح عتوداً ← اذبحتوداً

اذبح هذه ← اذبحآذه

يقول ابن الحاجب: "ولا حرف حلق في أدخل منه إلا الحاء في العين والهاء"³.

وسيبيويه ذهب إلى عدم إدغام الحاء في الهاء، كما لم تدغم الفاء في الباء وعلل ذلك بأن ما كان أقرب

إلى حروف الفم كان أقوى على الإدغام ومثل ذلك: امدح هلالاً فلا تدغم⁴.

في حين نجده قد جوز إدغام الهاء في الحاء بقوله: "الهاء مع الحاء كقولك: اجبه حملاً البيان أحسن

لاختلاف المخرجين، ولأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لقلتها، والإدغام فيها عربي حسن لقرب

المخرجين لأنهما مهموسان رخوان"⁵.

أما المبرد فقد نص في كتابه على إدغام الهاء في الحاء، أما الحاء في الهاء فلا يتأتى عنده إلا بقلب

الهاء حاء فقال: "وأما الهاء فتدغم في الحاء نحو قولك اجبميداً لأنهما متقاربتان... ولا تدغم الحاء

في الهاء لأن الحاء أقرب إلى اللسان، ولأن حروف الحلق ليست بأصل للإدغام... ولكن إن شئت

قلبت الهاء حاءً إذا كانت بعد حاء وأدغمت ليكون الإدغام فيما قرب من الفم"⁶.

1 - سيبويه: 449/4.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 264/3.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 269/3.

4 - سيبويه: 449/4.

5 - سيبويه: 449/4.

6 - المبرد: 207/1.

وعلى هذا يكون موضع الهاء والحاء من حيث التقدف والتأخر على صورتين:

1. ه + ح ← ح ح

مهوس رخو + مهوس رخو ← مهوس رخو مضعف بقلب الهاء حاءً وهو الأصل في

الإدغام.

نحو: اجه حملأ ← اجهملاً

وهنا الإدغام حسن لقرب المخرجين، واتفاق الصوتين في صفتي الهمس والرخاوة، وهذا

الإدغام متفق عليه عند الجميع¹.

ولكن البيان أحسن وذلك لكون حروف الحلق ليست بأصل للإدغام².

وقد أطلق العلماء المحدثون على مثل هذا النوع من التأثر - أي: ما يتجاور فيه صوتان لغويان

ويتأثر الأول منهما بالثاني - التأثر الرجعي (regressive)³ وهو الأكثر شيوعاً في لغتنا العربية.

2. ح + ه ← ح ح

مهوس رخو + مهوس رخو ← مهوس رخو مضعف بقلب الهاء حاءً خلافاً لقاعدة

الإدغام.

نحو: اذبح هذه ← اذبحآذه.

وهنا جاز الإدغام بقلب الثاني إلى الأول خلافاً لقاعدة الإدغام، وذلك لتعذر الإتيان بالأصل

يقول ابن الحاجب: "ومتى قصد إدغام أحد المتقاربين فلا بد من القلب والقياس قلب الأول إلا لعارض

1 - أي عند سيويوه، الميرد، ابن الحاجب، ابن عصفور وغيرهم.

2 - حسان. اللغة العربية. 284.

3 - أنيس: 180.

في نحو: اذبحْتوداً واذبحَاه¹ وهذا النوع من الإدغام قليل في لغتنا العربية، لأنه خلاف الأصل، ويسمى هذا النوع من التأثير في الدرس الصوتي الحديث بالتأثير التقديمي (Progressives)². وهنا نلاحظ في حالة الحاء والهاء تساوي الصوتان من حيث ملامح القوة، فكلاهما صوت مهموس رخو، فتم الاحتكام إلى المخرج ولما كانت حروف الحلق ليست بأصل للإدغام لتقلها، كان الصوت المؤثر في الآخر هنا يعتمد على موقعه المخرجي، فأقربها لحروف الفم يكون ذا تأثير أكبر على الآخر الذي هو أنزل في الحلق.

وبالتالي فإن اجتماع الهاء مع الحاء له حكمان هما:

1. الإدغام:

إذا تقدمت الهاء على الحاء فإنه يتم قلب الهاء حاءً ثم تدغم الحاء في الحاء.

وكذلك إذا تقدمت الحاء على الهاء جاز الإدغام على غير الأصل.

2. الإظهار:

وذلك إذا تقدمت الحاء على الهاء أو تأخرت، إلا أن الإظهار في حالة تقدم الحاء على الهاء

أحسن منه في حالة تقدم الهاء على الحاء.

1. العين والهاء:

أما إدغام العين والهاء فقد أشار إليه الرضي بقوله: "وتدغم العين في الهاء أيضا ولكن بعد

قلبيها حاءين نحو: محم و محآؤلاء والبيان أكثر"³.

والهاء والعين يقعان من حيث التقدم والتأخر على صورتين هما:

1. ه + ع ← ح ح

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 264/3.

2 - أنيس: 180.

- عمر. دراسة الصوت اللغوي. 388.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 277/3.

مهموس رخو + مجهور متوسط ← مهموس رخو مضعف.

نحو: اجه عنبه ← اجهنة وهنا البيان أحسن، لأن الهاء لا تدغم في العين لمخالفتها إياها في

الهمس والرخاوة، ولأن حروف الحلق تتأبى على الإدغام¹.

وقد علل الرضي ترك إدغام الهاء في العين بتضعيف العين بقوله: "لأن قياس إدغام الأنزل في

الأعلى بقلب الأول إلى الثاني قياس مطرد غير منكسر، وقد تعذر عليهم ذلك لثقل تضعيف العين

فتركوا الإدغام رأساً².

2. ع + ه ← ح ح

مجهور متوسط + مهموس رخو ← مهموس رخو مضعف.

نحو: اقطع هلالا ← اقطحلالا، وهنا البيان أحسن وذلك لقرب المخرجين، ولأن الأقرب

إلى الفم لا يدغم فيما وراءه.

أي أنه إذا تجاوز حرفان من غير حروف الفم فإن الأقرب إلى الفم لا يدغم في أبعدها عنه، وبناءً

على هذا فإن الهاء تدغم في العين سألقة عليها أو لاحقة بها، وتكون صورة الإدغام في الحالتين على

هيئة (ح ح) أي بقلب العين والهاء حاءين.

وما ذهب إليه ابن الحاجب وشارحه الرضي يتفق مع ما هو موجود عند سيبويه من حيث حكم اجتماع

الهاء مع العين حيث قال: "العين مع الهاء كقولك: اقطع هلالا، البيان أحسن، فإن أدغمت لقرب

المخرجين حولت الهاء حاءً والعين حاءً ثم أدغمت الحاء في الحاء، لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في

الذي قبله فأبدلت مكانها أشبه الحرفين بها ثم أدغمته فيه كي لا يكون الإدغام في الذي فوقه ولكن

ليكون في الذي هو من مخرجه. ولم يدغموها في العين إذ كانتا من حروف الحلق، لأنها خالفتها في

الهمس والرخاوة فوق إدغام لقرب المخرجين، ولم تقو عليها العين إذ خالفتها فيما ذكرت لك، ولم

1 - حسان. اللغة العربية. 285.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 277/3.

تكن حروف الحلق أصلاً للإدغام، ومع هذا فإن التقاء الحاءين أخف في الكلام من التقاء العينين... والمهموس أخف من المجهور"¹.

حيث علل سيبويه سبب عدم قلب العين هاء بعلة الأقرب إلى الفم لا يدغم في الأنزل، ولم تقلب الهاء عيناً وذلك لمخالفتها إياها في الصفات (الهمس والرخاوة)، فاختر الحاء وذلك لأنه يعد نقطة وصل بين الهاء والعين - المختلفتين كلياً من حيث الصفات - فهو يشارك الهاء في صفة الهمس والرخاوة، ويشارك العين في أن كلاً منهما من مخرج واحد.

وقد علل ذلك الرضي فقال: "إذ العين مجهورة والهاء مهموسة، فطلبوا حرفاً مناسباً لهما أخف منهما، وهو الحاء: أما كونه أخف فإنه أعلى منهما في الحلق... وأما مناسبتة للعين فلأنهما من وسط الحلق، وأما الهاء فبالهمس والرخاوة"².

ويتفق المبرد مع ابن الحاجب وسيبويه في علة عدم إدغام العين في الهاء حيث قال: "وكذلك العين لا تدغم في الهاء ولا تدغم الهاء فيها، فأما ترك إدغامهما في الهاء، فلقرب العين من الفم، وأما ترك إدغام الهاء فيها، فلمخالفتها إياها في الهمس والرخاوة..."³.

2. العين والحاء:

ومخرجهما من وسط الحلق عند ابن الحاجب وشارحه الرضي، وهو يساوي المخرج الحلقى لدى المحدثين، وحكم إدغامهما كما نص ابن الحاجب "والعين في الحاء، والحاء في الهاء والعين بقلبها حاءين"⁴.

وأوضح الرضي ذلك بقوله: "وأما العين فتدغم في الحاء، وذلك لقرب المخرج نحو ارفع حاتماً"⁵.

1 - سيبويه: 449/4، 450.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 266/3.

3 - المبرد: 207/1، 208.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 276/3.

5 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 276/3.

والى مثل هذا أشار سيبويه بقوله: "العين مع الحاء كقولك: اقطع حملاً، والإدغام حسن والبيان حسن لأنهما من مخرج واحد"¹.

وقد أوضحت القوانين الصوتية أن مثل هذا الإدغام جائز ومبرر؛ لأنه لا فرق بين الحاء والعين إلا في أن الأولى مهموسة والثانية نظيرها المجهور.

والعين والحاء يقعان من حيث التقدم والتأخر على صورتين هما:

$$1. \text{ع} + \text{ح} \leftarrow \text{ح ح}$$

مجهور متوسط + مهموس احتكاكي \leftarrow مهموس احتكاكي مضعف

نحو: اقطع حملاً \leftarrow اقطع حملاً

والإدغام هنا حسن لأنهما من مخرج واحد، والبيان حسن كذلك² على حد تعبير وإشارة سيبويه³.

وكذلك المبرد الذي قال: "وكذلك العين والحاء إذا أدغمت واحدة منهما في الأخرى فقلبت العين حاءً

جاز تقول: اصلحاً مراً تريد اصلح عامراً"⁴.

$$2. \text{ح} + \text{ع} \leftarrow \text{ح ح}$$

مهموس احتكاكي + مجهور متوسط \leftarrow مهموس احتكاكي مضعف.

نحو: امدح عرفه \leftarrow امدح عرفه.

وهنا البيان أحسن من الإدغام⁵.

فالمبرد يرى أن قلب العين حاء إذا كانت الحاء متقدمة جائز ولكنه ليس في حسن إدغام العين في

الحاء حالة تقدم العين.

1 - سيبويه: 451/4.

2 - حسان، اللغة العربية: 285.

3 - سيبويه: 451/4.

4 - المبرد: 208/1.

5 - حسان، اللغة العربية: 285.

يقول المبرد: "فأما قلب العين إلى الحاء إذا كانت بعدها فهو جائز، وليس في حسن هذا؛ لأن حق الإدغام أن يدغم الأول في الثاني ويحول على لفظه"¹.

ويتفق مع المبرد ابن يعيش فهو أيضاً قد جعل إدغام العين في الحاء حالة تقدم الحاء جائزاً ولكنه ليس بدرجة حسن إدغام العين في الحاء حالة تقدم العين، لأن ذلك مخالف لقاعدة الإدغام التي تنص على قلب الأول إلى الثاني وتحوله إلى لفظه.

كما أن هذا الإدغام لم يؤثر فيه الصوت القوي وهو العين - وسبب قوته كونه مجهوراً - في الصوت الضعيف وهو الحاء المهموس، الأمر الذي جعل هذا الإدغام أقل حسناً من البيان، فإذا ما أمعنا النظر في الصورة الثانية من صور اجتماع العين والحاء وجدنا أن الصوت الضعيف وهو الحاء - وسبب ضعفه كونه مهموساً - هو الذي أثر في الصوت القوي (العين).

ويبدو لنا أن السبب في ذلك هو المحافظة على الخفة المرجوة من الإدغام، فلا يخفى أن اجتماع عينين فيه من التقل ما فيه؛ لأن العين بحكم موقعها المخرجي تعد أثقل من الحاء، فالصوت كلما قرب من حروف الفم كان أخف مما هو أنزل في الحلق.

فإذا اجتمعت عينان - بسبب الإدغام - فإن التقل يزداد عما هو عليه في حالة العين الواحدة.

كما أن صفات العين وهي الجهر والتوسط تعد سبب تقل لها، الأمر الذي جعل الحاء أخف منها بفضل صفتي الهمس والرخاوة قال الرضي: "لكونه مهموساً رخواً، والهمس والرخاوة أسهل على الناطق من الشدة والجهر"².

¹ - المبرد: 208/1.
² - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 275/3.

3. الغين والفاء:

يرى ابن الحاجب - وشارحه الرضي - أنه إذا اجتمعت الغين والفاء وهما من المخرج الثالث من الحلق فإن إدغام كل منهما في أختها جائز؛ لأنهما من مخرج واحد "والغين في الفاء والفاء في الغين"¹.

يقول الرضي: "وأما الغين فإنه يدغم في الفاء لأن الفاء أعلى منه نحو: ادغم خلفاً... وأما الفاء فتدغم في الغين نحو: اسلخ غنمك، والبيان أحسن والإدغام حسن ولكن لا كحسن إدغام الغين، في الفاء المعجمتين"².

وقد ذكر الرضي أن السبب في تفضيل واستحسان إدغام الغين في الفاء هو كون الفاء أعلى من الغين، ولأن التضعيف في الفاء كثير بينما تضعيف الغين لم يأت إلا مع الفصل³.

أما المبرد فقد كان السبب الذي ذكره لعله استحسان إدغام الغين في الفاء له علاقة بالصفات فقال: "وأما ما لا اختلاف فيه فإنك تدغم الغين في الفاء؛ لاشتراكهما في الرخاوة، وأنه ليس بينهما إلا الهمس والجهر، فنقول في قولك: اصبغ خلفاً ← اصبغ خلفاً، وهو أحسن من البيان وكذلك:

ادمخالداً تريد ادغم خالداً، والبيان جائز حسن"⁴.

والصور الممكنة لالتقاء الغين والفاء هي:

1. غ + خ ← خ خ

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف.

نحو: ادغم خلفاً ← ادمخلفاً.

وهنا الإدغام جاء مطابقاً للقاعدة وهي قلب الأول إلى جنس الثاني.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 276/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 277/3.

3 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 277/3.

4 - المبرد: 209/1.

ويعتبر البيان أحسن في هذه الحالة "لأن الغين مجهورة، والتقاء المهموسين أخف من التقاء المجهورين.

نحو: اسلخ غنمك ← اسلغنمك

2. خ + غ ← غ غ

مهموس احتكاكي + مجهور احتكاكي ← مجهور احتكاكي مضعف

وقد علل ابن عصفور سبب جواز قلب الخاء غيناً في هذه الصورة بقوله: "وإنما جاز قلب الخاء غيناً، إن كانت أخرج إلى الفم منها، لأن الغين والحاء لقرب مخرجهما من الفم أجريا مجرى حروف الفم، وحروف الفم يجوز فيها قلب الأخرج إلى الأدخل"¹.

وهنا يتضح لنا الخلط الذي وقع فيه القدامى فهم يجعلون مخرج (غ . خ) من أدنى الحلق ثم يعودون ويشبهون هذين الصوتين بأصوات الفم من حيث جواز قلب الأخرج إلى الأدخل، معللين ذلك بقرب مخرج هذين الصوتين من الفم، والحقيقة عكس ذلك وهي أن مخرج هذين الصوتين إنما هو الطبقة (الحنك اللين) وهو جزء من الفم.

ولعل هذا السبب هو الذي يعلل قلب (الهاء حاء) عند اجتماعها مع الحاء والعين، وقلب (العين حاء) عند اجتماعها مع الهاء والحاء، وذلك لكون الحاء هو أعلى الحروف الحلقية وعليه فهو أخفها.

وهو السبب أيضاً في كثرة ما جيء من الحاء في باب التضعيف نحو: بَحّ - زَحّ - صَحّ، إلا أن الرضي قد علل سبب كثرة ما جيء من الحاء في باب التضعيف وقلته في باب الغين والحاء بقوله: "لكنه إنما كثر نحو: بَحّ - وزَحّ - وصَحّ - وفَحّ، وغير ذلك لكونه مهموساً رخواً والهمس والرخاوة أسهل على الناطق من الشدة والجهر والغين لا تجيء عيناً ولاماً معاً إلا مع حاجز كالضغينة....

¹ - ابن عصفور: 683/2.

والحاء أكأر منه؛ لأنه أقرب إلى الفم، وأيضاً هي مهموسة رخوة كالحاء نحو: المخ والفخ ورآ...،
والغين مجهورة كالعين، وإنما قل تضعيفها لصعوبتها وتكلف إخراجها مخففة فكيف بها مضعفة"¹.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 275/3.

أحكام أصوات الفم في الإدغام:

بعد أن أنهى ابن الحاجب ذكر أحكام الإدغام المتعلقة بالأصوات الحلقية، شرع في بيان

أحكام أصوات الفم في الإدغام.

وقد ابتأ من حيث انتهى فأتى على ما يتكون من أصوات في نهاية الفم وهما صوتا القاف والكاف.

فالقاف عند ابن الحاجب من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى، أما الكاف فهو من مؤخر

اللسان وما يليه من الحنك الأعلى.

في حين جعل درس الصوتي الحديث مخرج القاف هو اللهاة، واعتبر الكاف من المخرج الطبقي

(الحنك اللين).

وتعتبر الأصوات الفموية - أي المتكونة داخل الحيز الممتد من الغار إلى اللهاة - أصلاً في

الإدغام¹، ولهذا فهي أكثر الأصوات تعرضاً له.

1. القاف والكاف:

قرر ابن الحاجب أن القاف يدغم في الكاف، كما يدغم الكاف في القاف "والقاف في الكاف

والكاف في القاف"².

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه ويوضحه بقوله: "أما القاف فيدغم في الكاف بقلب

الأول إلى الثاني، نحو: الحق كلاة،... أما الكاف فإنما يدغم في القاف نحو: انهك قطناً بقلب الأول

إلى الثاني والإدغام حسن والبيان أحسن لأن القاف أدخل"³.

وقد علل الرضي سبب جودة إدغام القاف في الكاف من خلال استشهاده بكلام سيبويه الذي ذكر

عدة أسباب لهذا الاستحسان في معرض حديثه عن إدغام القاف في الكاف، والعكس يقول سيبويه

1 - حسان. اللغة العربية. 289.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 278/3.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 278/3.

"القاف مع الكاف، كقولك: الحق كلفة. الإدغام حسن والبيان حسن، وإنما أدغمت لقرب المخرجين، وأنها من حروف اللسان، وهما متفقان في الشدة، والكاف مع القاف: انهك قطناً، البيان أحسن والإدغام حسن وإنما كان البيان أحسن لأن مخرجهما أقرب مخارج اللسان إلى الحلق، فشبهت بالخاء مع الغين كما شبه أقرب مخارج الحلق إلى اللسان بحروف اللسان"¹.

وما هو وارد عند القدامى يتفق مع ما هو موجود في الدرس الصوتي الحديث حيث تقع القاف والكاف من حيث التقدم والتأخر على صورتين هما:

1. ق + ك ← ك ك

مهموس شديد + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف.

نحو: الحق كلفة

وهنا البيان تساوي في الحسن مع الإدغام، وذلك لقرب المخرجين، وكونهما من حروف اللسان، واتفاقهما في صفتي الشدة والهمس.

والاتفاق الموجود بين هذين الصوتين من حيث الصفات يعد من الظروف المناسبة لإدغام المتقاربين. وهنا أثر الصوت الثاني وهو الكاف في الأول وهو القاف، وهذا التأثير يعد تأثيراً رجعيّاً جاء على الأصل (أي حسب قاعدة الإدغام).

2. ك + ق ← ق ق

مهموس شديد + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف.

نحو: انهك قطناً.

وهنا البيان أحسن من الإدغام، وذلك لقرب مخرج هذين الصوتين من الحلق فشبهت بالخاء والغين².

1 - سيبويه: 452/4.

2 - حسان. اللغة العربية. 286.

وهنا حدث تأثيراً رجعيأً بين الصوتين، حيث أثرت القاف في الكاف وحولتها إلى جنسها، وبهذا لم يحدث تعارض مع أصل قاعدة الإدغام الذي يتم فيها قلب الأول إلى جنس الثاني، إلا أن هذه الصورة قد حدث فيها قلب للأعلى مخرجاً إلى الأنزل مخرجاً.

2. الجيم والشين والياء:

وتقع الجيم والشين والياء ضمن أصوات المخرج الغاري أو حسب تعبير ابن الحاجب "وسط اللسان وما فوقه من الحنك"¹.

وقد نص ابن الحاجب على أن الجيم يدغم في الشين في حين يمتنع إدغام الشين في الجيم، فقال: "والجيم في الشين" "ولم تدغم حروف (ضوى مشفر) فيما يقاربها لزيادة صفتها"².

وقد بين الرضي سبب منع إدغام الشين في الجيم بقوله: "فضيلة الشين التفشي والرخاوة فلا تدغم في الجيم مع تقاربها في المخرج"³.

وقد اتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما أورده من إدغام الجيم في الشين، ووصف الإدغام والبيان في هذه الصورة بالحسنين؛ لأن الصوتين من مخرج واحد.

والى مثل هذا ذهب سيبويه في كتابه "الجيم مع الشين، كقولك: ابعج شبتاً، الإدغام والبيان حسنان لأنهما من مخرج واحد، وهما من حروف وسط اللسان".

"والشين لا تدغم في الجيم، لأن الشين استطال مخرجها لرخاوتها حتى اتصل بمخرج الطاء فصارت منزلتها منها نحواً من منزلة الفاء مع الباء فاجتمع هذا فيها والتفشي، فكروها أن يدغموها في الجيم"⁴.

ويتفق المبرد مع سيبويه فيما يخص إدغام هذين الصوتين من عدمه⁵.

وبالتالي يكون كلام ابن الحاجب وشارحه الرضي قد جاء مماثلاً لكل من سيبويه والمبرد.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 250/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 269/3، 278.

3 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 270/3.

4 - سيبويه: 448/4، 452.

5 - المبرد: 211/1.

والدرس الصوتي الحديث كذلك جاء متفقاً مع ما هو موجود في التراث، حيث رأى تمام حسان أن الجيم والشين لهما صورتان من حيث التقدم والتأخر هما:

1. ش + ج ← وهذا النسق لا إدغام فيه.

وذلك باتفاق العلماء أمثال: سيبيويه، والمبرد، ابن الحاجب، الرضي، وذلك للحفاظ على صفة

التفشي التي تمتاز بها الشين.

2. ج + ش ← ش ش

مجهور مركب + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف.

نحو: ابجع شبتاً.

والإدغام حسن لأنهما من مخرج واحد، وهما من حروف وسط اللسان، كما أن البيان يساوي الإدغام

في الحسن¹.

وهنا نلاحظ أن تأثير الشين في الجيم هو تأثير رجعي، حيث قلبت الشين الجيم إلى جنسها وذلك لما

تمتاز به من صفات وملامح قوة، بالإضافة إلى أن قلب الأول إلى جنس الثاني هو الأصل في

الإدغام.

¹ - حسان. اللغة العربية. 286.

الياء وحكم إدغامها في الشين والجيم:

الياء لا تدغم في الجيم ولا الشين، لأنها حرف لين وحروف اللين تمتنع من الإدغام¹.

وهذا ما قرره ابن الحاجب في شافيته "ولم تدغم حروف (ضوى مشفر) فيما يقاربها لزيادة صفتها"².

وقد تبعه الرضي في ذلك عند شرحه لهذا بقوله: "المانع من إدغام أحد المتقاربين في الآخر شيان:

أحدهما اتصاف الأول بصفة ليست في الثاني، فلا يدغم الأول في الثاني إبقاءً على تلك الصفة، فمن

ثم لم تدغم حروف (ضوى مشفر) فيما ليس فيه صفة المدغم، ... وفضيلة الواو والياء اللين"³.

ويتفق ما ذكره ابن الحاجب وشارحه الرضي مع ما نص عليه سيبويه بشأن هذا الصوت، حيث قال

هذا الأخير: "ولا تدغم الياء وإن كان قبلها فتحة، ولا الواو وإن كان قبلها فتحة مع شيء من المتقاربة،

لأن فيهما ليناً ومدأ، فلم تقو عليهما الجيم والباء"⁴.

وقد نص المبرد أيضاً على هذا فقال: "ولا تدغم الشين ولا الجيم فيها (أي الياء)؛ لئلا يدخل في حروف

المد ما ليس بمد، فالياء بئنة منهما للمد واللين الذي فيها، فهي منهما بمنزلة حرف بعيد المخرج من

مخرجهما، وإن كانت من ذلك الموضع"⁵.

وقد سبق أن ذكرنا أن الدرس الحديث يشترط في إدغام المتقاربين أن يكونا من الفئة ذاتها، أي أن

يكونا هما الاثنان من الصوامت أو من الصوائت، ولا يجوز أن يقع الإدغام بين صوت صامت وآخر

صائت، وذلك بسبب الاختلاف بين طبيعة الصوتين فالصوامت ذات طبيعة مشتركة، ناتجة من أنها

جميعاً تنشأ من اعتراض طريق الهواء المندفع من الرئتين إلى خارج الفم، على حين تنشأ الحركات

دون اعتراض، فهي أصوات انطلاقية، وبناءً على ذلك فالأصوات الاعتراضية أي (الصوامت) يمكن

¹ - المبرد: 210/1.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 269/3.

³ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 270/3.

⁴ - سيبويه: 446/4.

⁵ - المبرد: 211/1.

التبادل بينها وكذلك الحركات تتبادل فيما بينها، ولكن من البعيد أن يصبح الصامت حركة، أو أن تصبح الحركة صامتاً نظراً للتباين في طبيعتهما¹.
وبناءً على ذلك امتنع إدغام الياء - التي هي من الصوائت - فيما يقاربها من الصوامت (الجيم - الشين).

حكم اللام في الإدغام مع بقية الحروف:

جعل المحدثون اللام من الأصوات اللثوية أي: المنتمية إلى المخرج اللثوي، أما ابن الحاجب فقد جعل مخرج اللام هو "ما دون طرف اللسان إلى منتهاه وما فوق ذلك"².
وقد نص ابن الحاجب على أن اللام نوعان:

- لام معرفة.

- لام غير معرفة مثل لام (هل - بل).

ولكل نوع منهما أحكامه التي شرع في بيانها ابن الحاجب بقوله: "واللام المعرفة تدغم وجوباً في مثلها وفي ثلاثة عشر حرفاً، وغير المعرفة لازم في نحو: بل ران - وجائز في البواقي"³.

وقد وضح الرضي المقصود من كلام ابن الحاجب فبين الأصوات الثلاثة عشر التي تدغم فيها اللام المعرفة، وسبب إدغامها في هذه الحروف فقال: "يريد بالثلاثة عشر النون، والراء، والذال، والتاء، والصاد، والزاي، والسين، والطاء، والظاء، والذال، والضاد، والشين، وإنما أدغمت في هذه الحروف وجوباً لكثرة لام المعرفة في الكلام وفرط موافقتها لهذه الحروف؛ لأن جميع هذه الحروف من طرف اللسان كاللام"⁴.

¹ - شاهين: 168.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 250/3.

³ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 279/3.

⁴ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 279/3.

وقد استثنى الرضي الضاد والشين فهما ليسا من حروف (أصوات) طرف اللسان، إلا أنه قد عاد وذكر علة إدغام اللام فيهما مع كونهما ليسا من حروف طرف اللسان بقوله: "أما الضاد فلأنها استطالت لرخاوتها حتى اتصلت بمخرج اللام... وكذا الشين حتى اتصلت بمخرج الطاء"¹.
أما الدرس الصوتي الحديث فقد عرض لإدغام اللام المعرفة مع هذه الحروف فعلى أحمد مختار عمر هذه الحالة بقوله: "ال" التعريف فمن الملاحظ أن لامها تتحول إلى صوت مماثل لما بعدها حين يتقارب المخرجان، وتحتفظ بشخصيتها حين يتباعد المخرجان، فاللام تقع في المخرج الخامس (من الأمام) وهو اللثة ولهذا فهي تدغم في الأصوات الساكنة القريبة منها أو المماثلة لها في المخارج رقم (3، 4، 5، 6) ويشمل ذلك الأصوات: ذ - ث - ظ - د - ت - ط - ز - س - ص - ض - ن - ر - ش ولا تدغم في الأصوات الساكنة البعيدة عنها في المخرج (المخارج 1، 2، 8، 11) ويشمل ذلك الأصوات: ب - م - ف - ك - خ - غ - ق - ح - ه -
- الهمزة ويضاف إليها الجيم"².

وهنا نلاحظ أن الفكرة التي بني عليها إدغام المتقاربين - إلا وهي فكرة التقارب المخرجي أو الكيفي "الصفة" - حاضرة هنا ويقوة عند إدغام اللام.

فالأصوات المشتركة مع اللام مخرجياً أو المقاربة لها تدغم معها، في حين نجد المتباعدة عنها في المخرج لا تدغم معها.

وتسمى اللام عند إدغامها في هذه الأصوات (لاماً شمسية)، أما عندما لا تدغم مع باقي الأصوات تسمى (لاماً قمرية)³.

بعد ذلك انتقل الرضي إلى النوع الثاني من اللام وهي:

1 - الاسترأباضي، شرح شافية ابن الحاجب، 279/3.

2 - عمر، دراسة الصوت اللغوي، 389.

3 - حسان، اللغة العربية، 288.

اللام غير المعرفة نحو: (لام هل - قل - بل).

حيث أوضح الرضي أن إدغام هذه اللام مع الأصوات الثلاثة عشر السابقة الذكر له أقسام من حيث مدى حسن الإدغام وهذه الأقسام هي:

القسم الأول:

ما كان فيه الإدغام أحسن من الإظهار، ويكون ذلك مع صوت الراء وذلك لقرب مخرجيهما، وإلى هذا ذهب سيبويه في كتابه "اللام مع الراء نحو: اشغل رحبة لقرب المخرجين، ولأن فيها انحرافاً نحو اللام قليلاً، وقاربتها في طرف اللسان، وهما في الشدة وجري الصوت سواء وليس بين مخرجيهما مخرج والإدغام أحسن"¹.

ويتفق مع ابن الحاجب وسيبويه المبرد في مقتضبه².

واللام والراء يقعان من حيث التقدم والتأخر على صورتين هما:

1. ر + ل ← وهذه الصورة قد اقتضت إشارة سيبويه إلى امتناعها حيث قال: "والراء لا تدغم

في اللام ولا النون، لأنها مكررة...، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفشى في الفم

مثلها ولا يكرر..."³.

2. ل + ر ← رر

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

نحو: بل ران

والإدغام هنا أحسن والبيان حسن.

1 - سيبويه: 452/4.

2 - المبرد: 214/1.

3 - سيبويه: 448/4.

القسم الثاني:

وهو الذي يلي الأول في الحسن.

ويكون بإدغام اللام الساكنة في كل من (الطاء - الدال - التاء - الصاد - الزاي - السين).

وقد أوضح الرضي سبب إتيان هذا القسم في المرتبة الثانية من الحسن بقوله: "وذلك لأنهن تراخين

عن اللام إلى الثنايا، وليس فيهن انحراف نحو اللام كما كان في الرء"¹.

القسم الثالث:

ويقع في المرتبة الثالثة من حيث حسن الإدغام ويكون بإدغام اللام في (الطاء، والتاء، والدال)

وقد علل الرضي ذلك بقوله: "وإنما كان الإدغام مع الطاء والدال والتاء والزاي والسين أقوى منه مع

هذه الثلاثة لأن اللام لم تنزل إلى أطراف الثنايا كما لم تنزل الطاء وأخواتها إليها بخلاف الثلاثة"².

القسم الرابع:

إدغام اللام في الضاد والشين ويقع هذا النوع من الإدغام في المرتبة الرابعة.

القسم الخامس:

أما إدغام اللام الساكنة في النون فيعد أقبح من جميع ما مر.

¹ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 279/3.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 279/3.

حكم النون في الإدغام:

النون من أصوات المخرج الخامس - (من الأمام) - وهو اللثة، وهي من الأصوات التي

تتصف بصفة الغنة، وهذه الصفة جعلت للنون أثناء النطق بها منفذين للهواء هما: الفم - الأنف.

يقول الرضي: إن للنون مخرجين: أحدهما في الفم، والآخر في الخيشوم إذ لا بد فيها من الغنة، وإذا

أردت إخراجها في حالة واحدة من المخرجين، فلا بد فيها من اعتماد قوي وعلاج شديد؛ إذ الاعتماد

على المخرجين في حالة واحدة أقوى من الاعتماد على مخرج واحد¹.

وقد حصر ابن الحاجب الحالات التي تعرض لها النون بقوله: "والنون الساكنة تدغم وجوباً في حروف

يرملون" والأفصح إبقاء غنتها في الواو والياء، وإذهابها في اللام والراء، وتقلب ميماً قبل الباء، وتخفى

في غير حروف الحلق فيكون لها خمس أحوال².

وبالنظر إلى كلام ابن الحاجب الأنف الذكر يتبين لنا المقصود من هذه الأحوال الخمسة وهي:

1. الإدغام بغنة.

2. الإدغام بغير غنة.

3. الانقلاب.

4. الإخفاء.

5. الإظهار.

واليك تفصيل كل حالة على حدى.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 271/3، 272.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

1. الإدغام بغنة:

نص ابن الحاجب - وتبعه الرضي - على أن النون الساكنة تدغم وجوباً في عدة أصوات مقارنة للنون مجموعة في قولهم: (يرملون)، قد يكون وهذا التقارب في المخرج كما هو الحال مع الراء واللام، أو أن يكون في الصفة كما هو الحال مع الميم والواو والياء فالميم تشارك النون في صفتي الجهر والأنفمية، في حين تشارك الواو والياء النون في صفتي التوسط والجهر، كما أن النون تزداد في موضع زيادتهما¹.

إلا أن إدغام النون مع الواو والياء لا يكون إلا بإبقاء غنة النون وهذا هو الأفصح، وقد علل الرضي ذلك بقوله: "وإن كان المدغم فيه واواً أو ياء فالأولى الغنة لوجهين: أحدهما أن مقارنة النون إياهما بالصفة لا بالمخرج؛ فالأولى أن لا يغتفر زهاب فضيلة النون أي: الغنة رأساً لمثل هذا القرب غير الكامل، بل ينبغي أن يكون للنون معهما حالة بين الإخفاء والإدغام، وهي الحالة التي فوق الإخفاء ودون الإدغام التام، فيبقى شيء من الغنة"².

وإدغام النون معهما يكون بالصورة الآتية:

ن + و ← وو

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

ن + ي ← يي

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

وهنا نلاحظ أن الإدغام كان رجعيّاً حيث أثرت كلّ من الواو والياء في النون فقلبت النون إلى جنسهما،

إلا أن النون تركت أثراً يدل عليها وهو الغنة.

¹ - المبرد: 219/1

² - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 273/3.

وقد ذكر هذا إبراهيم أنيس بقوله: "والقراء عادة يقسمون الإدغام إلى إدغام ناقص، فيه لا يتم فناء أحد الصوتين بل يترك الصوت بعد فوائه أثراً يشعر به كما هو الحال في الإدغام مع الغنة، والقراء يكادون يجمعون على أن هذا لا يكون إلا حين تلتقي النون المشكلة بالسكون (بالياء) أو (الواو) مثل: (من يقول) (من وال)"¹.

2. الإدغام بغير غنة:

ويكون مع (الراء - اللام - الميم) حيث تدغم النون الساكنة هنا مع ذهاب صفتها أو فضيلتها وهي الغنة.

وقد علل الرضي سبب ترك الغنة مع اللام والراء كما ذكر أيضاً علة ذلك مع الميم حيث قال: "فإن كان المدغم فيه اللام والراء فالأولى ترك الغنة؛ لأن النون تقاربهما في المخرج وفي الصفة أيضاً؛ لأن الثلاثة مجهورة وبين الشديدة والرخوة؛ فاعتقر ذهاب الغنة مع كونها فضيلة للنون؛ للقرب في المخرج والصفة".

ثم ذكر علة ترك الغنة مع الميم بقوله: "وإن كان المدغم فيه ميماً أدغم إدغاماً تاماً لأن فضيلة الغنة حاصلة في المدغم فيه؛ إذ في الميم غنة وإن كانت أقل من غنة النون"².

وهنا يتضح من خلال تعليل الرضي لهذه الحالة أن سبب ترك الغنة مع اللام والراء هو اشتراك النون معهما في المخرج، بالإضافة إلى التقارب في الصفات فالثلاثة مجهورة متوسطة - بين الشديدة والرخوة - فاعتقر ترك غنة النون بسبب هذا التقارب الشديد بينها وبين هذين الصوتين وعلى هذا يكون مخرج النون من الفم لا من الخيشوم.

¹ - أنيس: 186، 187.

² - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب. 273/3.

ويختلف الرضي مع ما أورده سيبويه، فالأخير يرى أن إدغام النون في اللام والراء والواو والياء قد يكون بغنة، كما يرى أن الغنة الحاصلة هنا ليست هي ذاتها غنة النون إنما هي ناتجة عن إشراب صوت الفم غنة.

قال سيبويه في كتابه: "وهي مع الراء واللام والياء والواو إذا أدغمت بغنة فليس مخرجها من الخياشيم، ولكن صوت الفم أشرب غنة"¹.

واجتماع النون الساكنة باللام والراء يحصل عنه إدغام صفته أنه ذو تأثير رجعي، حيث تؤثر كل من الراء واللام في النون فتقلب إلى جنسهما وذلك لما يمتاز به هذان الصوتان من ملامح قوة، فالراء له فضيلة التكرار في حين تتسم اللام بفضيلة الاستطالة والتنقشي.

ن + ر ← رر

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

نحو: من راشد ← مزاشد.

وهنا ترك الغنة أولى عند الرضي.

ن + ل ← نل

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

نحو: من لك ← ملك.

أما إدغام النون في الميم فهو أيضاً ذو تأثير رجعي.

ن + م ← مم

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

نحو: من من هذا ← ممّن هذا.

¹ - سيبويه: 454/4.

3. القلب:

حين يتعسر التصريح بالنون الساكنة¹، ويكون ذلك عند مجاورة النون الساكنة لصوت الباء تقلب النون ميماً؛ وذلك بسبب التنافر أو التباين في الصفات بين الصوتين والبعد في المخرج فالنون لثوي بينما الباء شفطاني.

أما التباين في الصفات فيتضح من كون الباء صوت شديد انفجاري غير أنفي، في حين نجد النون صوتاً متوسطاً - بين الشديد والرخو بالإضافة إلى ذلك فهو أنفي أغن.

ولهذا تم إبدالها بأقرب الأصوات لكل من الصوتين وهو الميم، فالميم تشارك الباء في المخرج الشفطاني، وتشارك النون في صفة الغنة وقد ذكر الرضي هذا فقال: "إن تنافرت هي - يقصد النون - والحرف الذي يجيء بعدها، وهي الباء فقط كما في عنبر قلبت تلك النون الخفية إلى حرف متوسط بين النون وذلك الحرف، وهي الميم"².

ويتفق الرضي فيما ذهب إليه مع سيبويه الذي قال: "وتقلب النون مع الباء ميماً، لأنها من موضع تقل فيه النون... ولم يجعلوا النون باءً لبعدها في المخرج وأنها ليست فيها غنة ولكنهم أبدلوا من مكانها أشبه الحروف بالنون وهي الميم، وذلك قولهم: ممبك، يريدون: من بك..."³.

والمبرد الذي قال: "وتقلب مع الباء ميماً إذا كانت ساكنة، وذلك عمبر، وشمباء، وممبر فهي في كل هذا ميم في اللفظ"⁴.

وعليه؛ فإن النون الساكنة قد تحولت إلى مقابلها الشفوي (الميم) وذلك تحت تأثير صوت الباء الشفوي المشارك للنون في صفة الغنة وللباء في المخرج.

ن + ب ← م ب

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 216/3.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 272/3.

³ - سيبويه: 453/4.

⁴ - المبرد: 216/1.

نحو: انبعث ← امبعث.

4. الإخفاء:

ويكون مع باقي حروف الفم، وقد ذكر الرضي أسباب إخفاء النون مع هذه الأصوات فتمثلت

الأسباب في:

1. سكونها - أي سكون النون - لأن الاعتماد على الحرف الساكن أقل من الاعتماد على الحرف المتحرك.

2. وقوع حرف لا يحتاج إلى قوة اعتماد عقب النون بلا فصل¹.

ولهذين السببين تخفى النون مع الأصوات غير الحلقية أو مع أصوات الفم التي لم تذكر في حكمي الإدغام والاقلاب وهذه الأصوات هي (التاء - الثاء - الجيم - الدال - الذال - الزاي - السين - الشين - الصاد - الضاد - الطاء - الظاء - الفاء - القاف - الكاف)².

وما ذهب إليه الرضي يؤيده قول سيبويه: "وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفاً خفياً مخرجه من الخياشيم؛ وذلك أنها من حروف الفم وأصل الإدغام لحروف الفم، لأنها أكثر الحروف فلما وصلوا إلى أن يكون لها مخرج من غير الفم كان أخف عليهم أن لا يستعملوا ألسنتهم إلا مرة واحدة، وكان العلم بها أنها نون من ذلك الموضع كالعلم بها وهي من الفم، لأنه ليس حرف يخرج من ذلك الموضع غيرها، فاختراروا الخفة إذ لم يكن لبس، وكان أصل الإدغام وكثرة الحروف للفم وذلك قولك: من كان ومن قال ومن جاء"³.

وقد ذكر أحمد مختار عمر أن النون الساكنة تطول وتميل إلى مخرج الصوت الذي بعدها مع

الأصوات المبدوءة بها الكلمات الآتية:

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 272/3.

2 - حسان. اللغة العربية. 53.

3 - سيبويه: 554/4.

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما :: دم طيباً زد في تقي ضع ظالماً

وهذا ما يعرف بالإخفاء¹.

وذكر الرضي أنه قد تخفى النون قبل الغين والحاء عند طائفة من الناس وذلك لكونهما قريبتين من حروف الفم فحملت عليها في حكم الإخفاء.

5. الإظهار:

ويقصد به الإبانة، وتكون النون الساكنة بينة مع الأصوات الحلقية أي غير مخفاة على حد تعبير الرضي "أما مع الحلقية فلا تخفى؛ لأن حرف الحلق يحتاج إلى فضل اعتماد فتجرى النون على أصلها من فضل الاعتماد ليجرى الاعتماد على نسق واحد"².

أما ابن الحاجب فقد ذكر أن للنون خمس أحوال ذكر منها الإدغام بغنة مع الواو والياء وبغير غنة مع اللام والراء والقلب مع الميم والإخفاء مع غير الحروف الحلقية، وعلى ذلك فإن الإظهار فهم ضمناً من قوله: "وتخفى في غير حروف الحلق"³.

ويتفق الرضي مع سيبويه الذي أثبت للنون حكم الإظهار مع الأصوات الحلقية بقوله: "وتكون مع الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والحاء بينة موضعها من الفم. وذلك أن هذه الستة تباعدت من مخرج النون وليست من قبيلها، فلم تخف ههنا كما لم تدغم في هذا الموضع، وكما أن حروف اللسان لا تدغم في حروف الحلق"⁴.

وهكذا تحتفظ النون بشخصيتها مع الأصوات الحلقية الستة وهي (الهمزة، الهاء، العين، الحاء، الغين، الخاء) فتكون بائنة مظهرة؛ وذلك بسبب بعد مخرج هذه الأصوات الستة عن مخرج النون اللثوي.

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 389.

² - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 273/3.

³ - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

⁴ - سيبويه: 454/4.

حكم الراء في الإدغام:

نص ابن الحاجب على أن الراء - وهي صوت تكراري - لا تدغم في مقاربتها من الأصوات؛ وذلك للمحافظة على صفة الصوت تلك فقال: "ولم تدغم حروف (ضوى مشفر) فيما يقاربتها لزيادة صفتها"¹. ويتفق ابن الحاجب مع سبويه فيما أورده عن هذا الصوت، حيث نص الأخير على ذلك بقوله: "والراء لا تدغم في اللام ولا في النون، لأنها مكررة، وهي تنفسي إذا كان معها غيرها، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس يتفسي في الفم مثلها ولا يكرر"².

وقد أوضح الرضي أن السبب في منع إدغام الراء في مقاربتها هو اتصاف الراء بصفة ليست في مقاربتها فامتنع الإدغام حفاظاً على تلك الصفة.

يقول الرضي: "المانع من إدغام المتقاربين في الآخر شيئان: أحدهما اتصاف الأول بصفة ليست في الثاني، فلا يدغم الأول في الثاني إبقاء على تلك الصفة، فمن ثم لم تدغم حروف (ضوى مشفر) فيما ليس فيه صفة المدغم"³.

إلا أن الرضي قد ذكر أن الكسائي والفراء قد أجازا إدغام الراء في اللام قياساً كراهة لتكرير اللام⁴. وقد ذكر هذا أيضاً إبراهيم أنيس بقوله: "لا تدغم الراء في الأمثلة القرآنية إلا في اللام، مثل قوله تعالى: "قل أن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحييكم الله ويغفر لكم ذنوبكم"⁵ والذي يبرر هذا الإدغام هو قرب المخرج مع اتحاد في الصفة، لأن كلاً منهما صوت متوسط بين الشدة والرخاوة. ولا يكاد يسمع للراء حفيف، مثلها في ذلك مثل أشباه أصوات اللين التي منها اللام... وكل الذي يتطلبه إدغام الراء في اللام هو ترك التكرار المختصة به الراء"⁶.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 269/3.

2 - سبويه: 448/4.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 270/3.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 274/3.

5 - سورة آل عمران. الآية (31).

6 - أنيس: 198، 199.

ونظراً لما اختص به إدغام الراء واللام من اختلاف بين النحاة فالأولى ألا يقاس عليه؛ وذلك لأنه يسلب من الراء فضل الصوت الذي اختصت به وهو التكرير الذي يميزها ويعد ملمح قوة يمكن هذا الصوت من التأثير في غيره فتدغم مقاربات الراء وهي - النون واللام - فيها.

من رأيت ← مزأيت

هل رأيت ← هزأيت

1. ن + ر ← رر

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

وهنا أثرت الراء وهي صوت يمتاز بلامح الجهر والتوسط والتكرير، في النون المتسمة بلمحي الجهر والتوسط تأثيراً رجعياً، فقلبت الراء النون إلى جنسها وذلك لما تمتاز به من ملمح قوة وفضل صوت وهو التكرير.

2. ل + ر ← رر

مجهور متوسط + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف.

وهنا أثرت الراء في اللام والذي ساعد على هذا اشتراك الصوتين في المخرج وصفتي الجهر والتوسط، ونوع التأثير هنا تأثير رجعي ساعد عليه أتصاف الراء بصفة التكرير.

أحكام أصوات طرف اللسان والثنايا في الإدغام:

بعد انتهاء ابن الحاجب - وشارحه الرضي - من ذكر أحكام الإدغام المتعلقة بالنون الساكنة، تطرق إلى بيان حكم الإدغام في مجموعة صوتية جديدة متمثلة في أصوات طرف اللسان والثنايا، حيث ذكر ذلك بقوله: "والتاء والذال والظاء والطاء والثاء يدغم بعضها في بعض، وفي الصاد والزاي والسين..."¹.

وهذه الأصوات الستة هي من مخرجين متقاربين، فالظاء والذال والثاء تتكون في المخرج الأسنان، في حين تعتبر الأسنان واللثة مخرجاً للذال والطاء والثاء، ناهيك عن التقارب الكيفي - أي في الصفة - بين هذه الأصوات.

وقد أوضح الرضي أن الأصوات الستة الأولى كل واحدٍ منها يدغم في الخمسة الباقية وتدغم الخمسة الباقية فيه، كما أنها تدغم في أصوات الصفير الثلاثة وهي (الصاد والزاي والسين).
واليك تفصيل ذلك:

إدغام الطاء في الأصوات الخمسة الباقية:

1. الطاء مع الدال:

نص الرضي على إن إدغام حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه يجب فيه المحافظة على صفة الإطباق هذه "فإذا أدغمت حروف الإطباق فيما لا إطباق فيه فالأصح إبقاء الإطباق، لئلا تذهب فضيلة الحرف، وبعض العرب يذهب الإطباق بالكلية"².

وبناءً على ذلك فإن إدغام الطاء في الدال والعكس يتم فيه المحافظة على فضيلة الإطباق.

واجتماع الطاء مع الدال يقع على صورتين:

¹ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

² - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 281/3.

1. ط + د ← دد

مهموس شديد + مجهور شديد ← مجهور شديد مضعف

وهنا أثرت الدال في الطاء تأثيراً رجعيّاً - وهذا النوع من التأثير مطابقاً لقاعدة الإدغام التي يتم فيها

قلب الأول إلى جنس الثاني - فحولتها إلى جنسها.

ونظراً لما تمتاز به الطاء من إطباق فإنه يترك على حاله فلا يذهب ومثاله:

اضبط دلماً ← اضبطّ لمأ¹.

2. د + ط ← طط

مجهور شديد + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف

وتأثير الطاء في الدال هنا تأثيراً رجعيّاً، نتج عنه تحول الدال إلى جنس الطاء وذلك لما يتميز به

هذا الصوت من فضيلة الإطباق، وقد عبر سيبويه عن هذا بقوله: "ورأوا إجحافاً أن تغلب الدال على

الإطباق وليست كالطاء في السمع"².

ومثال ذلك: انقد طالباً ← انقطّالباً

2. الطاء مع الذال:

وتكون مع الذال على صورتين:

1. ط + ذ ← ذذ

مهموس شديد + مجهور احتكاكي ← مجهور احتكاكي مضعف

حيث أثرت الذال المتسمة بلمح الجهر وهي صفة وملح قوة للصوت في الطاء المتسمة بالإطباق،

ونوع التأثير هنا رجعي طبقاً لقاعدة الإدغام وقد مثل لذلك الرضي:

فرط ذابل ← فرذّابل.

¹ - سيبويه: 460/4.

² - سيبويه: 460/4.

2. ذ + ط ← ط ط

مجهور احتكاكي + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف

وهنا أثر صوت الطاء المتسم بصفتي الشدة والإطباق في صوت الذال تأثيراً رجعياً، فقلبت الذال إلى جنس الطاء.

3. الطاء مع التاء:

1. ط + ت ← ت ت

مهموس شديد + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف

ومثل له الرضي:

فرط تاجر ← فرتاجر

في حين مثل لها سيبويه: أنقط توأما ← انقتوأماً¹.

وقد ذكر سيبويه مثلاً أخلصت فيه الطاء تاء حيث سمع من العرب قولهم: حُنَّهم يريدون حُطَّتْهم².

وهنا يرى سيبويه أن إذهاب الإطباق مع الدال أمثل من إذهابه مع التاء لأن الدال والطاء يشتركان في

الجهر، في حين تخالف التاء الطاء في أن التاء مهموسة³.

وبالنظر إلى الدرس الصوتي الحديث نجد أن كلام سيبويه هذا نقيض لما هو موجود، فالتاء والطاء في

الدرس الصوتي الحديث كلاهما شديد مهموس، إلا أن الطاء تتميز عن التاء بصفة الإطباق.

أما الدال والطاء فتختلفان بكون الدال مجهورة والطاء مهموسة.

وتعتبر التاء في الدرس الصوتي الحديث هي النظير المرقق لصوت الطاء المطبق.

1 - سيبويه: 460/4.

2 - سيبويه: 460/2.

3 - سيبويه: 460/4.

وهنا نلاحظ أن التاء قد أترث في الطاء تأثيراً رجعيّاً فحولته إلى جنسها، وهذا النوع من التأثير وقع فيه الصوت الأقوى تحت تأثير الصوت الأضعف، مما جعله مخالفاً لما جاء به جرامونث في قانونه. حيث قلبت الطاء القوية - لاتصافها بلمح التفخيم أو الإطباق - إلى نظيرها المرقق.

2. ت + ط ← ط ط

مهموس شديد + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف

نص سيبويه على أن التاء تصير مع الطاء طاءً بقوله: "وتصير الدال مع الطاء طاء وذلك: انقطّالاً وكذلك التاء وهو قولك: انقطّالاً، لأنك لا تجحف بهما في الإطباق ولا في غيره"¹. ومثّل له الرضي بقوله: "إدغام التاء : سكت طّارد"².

وهنا أثر الطاء المفخم في نظيره المرقق وهو التاء تأثيراً رجعيّاً فقلبها إلى جنسه، وهذا الإدغام قد قلب فيه الصوت الأضعف وهو التاء لكونه مرققاً، إلى الصوت الأقوى وهو الطاء المفخم.

4. الطاء مع الظاء:

تدغم الطاء في الظاء والعكس، وقد نص سيبويه على ذلك بقوله: "والظاء والتاء والذال أخوات الطاء والدال والتاء، لا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام، لأنهن من حيز واحد وليس بينهن إلا ما بين طرف الثنايا وأصولها"³.

1. ط + ظ ← ظ ظ

مهموس شديد + مجهور احتكاكي ← مجهور احتكاكي مضعف

ومثّل له الرضي: فرط ظالم

ومثّل له سيبويه: اهبط ظالمًا ← اهبطّالماً

¹ - سيبويه: 460/4.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 281/3.

³ - سيبويه: 464/4.

وهنا نجد أن الظاء وهي صوت مجهور احتكاكي قد أثر في صوت الطاء المهموس الانفجاري تأثيراً رجعيّاً فقلبت الطاء إلى جنس الظاء.

كما نلاحظ أن كلا الصوتين يمتاز بصفة الإطباق، وهذا التكافؤ والتساوي في صفات القوة مكن كلا الصوتين من أن يكون مؤثراً في الآخر، ناهيك عن التقارب المخرجي بين الصوتين فالطاء من المخرج الثالث من الأمام وهو المخرج الأسنانى، في حين يمثل المخرج الأسنانى اللثوي - وهو المخرج الرابع - موضع نطق الطاء.

2. ظ + ط ← ط ط

مجهور احتكاكي + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف

ومثل له الرضي بقوله: غلظ طارد¹.

أما سيبويه فمثل له بقوله:

احفظ طالباً ← احفظالباً

وهنا أثر صوت الطاء المهموس الشديد في صوت الظاء المجهور الاحتكاكي تأثيراً رجعيّاً على أصل قاعدة الإدغام.

ويعد أن تناولنا الطاء وإدغامه في الأصوات الخمسة الأخرى بشيء من التفصيل.

سنكتفي في الصفحات الآتية بذكر الصوت المتخذ كعنوان للإدغام وما يدغم فيه مع ذكر الأمثلة لذلك فقط.

2. صوت التاء:

وبالنظر إلى الأصوات التي تسبق صوت التاء فنقلب إلى جنس التاء نجد أنها:

1. د + ت ← ت ت

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 281/3.

مجهور شديد + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف

ومثل له الرضي: جرد تاجر.

في حين مثل له سيبويه وتمام حسان¹.

انقد تلك ← انقتاك

وقد علل سيبويه هذا الإدغام بقوله: "وكذلك التاء مع الدال، والدال مع التاء، لأنه ليس بينهما إلا

الهمس والجهر، ليس في واحد منهما إطباق ولا استطالة ولا تكرير"².

ويقول أيضاً: "والتاء والدال سواء، كل واحدة منهما تدغم في صاحبتهما حتى تصير التاء دالاً والدال

تاء، لأنهما من موضع واحد وهما شديدتان ليس بينهما شيء إلا الجهر والهمس"³.

2. ث + ت ← ت ت

مهموس احتكاكي + مهموس شديد ← مهموس شديد مضعف

مثل لها سيبويه بقوله:

ابعث تلك ← ابعتاك⁴.

3. ط + ت ← ت ت

وسبق بيان ذلك مع صوت الطاء.

2. صوت الدال:

1. ت + د ← د د

مهموس شديد + مجهور شديد ← مجهور شديد مضعف

¹ - حسان، اللغة العربية، 292.

² - سيبويه: 460/4.

³ - سيبويه: 461/4.

⁴ - سيبويه: 464/4.

وهنا أثرت الدال في صوت التاء تأثيراً رجعياً فقلبت الدال التاء إلى جنسها، وذلك لما تمتاز به من ملمحي قوة وهما الجهر والشدة.

ومثاله: انعت دلاماً ← انعذلاماً

2. ذ + د ← د د

مجهور احتكاكي + مجهور شديد ← مجهور شديد مضعف

حيث حوّل ملمح القوة وهو ملمح الشدة الدال من أن تؤثر في الذال فتقلبها إلى جنسها، ونوع التأثير هنا تأثير رجعي.

مثاله: خذ داود ← خذاود

3. ط + د ← د د

مهموس شديد + مجهور شديد ← مجهور شديد مضعف

وسبق بيان ذلك مع صوت الطاء.

4. صوت الثاء:

تعتبر أصوات الثاء والطاء والذال من الأصوات الأسنانية التي يدغم بعضها في بعض، فكل واحد

من هذه الثلاثة يدغم في الاثنتين الآخرين ويدغمان فيه كالاتي:

1. ظ + ث ← ث ث

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

ومثاله: احفظ ثابتاً ← احفثأبتاً

وهذا الإدغام تأثر فيه الصوت الأقوى وهو الطاء بالصوت الأضعف وهو الثاء، كما أن فضل الصوت

المتميز به الطاء قد ذهب بسبب هذا الإدغام.

2. ذ + ث ← ث ث

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

حيث أثرت الناء وهي الصوت الأضعف هنا لكونه مهموساً في صوت الذال الأقوى بصفة الجهر تأثيراً رجعياً، فقلبت الناء الذال إلى جنسها.

مثال ذلك: خذ ثابتاً ← خثابثاً¹.

3. ت + ث ← ث ث

مهموس شديد + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

تدغم الناء في الناء والعكس؛ ذلك لأنهن أخوات على حد تعبير سيبويه "الطاء والطاء والذال أخوات الطاء والذال والطاء، ولا تمنع بعضهن من بعض في الإدغام لأنهن من حيز واحد"².

مثال ذلك: انعت ثابتاً ← انعتابثاً

5. صوت الذال:

1. ظ + ذ ← ذذ

مجهور احتكاكي + مجهور احتكاكي ← مجهور احتكاكي مضعف.

ومثال ذلك: احفظ ذلك ← احفظلك³.

وهنا نلاحظ أن صوت الذال الذي هي النظير المرقق للطاء قد أثر في صوت الطاء، دون أن يكون

هناك اعتبار لفضل الصوت الذي يتصف به صوت الطاء وهو الإطباق الذي يجعل الصوت المطبق

أفشى في السمع على حد تعبير سيبويه⁴.

وزوال صفة الإطباق بسبب الإدغام هنا يعتبر مستساغاً؛ وذلك بسبب اشتراك الصوتين في المخرج

وتقاربهما في الصفات، وهذه الأمور تسوغ وتجزئ إذهاب الإطباق كما يفهم من كلام سيبويه "إلا أن

¹ - سيبويه: 462/4.

² - سيبويه: 464/4.

³ - سيبويه: 462/4.

⁴ - سيبويه: 460/4.

إذهاب الإطباق مع الدال أمثل قليلاً، لأن الدال كالطاء في الجهر والتاء مهموسة¹ أي أن تقارب الصفة بين الطاء والدال أجاز إذهاب الإطباق ويمكن تطبيق ذلك هنا على الطاء والذال.

2. ث + ذ — ذذ

مهموس احتكاكي + مجهور احتكاكي — مجهور احتكاكي مضعف

مثاله: ابعث ذلك — ابعذ لك

وهنا الإدغام جاء مطابقاً للقاعدة، فتم قلب الصوت الأول إلى جنس الصوت الثاني المتصف بصفة الجهر التي تعد من ملامح القوة للأصوات.

3. د + ذ — ذذ

مجهور شديد + مجهور احتكاكي — مجهور احتكاكي مضعف

مثاله: ابعث ذلك — ابعذلك

6. صوت الطاء:

1. ذ + ظ — ظظ

مجهور احتكاكي + مجهور احتكاكي — مجهور احتكاكي مضعف

وهنا أثر الطاء وهو صوت مطبق في نظيره المرقق الذال فقلبه إلى جنسه، نظراً لما يمتاز به هذا الصوت من فضل صوت.

ومثاله : خذ ظالمًا — خظالمًا

2. ث + ظ — ظظ

مهموس احتكاكي + مجهور احتكاكي — مجهور احتكاكي مضعف

ومثاله: ابعث ظالمًا — ابعظالمًا

¹ - سيبويه: 460/4.

وهنا تأثرت الناء المهموسة المرققة بالطاء المجهورة المطبقة تأثيراً رجعيّاً فقلبت الناء إلى جنس الطاء.

3. ط + ظ ← ظ ظ

مهموس شديد + مجهور احتكاكي ← مجهور احتكاكي مضعف

ومثاله: اهبط ظالمّاً ← اهبطالمّاً

حكم الصفيريات في الإدغام:

تقع أصوات الصاد والسين والزاي ضمن مجموعة صوتية يطلق عليها مصطلح (الصفيريات)

أو (الأصوات الصفيرية).

وسميت بذلك لقوة الاحتكاك المصاحب لها أثناء عملية النطق بها¹، وهذه الأصوات لها أحكام تتعلق

بها عند إدغامها في بعضها أو مع غيرها، وقد نص ابن الحاجب على حكم الصفيريات بقوله:

"والصاد والزاي والسين يدغم بعضها في بعض"².

حيث نستنتج من كلام ابن الحاجب هذا أول الأحكام المتعلقة بإدغام هذه الأصوات الثلاثة وهو:

1. كونها تدغم في بعضها البعض.

وما نص عليه ابن الحاجب أيضاً بقوله: "والتاء والذال والذال والطاء والطاء والتاء يدغم بعضها في

بعض وفي الصاد والزاي والسين"³، يفهم منه الحكم الثاني لهذه المجموعة وهو:

2. أن الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية تدغم في هذه الثلاثة دون أن تدغم هذه الثلاثة فيها.

والى هذا أشار سيبويه بقوله: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت

فيهن لأنهن حروف الصفير، وهن أندى في السمع"⁴.

3. امتناع إدغام الأصوات الصفيرية في غيرها من الأصوات غير الصفيرية.

واليك تفصيل ذلك:

1 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 118.

2 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

3 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

4 - سيبويه: 464/4.

1. إدغامها بعضها في بعض:

أولاً: إدغام الصاد في السين والزاي:

تدغم الصاد في أختيها الزاي والسين، وفي هذا الإدغام تتم المحافظة على فضل صوت الصاد وهو الإطباق، وذلك بناءً على ما قرره الرضي بقوله: "فإن أدغمت الصاد في أختيها فالأولى إبقاء الإطباق"¹.

ويتفق الرضي فيما ذهب إليه مع سيبويه الذي بدوره رأى أن: "قصة الصاد مع الزاي والسين، قصة الطاء والذال والتاء وهي من السين كالطاء من الدال، لأنها مهموسة مثلها، وليس يفرق بينهما إلا الإطباق، وهي من الزاي كالطاء من التاء، لأن الزاي غير مهموسة وذلك قولك: افحصالما فتصير سيناً وتدع الإطباق على حاله. وإن شئت أذهبته. وتقول: افحصرودة. وإن شئت أذهبت الإطباق، وإذها به مع السين أمثل قليلاً، لأنها مهموسة مثلها. وكله عربي"².

1. ص + س ← س س

احتكاكي مهموس + احتكاكي مهموس ← احتكاكي مهموس مضعف

ومثاله: افحص سالماً ← افحصالماً

حيث أثرت السين وهي صوت صفيري احتكاكي مهموس مرقق، في صوت الصاد الصفيري الاحتكاكي المهموس المطبق تأثيراً رجعياً فقلبت الصاد إلى جنسها.

وهنا نلاحظ أن الصوتين يشتركان في صفات الرخاوة والهمس والصفير، والفرق الوحيد بينهما هو كون الصاد مطبقاً والسين مرققاً.

وصفة الإطباق في الصاد تعد فضل صوت جعلته هو الأقوى، والأولى أن يؤثر الصوت القوي في الصوت الضعيف، إلا أننا هنا نجد العكس فالصوت الأضعف وهو السين قد أثر في الصوت الأقوى

¹ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 283/3.

² - سيبويه: 461/4.

وهو الصاد فقلبه إلى جنسه سيناً، ولكن رغم هذا ظل فضل الصوت الذي امتاز به صوت الصاد، فأشرب السين به، وهذا الاشراب غير لازم على حد تعبير سيويوه: "فتصير سيناً - يعني الصاد - وتدع الإطباق على حاله. وإن شئت أذهبتة... وإذهابه مع السين أمثل قليلاً، لأنها مهموسة مثلها. وكله عربي"¹.

2. ص + ز ← زز

احتكاكي مهموس + احتكاكي مجهور ← احتكاكي مجهور مضعف

مثاله: افحص زردة ← افحزردة

وهنا أثرت الزاي وهي صوت صفيري احتكاكي مجهور مرقق، في صوت الصاد الصفيري الاحتكاكي المهموس المطبق تأثيراً رجعيّاً فقلبتة إلى جنسها مع المحافظة على صفة الإطباق مما يجعل الزاي تنطق بشكل مفخم.

ثانياً: إدغام السين والزاي في الصاد:

كما تدغم الصاد في السين والزاي يدغمان هما أيضاً فيها وبصيران صاداً، وهذا ما نص عليه سيويوه بقوله: "وبصيران مع الصاد صاداً كما صارت الدال والتاء مع الطاء طاءً... والبيان فيها أحسن، لرخاوتهن وتجافي اللسان عنهن، وذلك قولك: احبصّابراً، وأوجصّابراً"².

3. س + ص ← صص

مهموس احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

مثاله: احبس صابراً ← احبصّابراً

فالصاد المتسمة بلامح الصفير، والهمس، والاحتكاك، والإطباق، قد أثرت في السين المتسمة بلامح الصفير، والهمس، والاحتكاك، والترقيق، تأثيراً موافقاً لقاعدة الإدغام، وهنا وقع الصوت

¹ - سيويوه: 461/4.

² - سيويوه: 462/4.

الأضعف وهو السين تحت تأثير الصوت الأقوى وهو الصاد، فالصاد والسين يشتركان في كل الصفات باستثناء صفتي الإطباق والترقيق ولما كان الصاد هو المطبق - والإطباق فضل صوت - مكنه ذلك من أن يؤثر في السين ويقلبها إلى جنسه.

4. ز + ص ← ص ص

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

مثاله: أوجز صابراً ← أوجصّابراً

وهنا أثرت الصاد في صوت الزاي تأثيراً رجعيّاً فقلبت الزاي إلى جنس الصاد.

ثالثاً: إدغام السين في الزاي والعكس:

تدغم السين في الزاي والزاي في السين؛ وذلك لأنهما من الأصوات الصغيرية التي نص ابن الحاجب على أنها تدغم في بعضها "والصاد والزاي والسين يدغم بعضهما في بعض"¹.

وكذلك سيبويه نص على ذلك بقوله: "والزاي والسين بمنزلة التاء والذال تقول: احبّزّدة، ورسّلمة فتدغم"²

1. ز + س ← زز

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مجهور احتكاكي مضعف

مثاله: احبس زردة ← احبّزّردة

حيث أثرت الزاي المتسمة بلمح الجهر وهو فضل صوت في السين المهموسة تأثيراً رجعيّاً فقلبتّها إلى جنسها.

2. ز + س ← س س

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

² - سيبويه: 462/4.

مثاله: رز سلمة ← رسلمة

وهنا أآرت السين المهموسة في الزاي المآهورة تأآيراً رجعيأً فقلبتأ إلى آنسأا، وبهذا يكون الصوت الأضعف وهو السين - لكونه مهموسأً - قد أآر في الصوت الأقوى وهو الزاي المآهورة. ولعل الذي سوغ مثل هذا الإدغام هو اشتراك الصوتين في المآرج والصفات إذا ما استثنينا صفتي الجهر والهمس فكلاهما احتكأكي، صفيري، مررق.

2. إدغام الأصوات الأسنانية والأسنانية اللثوية في الأصوات الصفيرية الثلاثة:

أولأً: الصاد وما يدغم فيها:

1. ت + ص ← ص ص

مهموس انفجاري + مهموس احتكأكي ← مهموس احتكأكي مضعف

مثاله: انعت صابراً ← انعتأبأراً¹

وهنا أآر صوت الصاد المطبق في صوت التاء المرقق تأآيراً رجعيأً فقلبت التاء إلى آنس الصاد، ويعد البيان حسناً وذلك لاختلاف مآرج الصوتين.

2. ذ + ص ← ص ص

مآهور احتكأكي + مهموس احتكأكي ← مهموس احتكأكي مضعف

مثاله: آذ صابراً ← آصأبأراً²

وهنا أآر الصوت الأقوى وهو الصاد المطبق، في الصوت الأضعف وهو الذال المرقق تأآيراً رجعيأً فقلبه إلى آنسه، وهذا آائز لكون الذال والصاد من آيز واحد³.

¹ - سبيوية: 463/4.

² - سبيوية: 464/4.

³ - سبيوية: 464/4.

ثانياً: الزاي وما يدغم فيها:

1. ط + ز — زز

مهموس شديد + مجهور احتكاكي — مجهور احتكاكي مضعف

مثاله: اضبط زهيراً — اضبّرْهيراً

2. ذ + ز — زز

مجهور احتكاكي + مجهور احتكاكي — مجهور احتكاكي مضعف

مثاله: مذ زمان — مزّمان

قال سيبويه: "وسمعناهم يقولون؛ مزّمان فيدغمون الذال في الزاي"¹.

وهنا أثرت الزاي المتسمة بلمحي الجهر والصفير في الذال المتسمة بلمح الجهر تأثيراً رجعياً، ونظراً

لما تمتاز به الزاي من كونها صوتاً صفيراً، وهذه من الحروف التي توصف بأنها "أندى في السمع"²

فإن الزاي قلبت الذال إلى جنسها، وبهذا يكون الصوت الأقوى قد أثر في الصوت الأضعف حسب

قانون جرامونت³.

3. ظ + ز — زز

مجهور احتكاكي + مجهور احتكاكي — مجهور احتكاكي مضعف

مثاله: احفظ زردة — احفّرْردة

أثرت الزاي وهي الصوت الأضعف هنا لكونها مرقة في الصوت الأقوى وهو الظاء المطبق تأثيراً

رجعياً، فقلبت الزاي الظاء إلى جنسها، وهذا ما نص عليه أحمد مختار عمر عند حديثه عن قوانين

¹ - سيبويه: 464/4.

² - سيبويه: 464/4.

³ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 372.

اللغة وبالأخص قانون جرامونت حيث قال: "ولكن سنرى... أن الصوت الأقوى قد يخضع للأضعف، مما يؤدي مثلاً إلى همس المجهور، أو ترقيق المفخم"¹.

ثالثاً: السين وما يدغم فيها:

1. ت + س ← س س

مهموس انفجاري + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

مثاله: ذهب سلمي ← ذهبسلمي

وهنا يشير سيويه إلى أن البيان حسن لكون المخرجين مختلفين "وقرأ بعضهم: "لا يسمعون"² يريد: لا يسمعون. والبيان عربي حسن لاختلاف المخرجين"³.

فالسين المهموسة الصفيرية قد أثرت هنا في التاء المهموسة، ولما كانت حروف الصفير أندی في السمع من غيرها، فإن فضل الصوت هذا مكن السين من أن يقلب الصوت الآخر إلى جنسه فقلبت التاء سيناً.

2. د + س ← س س

مجهور انفجاري + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

مثاله: قد سمعت ← قسّمت

3. ذ + س ← س س

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

مثاله: مذ ساعة ← مسّاعة

1 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 372.

2 - سورة الصافات. الآية 8.

3 - سيويه: 463/4.

ويرى سيبويه أن البيان أمثل "وسمعناهم يقولون؛ مَرَّمان فيدغمون الذال في الزاي، ومساعة فيدغمونها في السين والبيان فيها أمثل لأنها أبعد من الصاد وأختيها، وهي رخوة فهو فيهن أمثل منه في الطاء وأختيها"¹.

4. ث + س ← س س

مهموس احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

مثاله: ابعث سلمة ← ابعسمة

اشتركت الناء مع السين في المخرج وصفات الهمس والرخاوة والترقيق، إلا أن السين امتازت بلمح الصفير، الأمر الذي جعل هذا الصوت يؤثر في الناء تأثيراً رجعيّاً ويقبله إلى جنسه.

5. ظ + س ← س س

مجهور احتكاكي + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

مثاله: احفظ سلمة ← احفسمة

وهنا نلاحظ أن الطاء قد أثرت في صوت السين المرقق خلافاً لقانون القوة.

3. امتناع إدغام الأصوات الصفيرية في غيرها من الأصوات:

نص ابن الحاجب في شافيته عند حديثه عن امتناع الإدغام للمحافظة على صفة الحرف على

أن الأصوات الصفيرية لا تدغم في غيرها بقوله: "ولا حروف الصفير في غيرها؛ لفوات صفتها"².

وقد أوضح الرضي ذلك بقوله: "ولم تدغم حروف الصفير فيما ليس فيه صفير إلا في باب افتعل

كاسمع وأزان"³.

1 - سيبويه: 464/4.

2 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب، 269/3.

3 - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب، 270/3.

وكلام الرضي هنا فيه نظر ويحتاج إلى التدقيق؛ فمثاله من صيغة افتعل هو: استمع - ازان التي هي في الأصل: استمع - ازان ← ازان حيث حدث قلب يقول سيبيويه: "فالزاي تبدل لها مكان التاء دالاً، وذلك قولهم: مزدان في مزتان، لأنه ليس شيء أشبه بالزاي من موضعها من الدال، وهي مجهورة مثلها وليست مطبقة كما أنها ليست مطبقة"¹.

وبالنظر إلى هذين المثالين نجد أن التاء والدال قد أدغمتا في كل من السين والزاي على الترتيب، وهذا ليس فيه منع لأنه سبق الحديث عن جواز ذلك.

أما كلام ابن الحاجب فقد جاء لمنع إدغام الأصوات الصفيرية فيما لا صفيير فيه كالطاء والتاء والذال والظاء والثاء التي بدورها أدغمت في الأصوات الصفيرية، وسبب المنع عند ابن الحاجب هو المحافظة على صفة الصوت أو فضل الصوت وهو الصفيير.

ويتفق ابن الحاجب فيما ذهب إليه مع سيبيويه الذي بدوره قد قرر ذلك في كتابه بقوله: "وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغمهن في هذه الحروف التي أدغمت فيهن، لأنهن حروف الصفيير، وهن أندى في السمع"².

¹ - سيبيويه: 467/4، 468.

² - سيبيويه: 464/4.

أحكام الأصوات الشفثانية في الإدغام:

تتمثل الشفثويات في مجموعتين من الأصوات، الأولى تتدرج تحت المخرج الأول وهو المخرج الشفثاني، والأصوات المنتمية لهذا المخرج هي (م - ب - و).

والمجموعة الثانية تتمثل في المخرج الشفثاني الأسناني ويشمل صوتاً واحداً هو صوت الفاء.

والأصوات الشفثانية هي الأصوات التي تشترك الشفه العليا والشفه السفلى في إنتاجها، كما هو الحال مع أصوات الميم والباء والواو، أو تشترك الشفه السفلى مع الثنايا العليا لإنتاج الصوت كما هو الحال مع صوت الفاء.

ومصطلح شفثاني يتميز بالدقة والاختصار، ولكنه من ناحية اللغة نجده مخالفاً للقاعدة الصرفية الخاصة بالنسب إلى المثني برده إلى مفرد.

أما مصطلح شفوي فهو من الناحية اللغوية مطابق لقواعد الصرف، كما أنه مختصر إلا أنه تنقصه الدقة¹.

وقد آثر بعض الأكاديميين استخدام مصطلح الشفوي الثنائي الذي يعد من الناحية اللغوية صحيحاً كما أنه دقيق في دلالاته، إلا أنه ينقصه الاختصار.

ويعتبر المصطلح الانجليزي (Bilabial) هو المقابل العربي للمصطلح (شفثاني)، أما مصطلح الشفثاني الأسناني فيقابله باللغة الانجليزية مصطلح (Labio-Dental).

وقد ذكر ابن الحاجب حكم الأصوات الشفثانية في الإدغام بقوله: "والباء في الميم والفاء"²، وقد ضرب الرضي الأمثلة لذلك فمثل لإدغام الباء في الميم ب(اضرب مآلكاً)، والباء في الفاء ب(اضرب فاجراً)³.

1 - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 315.

2 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

3 - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 283/3.

كما نصّ على أن كلاً من (الواو والميم والفاء) تمتنع من الإدغام في مقاربتها حتى وأن كان هذا المقارب - وهو الباء - قابلاً للإدغام في هذه الأصوات كما مر.

يقول ابن الحاجب: "ولم تدغم حروف (ضوي مشفر) فيما يقاربا لزيادة صفتها"¹.

وأوضح الرضي ذلك كما سبق بيانه²، وبناءً على هذا امتنع إدغام الميم في الباء وذلك للمحافظة على فضل الصوت التي اتصفت به الميم وهو الغنة، كما أن الفاء لا تدغم هي أيضاً في الباء لأن الفاء يصاحب نطقها صوت التأفيف.

وقد علل ذلك سيبويه بقوله: "والفاء لا تدغم في الباء لأنها من باطن الشفه السفلى وأطراف الثنايا العلي وانحدرت إلى الفم، وقد قاربت من الثنايا مخرج الثاء؛ وإنما أصل الإدغام في حروف الفم واللسان لأنها أكثر الحروف، فلما صارت مضارعة للثاء لم تدغم في حرف من حروف الطرفين، كما أن الثاء لا تدغم فيه"³.

إدغام الباء في الميم:

تدغم الباء في الميم لكونهما يشتركان في المخرج والعكس غير صحيح، أي أن الميم لا تدغم في الباء وإن شاركتها المخرج لاتصافها بصفة الغنة التي امتنع الإدغام من أجل المحافظة عليها، وقد نص على ذلك ابن الحاجب في شافيته فقال: "والباء في الميم والفاء"⁴.

ويتفق الرضي - شارح الشافية - مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه وأورد الأمثلة على ذلك. وما ذهب إليه هذان العالمان يتفق مع ما نص عليه سيبويه عند حديثه عن الأصوات التي لا تدغم في مقارباتها وتدغم المقاربة فيها فقال: "والباء قد تدغم في الفاء للتقارب ولأنها قد ضارعت الفاء

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 269/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 270/3.

3 - سيبويه: 448/4.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 280/3.

فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم؛ وذلك قولك: اذهب في ذلك، فقلبت الباء فاءً كما قلبت الباء ميماً في قولك اصحمتراً¹.

وتحليل ذلك يكون كالآتي:

ب + م ← م م

مجهور انفجاري + مجهور متوسط ← مجهور متوسط مضعف

ومثال ذلك: اضرب مالكاً ← اضرمالكاً

فالميم المتسمة بلمحي الجهر والغنة قد أثرت في الباء - عند مجاورتها لها - تأثيراً رجعياً فقلبت الميم الباء إلى جنسها.

وصفة الغنة التي اتصفت بها الميم والتي تعد فضل صوت هي التي جعلت هذا الصوت هو الأقوى وخولته للتأثير في الصوت الأضعف وهو الباء.

إدغام الباء في الفاء:

كما تدغم الباء في الميم تدغم في الفاء، ولما كانت الفاء من أصوات (ضوي مشفر) فإنه قد

امتنع إدغامها في صوت الباء وتحليل هذا الإدغام كالآتي:

ب + ف ← ف ف

مجهور انفجاري + مهموس احتكاكي ← مهموس احتكاكي مضعف

ومثال ذلك: اضرب فاجراً ← اضرقأجراً

وهنا أثرت الفاء وهي صوت له ملامح الهمس والتفشي والتأفيف، في صوت الباء المجهور الانفجاري تأثيراً رجعياً فقلبت الباء إلى جنسها.

¹ - سيويه: 448/4.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا في هذا الصدد أن ابن الحاجب قد ذكر قوله تعالى: "ونخسف بهم"¹ على أن بعض القراء جَوَزَ إدغام الفاء في الباء.

إلا أن الرضي قد أوضح أن هذا من باب الإخفاء لا الإدغام فقال: "نقل عن بعض القراء الإدغام في مثله، وحذاق أهل الأداء على أن المراد بالإدغام في مثله الإخفاء، وتعبيرهم عنه بلفظ الإدغام تجوز لأن الإخفاء قريب من الإدغام"².

وقد ذكر إبراهيم أنيس هذا وعلمه بقوله: "الفاء تدغم في صوت واحد هو الباء في مثل واحد في القرآن الكريم هو "إن نشأ نخسف بهم الأرض" ولم يرو الإدغام هنا إلا عن الكسائي، في حين أن باقي القراء أظهرها. ولتبرير هذا الإدغام يمكن أن يقال أن الفاء جهر بها أولاً فأصبحت ذلك الصوت الشائع في اللغات الأوربية والذي يرمز له بالرمز (v)، ومثل هذا الصوت إذا ذهب رخاوته بانحباس الهواء معه ليصبح انفجارياً، أشبه الباء كل الشبه وبهذا يمكن الإدغام"³.

وهكذا نرى أن إدغام الفاء في الباء لم يرد إلا في مثال واحد من القرآن الكريم، وهذا المثال قد روي عن قارئ واحد وهو الكسائي، بالإضافة إلى أن الرضي قد رأى أن المراد من كلمة الإدغام هنا هو الإخفاء، وبالتالي فإن هذا المثال لا يمثل قاعدة يمكن القياس عليها.

1 - سورة سبأ، الآية 9.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 274/3.

3 - أنيس: 200.

ثانيا الإبدال:

لا يخفى على أحد أن العرب بطبيعتهم وسليقتهم الصافية ينفرون من الأصوات الناشزة ويميلون إلى التناغم والسلاسة في الأصوات، ولذلك نشأت لديهم ظواهر لغوية مثل ظاهرة الإبدال. والإبدال وما يتعلق به من أحكام لا غنى لدارسي العربية عن الاطلاع والوقوف عليه، فهو من القضايا الصرفية المهمة التي تتعلق بالناحية الجمالية للغة، على اعتبار أنه يمثل نوعاً من التغيير الذي تتعرض له الكلمة العربية.

والإبدال ظاهرة حفلت بها كتب التراث وتناولتها، ومن هذه الكتب على سبيل المثال لا الحصر:

- كتاب (القلب والإبدال) لابن السكيت.
- كتاب (الإبدال) لأبي الطيب اللغوي.
- كتاب (المزهر) للسيوطي الذي خصص فيه فصلاً أطلق عليه (النوع الثاني والثلاثون - معرفة الإبدال)¹.

ويعتبر الإبدال قضية صوتوصرفية لكونه لا يحدث إلا على أساس التقارب بين الأصوات المتبادلة، وهذا التقارب لا يمكن أن يتصور إلا من خلال دراسة صوتية دقيقة².

فالأصوات تلتقي في خصائص مشتركة، وتتباعد بخصائص أخرى، فإذا تحقق للصوتين أساس القرابة الذي يجمعهما أمكن لأحدهما أن يتبادل مع الآخر، والأساس في القرابة الصوتية يتمثل في كون كلا الصوتين المتبادلين من الصوامت أو من جنس الحركات، وكذلك الاتحاد أو التقارب في المخرج بين الصوتين المتبادلين³.

¹ - جلال الدين السيوطي. المزهر في علوم اللغة. تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون. (القاهرة. مكتبة التراث. بلا). 460/1.

² - شاهين: 168.

³ - شاهين: 168.

ويندرج تحت مفهوم الإبدال إبدال الأصوات الصحيحة بعضها مكان بعض والعليلة كذلك، لذا فهو أعم من الإعلال لكونه يضم العليل والصحيح في أربع صور عقلية هي:

1. إبدال صحيح من صحيح.

2. إبدال صحيح من عليل.

3. إبدال عليل من صحيح.

4. إبدال عليل من عليل.

وبالنظر إلى هذه الصور الأربعة يتبين لنا أن الإعلال داخل في الإبدال لكونه جزءاً منه، وبهذا نصل إلى نتيجة مفادها أن كل إعلال إبدال وليس كل إبدال إعلالاً.

وسأشرح في معالجة هذا الموضوع - بعون الله - عند ابن الحاجب في شكل محاور ثلاثة هي:

1. تعريف الإبدال وما يُعرف به.

2. أصوات البديل عند ابن الحاجب وشارحه الرضي.

3. مواطن الإبدال.

أولاً تعريف الإبدال:

عقد ابن الحاجب في الجزء الثالث من شافيته باباً خصصه لظاهرة الإبدال وقد عرفه بقوله:

"الإبدال: جعل حرف مكان حرف غيره"¹.

وبهذا التعريف يخرج الإعلال لكونه مختصاً بحروف العلة كما يخرج أيضاً التعويض لأنه قد يكون في

غير مكان المعوض عنه.

¹ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 1973.

وقد ذكر السيوطي في المزهر تعريف ابن فارس وأبي الطيب اللغوي للإبدال بقوله: "قال ابن فارس في فقه اللغة من سنن العرب إبدال الحروف، وإقامة بعضها مقام بعض: مدحه ومدهه... وهو كثير مشهور..."

قال أبو الطيب في كتابه: "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، لا يختلف إلا في حرف واحد"¹. وعرفه الحملاوي بقوله: "هو جعل مطلق حرف مكان آخر. فخرج بالإطلاق الإعلال بالقلب، لاخصاصه بحروف العلة، فكل إعلال يقال له إبدال ولا عكس"². أما عند المحدثين فقد عرفوه بأنه "وضع حرف مكان آخر، مما يختص في الحروف الصحيحة والمعئلة"³.

ما يعرف به الإبدال:

ذكر ابن الحاجب عدة أمارات ودلائل يعرف بها الإبدال نص عليها بقوله: "ويعرف بأمثلة اشتقاقه كترات وأجوه، وبقلّة استعماله كالشعالي، ويكونه فرعاً والحرف زائد كضويرب، ويكونه فرعاً وهو أصل كمويه ويلزوم بناءً مجهول نحو: هراق واصطبر وأدارك"⁴.

1. عن طريق الاشتقاق:

وضح الرضي هذا حين قال: "ويعني بأمثلة اشتقاقه الأمثلة التي اشتقت مما اشتق منه الكلمة التي فيها الإبدال كترات... فإذا كان جميع أمثلة اشتقاقه مكان حرف واحد منه آخر عرفت أن الحرف الذي فيه بدل مما هو ثابت في مكانه في أمثلة اشتقاقه"⁵.

1 - السيوطي. المزهر. 460/1.

2 - أحمد بن محمد الحملاوي. شذا العرف في فن الصرف. (الرياض. دار الكيان. بلا). ص200.

3 - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 428.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 197/3.

5 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 197/3.

فكثرة أمثلة الاشتقاق في الكلمة التي فيها الإبدال مقابل موضع واحد يختلف عنها والمعنى واحد؛ يدل ذلك هذا على أن الكلمة المختلفة قد حصل فيها إبدال.

مثاله: تراث

هذه الكلمة التاء فيها بدل من الواو التي لازمت الكلمة في اشتقاقاتها (ورث - يرث - وارث - موروث . فجميعها مشتق من الوراثة)، وكلمة التراث أيضاً مشتقة منها.

2. قلة الاستعمال:

ووضحها الرضي بقوله: "أي بقلة استعمال اللفظ الذي فيه البديل، ويعني إذا كان لفظان بمعنى واحد ولا فرق بينهما لفظاً إلا بحرف في أحدهما يمكن أن يكون بدلاً من الحرف الذي في الآخر فإن كان أحدهما أقل استعمالاً من الآخر فذلك الحرف في ذلك الأقل استعمالاً بدل من الحرف الذي في مثل ذلك الموضع من الأكثر استعمالاً"¹.

مثاله: الثعالي

هذه الكلمة بمعنى واحد هي وكلمة (الثعالب) إلا أن الأولى أقل استعمالاً من الثانية، وهذا يدل على أصالة الباء وكون الباء بدلاً منها.

3. كونه فرعاً والحرف زائد:

أي يكون لفظه فرعاً والحرف الذي هو مبدل منه زائد كألف ضارب.
فالمصغر فرع عن المكبر وفي مكان الحرف في الأصل حرف في الفرع يمكن أن يكون بدلاً منه.
فالواو في (ضويرب) بدلاً من الألف في ضارب.

¹ - الاسترلابادي، شرح شافية ابن الحاجب، 3/ 197، 198.

4. كونه فرعاً وهو أصل:

أي يكون اللفظ المشتغل على حرف البديل فرعاً والحرف المبدل منه أصل كما هو الحال في

مويه.

5. لزوم بناء مجهول:

ويقصد بها خروج الكلمة عن الأوزان الصرفية المعروفة في العربية.

مثاله: هراق

فهذه الكلمة لو لم تحكم على أن الهاء هنا بدلاً من صوت آخر لكان وزنها هفعل وهو بناء مجهول،

ولهذا حكم على الهاء بأنها مبدلة من الهمزة.

ثانياً أصوات الإبدال عند ابن الحاجب وشارحه الرضي:

بين الرضي المقصود من حروف الإبدال بقوله: "يعني بحروف الإبدال الحروف التي قد تكون بدلاً

من حروف آخر"¹.

شكل (21) حروف الإبدال وعددها عند الرضي الاستراباذي وعلماء اللغة الأوائل.

الرضي الاستراباذي	ابن الحاجب	المبرد	سيبويه
يتفق الرضي مع ابن الحاجب في حروف البديل وعددها	جعل حروف الإبدال أربعة عشر حرفاً جعلها في قوله: "انصت يوم جد طاه زل"	يتفق المبرد مع سيبويه في عدد حروف البديل لكنه يختلف معه في كونه اسقط الذال من حروف البديل وأثبت مكانها الجيم ³	ذكر سيبويه في كتابه أن حروف البديل عنده عددها أحد عشر حرفاً هي "الهمزة، الألف، الهاء، الياء، التاء، الدال، الطاء، الذال، الميم، النون، الواو" ²

وأصوات البديل هذه تأتي مكان أصوات أخرى أشار إليها الرضي بقوله: "قأما الحروف التي هذه

الحروف بدل منها فتجيء عند التفصيل"⁴.

ولكي نتعرف على هذه الأصوات لابد لنا من تتبع حروف البديل واحداً تلو الآخر وما يبديل منه.

1. إبدال الهمزة:

نص ابن الحاجب على أن الهمزة تبديل من خمسة أصوات هي (الألف، الياء، الواو، العين،

الهاء).

وذلك بقوله: "قالهمزة تبديل من حروف اللين واللين والهاء"⁵.

¹ - الاستراباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 199/3.

² - سيبويه: 237/4.

³ - المبرد: 61/1.

⁴ - الاستراباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 199/3.

⁵ - الاستراباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 203/3.

وابن الحاجب - وشارحه الرضي - يتفقان في ذلك مع ابن جني الذي نص على ذلك بقوله: "وأما البدل فقد أبدلت الهمزة من خمسة أحرف وهي الألف والياء والواو والهاء والعين"¹.

إلا إنهما يختلفان مع كل من سيبويه والمبرد.

فالمبرد قد أورد في مقتضبه الأصوات التي تبدل منها الهمزة بقوله: "وأما الهمزة فإنها تبدل مكان كل ياء أو واو تقع طرفاً بعد ألف زائدة... وتبدل مكان إحدى الواوين إذا التقيا في أول الكلمة"².

فهو لم يذكر أبدالها من العين والهاء والألف وكذلك سيبويه³.

وإبدال الهمزة من أصوات اللين قد صنفه ابن الحاجب ثلاثة أصناف:

(واجب - جائز - وشاد) وأورد الأمثلة على ذلك.

ولما كان إبدال الهمزة من حروف اللين يندرج تحت موضوع الإعلال آثرت تناول هذا عند حديثنا عن الإعلال عند ابن الحاجب وشارحه الرضي وإرجائه إلى ما بعد الانتهاء من الإبدال عندهما.

- إبدال الهمزة من العين:

تبدل الهمزة من العين كما في كلمة (أباب) فالهمزة فيها بدل من العين في (عباب)، وقد

عرض ابن الحاجب لها بقوله: "وأباب بحر أشذ"⁴.

وأوضح الرضي هذا الإبدال وعلة بأنه قليل "وإنما كان أشذ إذ لم يثبت قلب العين همزة في موضع بخلاف قلب الواو والياء والألف"⁵.

وقد اختلف الرضي مع ابن جني في هذا البدل، حيث يرى ابن جني أن الهمزة في كلمة (أباب) أصلية وليست بدلاً من العين.

¹ - ابن جني سر الصناعة. 72/1.

² - المبرد: 62/1، 63.

³ - سيبويه: 237/4.

⁴ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 203/3.

⁵ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 207/3.

فهو يرى أن البيت الذي أنشده الأصمعي: أَبَابُ بَحْرِ ضَاكِ هَزُوقِ¹

الهمزة فيه أصلية وليست بدلاً، لأن كلمة أباأب إنما هي فعال من (أب) بمعنى تهبأ، ذلك لأن البحر يتهبأ للموج، ونص على أنه من قال بأن الهمزة بدل من العين وجه في العربية، لكنه غير قوي.

يقول ابن جني: "قأما ما أنشده الأصمعي من قول الراجز... فليست الهمزة فيه بدلاً من عين عاباب وإن كان بمعناه وإنما هو فعال من أب إذا تهبأ... وإن قلت أنها بدل منها فهو وجه وليس بالقوي"².

وقد علل الرضي إبدال الهمزة من العين بقرب المخرج بين الصوتين.

وبالنظر إلى الظواهر اللهجية التي كانت سائدة في بلاد العرب، نجد أن هناك ظاهرة أطلق عليها اسم العننة وهي خلاف لما نحن بصدده فهي "إبدال الهمزة عيناً"³ كقولهم في نحو أن: عن⁴.

ولعل ما ذهب إليه ابن جني من كون إبدال العين همزة ليس بالوجه القوي تدعمه الأمثلة التي أوردها السيوطي لإبدال الهمزة من العين وبيانه لحقيقة كونها إبدال الهمزة عيناً وليس العكس⁵.

1. إبدال الهمزة من الهاء:

ذكر ابن الحاجب أن الهمزة تبدل من الهاء وقد مثل لها بقوله: "وماء شاذ"⁶.

وأوضح الرضي أن (ماء) أصلها (موه) قلبت الواو ألفاً ثم لما كانت الهاء خفية كحرف اللين وواقعة في الطرف بعد ألف زائدة قلبت ألفاً ثم همزة وقالوا في أمواء: أمواء.

وقد ذكر الرضي عدّة أمثلة لهذا البدل هي (آل أصلها أهل بقلب الهاء همزة - ألا التحضيضية أصلها هلاً)⁷.

1 - هذا البيت من مشطور الرجز.

2 - ابن جني. سر الصناعة. 106/1، 107.

3 - شوقي ضيف. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي. (القاهرة. دار المعارف. بلا). ص122.

4 - السيوطي. المزهري. 460/1.

5 - السيوطي. المزهري. 462 / 1.

6 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 203/3.

7 - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 208/3.

ويتفق الرضي وابن الحاجب فيما ذهبوا إليه مع ابن جني الذي نص على إبدال الهمزة من الهاء بقوله:
"وأما إبدال الهمزة عن الهاء فقولهم: ماء أصله موه لقولهم: أمواه فقلبت الواو ألفاً وقلبت الهاء همزة
فصار ماء... وقد قالوا أيضاً في الجمع أمواه فهذه الهمزة أيضاً بدل من هاء أمواه ومن ذلك قولهم:
آل... أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة"¹.

ولعل هذا الإبدال له ما يبرره من الناحية الصوتية وهو أن الهاء والهمزة تشتركان في المخرج الأول من
الداخل وهو المخرج الحنجري، بالإضافة إلى كونهما مهموستين، فأبدلت الهاء لأنها بسبب همسها
ورخاوتها خفية بالهمزة التي تعد من الأصوات الانفجارية، والأصوات الانفجارية أقوى من الأصوات
الاحتكاكية.

2. إبدال الألف:

نص ابن الحاجب على أن الألف تبدل من الواو والياء والهمزة فقال: "والألف من أختيها
والهمزة"².

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه، إلا أنه قد أضاف إليه إبدال الألف من النون والتتوين
فقال أي: الرضي: "ويبدل من النون والتتوين وفقاً"³.

ولما كان إبدال الألف من الواو والياء والهمزة من مباحث موضوع الإعلال فإنني سأؤجل الحديث عنها
الآن لأنه سيتم معالجتها في موضعها المحدد من البحث إن شاء الله.

وسأكتفي هنا بذكر إبدال الألف من النون والتتوين الذي ذكره الرضي ونص عليه سيبويه فقال: "الألف
تكون بدلاً من الياء والواو إذا كانتا لامين... والتتوين في النصب تكون بدلاً منه في الوقف، والنون
الخفيفة إذا كان ما قبلها مفتوحاً نحو: رأيت زيداً، واضرباً"⁴.

¹ - ابن جني، سر الصناعة. 100/1، 101.

² - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 208/3.

³ - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 209/3.

⁴ - سيبويه: 238/4.

كذلك المبرد وابن جني تعرضا لهذا الإبدال، فابن جني في سر الصناعة نجده يقول: "قد أبدلت الألف عن هذه النون في ثلاثة مواضع: أحدها أن تكون في الوقف بدلاً من التتوين اللاحق علماً للصرف وذلك قولك رأيت زيداً... والثاني إبدالها من نون التوكيد الخفيفة إذا انفتح ما قبلها ووقفت عليها وذلك نحو قوله تعالى: "نسفعا بالناصية"¹... والثالث إبدال الألف من نون إذن وذلك أيضاً في الوقف تقول: أنا أزورك إذا تريد إذن"².

أما المبرد فقد نص على إبدال الألف من التتوين والنون بقوله: "وتكون بدلاً من التتوين المفتوح ما قبله في الوقف، نحو: رأيت زيداً، ومن النون الخفيفة؛ لأنها كالتتوين إذا انفتح ما قبلها، تقول: اضرين زيداً فإذا وقفت قلت: اضريا، وفي قوله: (لنسفن بالناصية) والوقف (لنسفنناً)"³.

3. إبدال الياء:

الياء من الأصوات التي نص ابن الحاجب وشارحه على أنها تبدل من غيرها في بعض المواضع، وقد ذكر ابن الحاجب الأصوات التي تبدل منها بقوله: "والياء من أختيها ومن الهمزة ومن أحد حرفي المضاعف والنون والعين والباء والسين والياء"⁴.

وقد ذكر حكم إبدالها من كل صوت فخلص إلى أن إبدالها من غيرها يندرج تحت ثلاثة أحكام هي:

1. ما كان لازماً.

2. ما كان شاذاً.

3. ما كان مسموعاً كثيراً⁵.

وقد ذكر سيبويه حكم إبدال الياء في كتابه عند حديثه عن حروف البديل⁶، وكذلك هو الحال

مع المبرد الذي نص على أن الياء تبدل من بعض الأصوات فحددها بقوله: "والياء تكون بدلاً من

¹ - سورة العلق. الآية (15).

² - ابن جني. سر الصناعة. 675/2 - 679.

³ - المبرد: 61/1.

⁴ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 209/3.

⁵ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 209/3.

⁶ - سيبويه: 238/4، 239.

الواو إذا انكسر ما قبلها وهي ساكنة وذلك قولك: "ميزان... وتبدل من الواو إذا كانت رابعة فصاعداً نحو: اغزيت... وتبدل مكان أحد الحرفين إذا ضوعفا في مثل قولك: دينار وقراط... وكذلك قولك: أمليت وتقضيت... وتسريت"¹.

وبهذا نجد أن الياء تبدل من عدة أصوات هي (الألف، الواو، الهمزة، الراء، النون، اللام، الضاد، العين، الباء، الصاد، السين، التاء) وأضاف الرضي (الجيم).

وقد وضع الرضي الإبدالات ومثل لها على النحو الآتي:

- إبدال الياء من أحد حرفي المضاعف:

بيّن الرضي أنه يقصد بعبارة أحد حرفي المضاعف كل ثلاثي مزيدٍ يجتمع فيه مثلان ولا يمكن إدغامهما؛ وذلك لسكون الأول، أو ما اجتمع فيه ثلاثة أمثال أولهما مدغم في الثاني، فلا يمكن الإدغام في الثالث، ونظراً لكرهية اجتماع الأمثال دون إدغامها لجؤا إلى قلب الثاني ياء.

ومثل هذا أطلق عليه الدرس الصوتي الحديث مصطلح المخالفة²، وهي نوع من التغيرات الصوتية التي يحددها السياق، فهي تغيرات صوتية مشروطة تحددها طبيعة الأصوات المحيطة بالصوت موضع التغيير³.

والمخالفة عكس المماثلة؛ لأنها تؤدي إلى زيادة الخلاف بين الصوتين، وهي ظاهرة تحدث بصورة أقل إذا ما قورنت بالمماثلة.

وتعتبر الأصوات المائعة وسيلة مخالفة للتضعيف في الصيغ المضعفة⁴، والياء تقع ضمن هذه الأصوات.

¹ - الميرد: 62/1.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 384.

³ - حجازي: 51.

⁴ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 384، 385.

ولعل الغرض من اللجوء إلى ظاهرة المخالفة هنا هو الابتعاد عن تكرار الصوت الواحد وما ينتج عنه من صعوبات في النطق .

ومثل الرضي لهذا بقوله:

أملت ← أملت

قصيت ← قصت

دينار ← دنار

قيراط ← قرط

وغيرها من الأمثلة التي حدث فيها إبدال الياء من الحرف المضاعف، وهو على الترتيب (اللام، الصاد، النون، الراء) وعلى ضوء ذلك تيسر النطق بالكلمة.

والمخالفة من الظواهر المهمة التي تناولها الدرس الصوتي الحديث وكان لها صدى في مؤلفات العلماء المحدثين ومصنفاتهم، ومنهم على سبيل المثال إبراهيم أنيس الذي قال عنها: "التطورات التي تعرض أحياناً للأصوات اللغوية، ما يمكن أن يسمى بالمخالفة، وهي أن الكلمة قد تشمل على صوتين متماثلين كل المماثلة فيقلب أحدهما إلى صوت آخر لتتم المخالفة بين الصوتين المتماثلين"¹.

وكذلك أحمد مختار عمر²، ومحمود فهمي حجازي الذي أطلق عليها مصطلح المغايرة "المغايرة نقيض المماثلة، تؤدي المغايرة إلى أن تصبح الأصوات المكونة مختلفة بعد أن كانت متفقة أو متقاربة"³، وفي مطالعتنا لمصنفات السلف نلاحظ أنهم تعرضوا لهذه الظاهرة تحت عنوانات مختلفة منها: كراهية اجتماع المثليين، كراهية التضعيف، كراهية اجتماع حرفين من جنس واحد، توالي الأمثال المكررة.

¹ - أنيس: 210.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 384.

³ - حجازي: 53.

- إبدال الياء من النون:

ذكر ابن الحاجب إبدال الياء من النون بقوله: "وفي نحو أناسي"¹.

إلا أن الرضي قد جوز أن تكون "أناسي" جمعاً (لأنسي) وبهذا لا تكون الياء بدلاً من النون.

- إبدال الياء من العين والباء والسين والثاء:

في الوقت الذي وصف فيه ابن الحاجب هذا النوع من الإبدال بأنه ضعيف "وأما الضفادي

والثعالي والسادي والثالي فضعيف"² نجد الرضي قد اكتفى بالتمثيل لكل على حدى.

فمثال إبدالها من العين:

وَمَنْهَلٍ لَيْسَ لَهُ حَوَازِقُ :: وَلِضَفَادِي جَمَّةٍ نَقَانِقُ³

فالأصل (الضفادع) فأبدلت الياء من العين، والملاحظ هنا أن هذين الصوتين يختلفان من حيث

المخرج، ولعل هذا ما يفسر جعل ابن الحاجب هذا النوع من الإبدال ضعيف.

ومثال إبدالها من الباء:

لَهَا أَشَارِيرُ مِنْ لَحْمٍ تَنْمَرُهُ :: مِنْ الثَّعَالِي وَوَحْزٌ مِنْ أَرَانِيَّة⁴

فأصلها (الثعالب) (أرانبيها)

أبدلت الياء من الباء في الكلمتين، وهذا الإبدال قليل الاستعمال على حد تعبير ابن الحاجب "وبقلة

استعماله كالثعالي"⁵.

ومثال إبدالها من السين:

إِذَا مَا عَدُّ أَرْبَعَةً فِسَالٌ :: فَرَوْجُكَ حَامِسٌ وَأَبُوكِ سَادِي⁶

¹ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 209/3.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 209/3.

³ - هذا البيت من مشطور الرجز، ويقال: صنعه خلاف الأحمر.

⁴ - هذا البيت من بحر البسيط، وهو من قصيدة لأبي كاهل اليشكري.

⁵ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 197/3.

⁶ - هذا البيت من بحر الوافر، وهو منسوب إلى النابغة الجعدي يهجو فيه ليلي الأخيلية، وينسب أيضاً للحادرة.

حيث أبدلت الياء من السين في كلمة (سادي) إذ الأصل هو (سادس).

وهنا نجد أن الصوتين المبدلين بينهما تباين مخرجي وكيفي، فالياء غارية مجهورة والسين أسنانية لثوية مهموسة، ونظراً لهذا التباين عُد هذا الإبدال غير لازم.

ومثال إبدالها من الثاء:

يَفْدِيكَ يَا زُرْعَ أَبِي وَخَالِي :: قَدْ مَرَّ يَوْمَانِ وَهَذَا النَّالِي :: وَأَنْتَ بِالْهَجْرَانِ لَا تُبَالِي¹

حيث أبدلت الياء في كلمة التالي من الثاء فأصلها هو (الثالث).

4. إبدال الميم:

نص ابن الحاجب على أن الميم تبدل من أربعة أصوات هي (الواو، اللام، النون، الباء).

"والميم من الواو واللام والنون والباء..."².

وقد تبعه شارح المتن - الرضي الاستراباذي - فيما ذهب إليه، وما ذهب إليه هذان العالمان يتفق مع

ما هو عند ابن جني كما أنه يتشابه إلى حد ما مع ما هو موجود عند سيبويه والمبرد.

فسيبويه يرى أن الميم تكون بدلاً من حرفين هما النون والواو "والميم تكون بدلاً من النون في عنبر

وشنباة ونحوهما إذا سكنت وبعدها باء. وقد أبدلت من الواو في فم وذلك قليل"³.

كذلك هو الحال عند المبرد الذي قال: "والميم تبدل من النون إذا سكنت وكانت بعدها الباء، نحو قولك

عنبر ومنبر وشنباة"⁴.

أما ابن جني فيقول: "فقد أبدلت الميم من أربعة أحرف وهي الواو والنون واللام والباء"⁵.

وقد أوضح الرضي هذه الإبدالات؛ وفصل القول فيما أجمله وأجزه ابن الحاجب، وإليك تفصيل ذلك:

¹ - هذا البيت من مشطور الرجز.

² - الاستراباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 215/3.

³ - سيبويه: 240/4.

⁴ - المبرد: 64/1.

⁵ - ابن جني. سر الصناعة. 413/1.

- إبدال الميم من الواو:

تبدل الميم من الواو في كلمة واحدة هي (فم)، وهذا ما نص عليه ابن الحاجب بقوله: "فمن الواو لازم في فم وحدة"¹.

وكذلك الرضي بقوله: "لم يبدل الميم من الواو إلا في فم، وهذا بدل لازم،... أصله فوه بدليل أفواه وأفوه وفوييه ونفوهت، حذف الهاء لخفائها ثم أبدلت الواو ميماً"².

وقد وصف سيبويه إبدالها من الواو في فم بأنه قليل³. وهذا الإبدال له ما يبرره من الناحية الصوتية، فالصوتان المبدلان يتفقان في المخرج والصفة فكلاهما صوت شفتاني وكلاهما مجهور، بالإضافة إلى ما يتسم به صوت الميم من قوة تتمثل في وضوحه السمعي، جعلته يبدل من الواو الذي يعد نصف صائت ضعيف.

والى مثل هذا التحليل ذهب ابن جني في سر الصناعة عند حديثه عن إبدال الميم في كلمة فم حيث نجده يبرره بقوله: "أما إبدالها من الواو فقولهم (فم) وأصله فوه.... فحذفت الهاء تخفيفاً.... فلما بقي الاسم على حرفين الثاني منهما حرف لين كرهوا حذفه للتون فيجحفوا به، فأبدلوا من الواو ميماً لقرب الميم من الواو لأنهما شفهتيان وفي الميم هوي في الفم يضارع امتداد الواو"⁴.

- إبدال الميم من اللام:

وقد خص ابن الحاجب هذا الإبدال بلام التعريف ووصفه بأنه ضعيف "وضعيف في لام التعريف وهي طائية"⁵.

وقد أورد الرضي - الذي يوافق ابن الحاجب في هذا النوع من الإبدال - حديثاً للرسول (صلعم) لتأكيد هذا الإبدال وهو قوله (صلعم): "ليس من امبر امصيام في امسفر".

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 215/3.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 215/3.

³ - سيبويه: 240/4.

⁴ - ابن جني. سر الصناعة. 414، 413/1.

⁵ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 215/3.

ومثل هذا الإبدال لا يعدو أن يكون ظاهرة لهجية عرفتها القبائل العربية باسم الطمطمانية، إلا أنها اشتهرت عند أهل اليمن وحمير وبعض عشائر طيء، وقد عرفها شوقي ضيف بأنها: إبدال لام التعريف ميماً ويرى أنها ليست إبدالاً وإنما هي لهجة يمنية تستخدم فيها الألف والميم كأداة للتعريف. ولا تزال لهذه الظاهرة أصداء وبقية في العامية المصرية إذ نراهم يقولون إمبراح بدلاً من البارحة¹. ويعد هذا النوع من الإبدال شاذاً أو كما وصفه ابن الحاجب ضعيفاً؛ لأن الصوتين المبدلين لا يتفقان في المخرج ولا في الصفات.

- إبدال الميم من النون:

تبدل الميم من النون في نحو: عنبر - شنباء، وقد وصف ابن الحاجب هذا الإبدال بأنه لازم، وتبدل الميم من النون أيضاً في نحو: البنان - طانه، ووصف ابن الحاجب هذا الإبدال بأنه ضعيف حيث قال: "ومن النون لازم في نحو عنبر وشنباء، وضعيف في البنام وطامه الله على الخير"². ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه حيث ذكر ضوابط هذا الإبدال، فنص على أنه لا يكون إلا مع النون الساكنة قبل الباء؛ حيث يتعسر النطق بالنون الساكنة الأنفية مع الباء الشفتانية فيلجأ إلى الإبدال "ضابطه كل نون ساكنة قبل الباء في كلمة كعنبر أو كلمتين نحو: سميع بصير؛ وذلك أنه يتعسر التصريح بالنون الساكنة قبل الباء... والنون الخفية ليست إلا في الغنة التي معتمدها الأنف فقط والباء معتمدها الشفه ويتعسر اعتمادان متواليان على مخرجي النفس المتباعدين، فطلبت حرف تقلب النون إليها متوسطة بين النون والباء فوجدت هي الميم لأن فيه الغنة كالنون، وهو شفوي كالباء"³.

¹ - ضيف. تاريخ الأدب. 123.

² - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 215/3.

³ - الاسترأبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 216/3.

وكلام هذين العالمين الجليلين يتفق مع ما ذهب إليه سيبويه في كتابه، حيث نص سيبويه على أن "الميم تكون بدلاً من النون في عنبر وشنباء ونحوهما، إذا سكنت وبعدها باء"¹.

وكذلك هو الحال عند المبرد في المقتضب "الميم تبدل من النون إذا سكنت وكانت بعدها الباء نحو قولك: عنبر ومنبر وشنباء"².

وتحليل هذا الإبدال من الناحية الصوتية يكمن في أن صوت الباء وهو صوت شفتاني، انفجاري، مجهور، قد أثر في صوت النون - وهو صوت لثوي، يتسم بملمحي الأنفية والجهر - تأثيراً رجعياً.

ولكن لما كان كلا الصوتين متساويين من حيث القوة - إذ لا مجال للمفاضلة بين الميم والنون فكلاهما أنفي مجهور وأن اختلف مخرجهما، وعلى هذا لا مجال لافتراض السهولة أو الصعوبة في

العلاقة بينهما³ - فإن الباء لم يستطيع أن يقلب النون إلى جنسه فطلب صوتاً آخرأ تقلب إليه النون فكان صوت الميم لأنه يشترك مع الباء في المخرج الشفتاني ويشترك مع النون في صفة الغنة أو

الأنفمية.

وقد أطلق عبدالقادر عبدالجليل على هذا النوع من الإبدال مصطلح المماثلة المخرجية⁴.

أما إبدال (البنان - الطانة) فإن هذا البديل لا يعدو أن يكون من قبيل التنوعات اللهجية بين القبائل، وهو ما يعرف في الدرس الصوتي الحديث باسم (الديافونات).

لأنه ليس هناك أي سبب يبرر مثل هذا الإبدال من الناحية الصوتية سوى اشتراك الصوتين في صفة الأنفمية.

¹ - سيبويه: 240/4.

² - المبرد: 64/1.

³ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 397.

⁴ - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 434.

- إبدال الميم من الباء:

تبدل الميم أيضاً من الباء في نحو: (بنات مخر - ومازلت راتماً . من كتم) وهي في الأصل على التالي: (بنات بخر - ومازلت راتباً - من كتب) كما أوضح ذلك الشارح الرضي الاسترأباضي، وهذا الإبدال يمكن تفسيره تحت مظلة التداخل أو التقارب المخرجي بين الصوتين المبدلين.

5. إبدال النون:

نص ابن الحاجب على أن النون تبدل من صوتين اثنين هما الواو واللام فقال: "والنون من الواو واللام شاذ في صنعاني وبهراني وضعيف في لعن"¹. ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه، إلا أنهما يختلفان مع سيبويه والمبرد في إبدال النون من الواو، فسيبويه يرى أنها بدل من الهمزة "والنون تكون بدلاً من الهمزة في فعلا ن فعلى"²، أما المبرد فيرى أن النون بدل من ألف التأنيث³. ويبدو أن ما ذهب إليه ابن الحاجب وشارحه الرضي أقرب إلى الصحة؛ لأن النون والهمزة لا توجد أي مناسبة بينهما لا في المخرج ولا في الصفات.

أما فيما يخص إبدال النون من اللام في كلمة (لعلّ) فله ما يفسره من الناحية الصوتية فالصوتان بينهما تقارب مخرجي، بالإضافة إلى أنهما مجهوران ويتسمان بالوضوح السمعي.

6. إبدال التاء:

تبدل التاء من خمسة أصوات هي (الواو، الياء، السين، الباء، الصاد) هذا ما نص عليه ابن الحاجب بقوله: "والتاء من الواو والياء والسين والباء والصاد"⁴. أما الرضي فقد أضاف صوتاً آخرأ هو الطاء "وجاء بدلاً من الطاء قالوا فستاط في فسطاط"⁵.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 218/3.

2 - سيبويه: 240/4.

3 - المبرد: 64/1.

4 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 219/3.

5 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3.

وسبويه تبدل التاء عنده من أربعة أصوات هي (الواو والياء والءال والسين) فيقول: "وأما التاء فتبءل مكان الواو فاءً في أءءء - واتهم - وأءلج - وترأء - وتجاه ونحو ذلك، ومن الياء في افتعلت من يئست ونحوها وقد أءءلت من الءال والسين في (ست) وهذا قليل، ومن الياء إذا كانت لأمأ في استنوا وذلك قليل"¹.

وهنا نلاحظ الاءءلاف بين سبويه وابن الءابج وشارحه، فبينما عءها الأول أربعة أصوات اعءبرها الثاني خمسة، ولم يقف الاءءلاف على عءء الأصوات فقط بل تعءاه إلى الأصوات نفسها فهي عند سبويه (الواو، الياء، الءال) بينما هي عند ابن الءابج (الواو، الياء، الءال، الباء، الصاء). وفيما يخص ابن جني فقد أءءلت التاء عنده من ستة أصوات اتفق مع ابن الءابج في أربعة منها، يقول ابن جني: "فقد أءءلت من ستة أءرف هن: الواو والياء والسين والصاد والطاء والءال"².

ءبء أضاف صوت الطاء واسقط الباء وأءبء مكانه الءال.

وقء شرع الرضي في بيان كل ذلك والءمءبءل له وإليك تفصيله:

- إءءال التاء من الواو:

وضع الرضي ضابطأ لهذا وهو كل واو أو ياء هي فاء افتعل، ووصف ابن الءابج هذا الإءءال بأنه لازم "فمن الواو والياء في نحو اءءء و اءسر على الأفصء"³، في ءبب جعل إءءالها في غير ذلك شاءأ "وشاءأ في نحو اءلج"⁴.

وقء عرض سبويه في كتابه لمءل هذا ءبب جعل إءءال التاء من الواو في الاءءعال لازماً بينما جعله غير مطرء في أفعلت نحو: اءلج، اءخمه، اءكأه"⁵.

1 - سبويه: 239/4.

2 - ابن جني. سر الصناءة. 145/1.

3 - الاءرأبأذي. شرح شافية ابن الءابج. 219/3.

4 - الاءرأبأذي. شرح شافية ابن الءابج. 219/3.

5 - سبويه: 334/4.

وهذا النوع من الإبدال قد حدث فيه تأثير رجعي من قبل التاء في صيغة افتعل على الواو التي هي فاء الكلمة فحولتها إلى جنسها ثم أدغمتا في بعضهما.

اتعد ← أصلها ← اوتعدعد ← قلب ← اتتعد ← إدغام ← اتعد

وقد ذكر ابن جني علة قلب الواو تاء بقوله: "والعلة في قلب هذه الواو في هذا الموضع تاء، أنهم لو لم يقلبوها تاء لوجب أن يقلبوها إذا انكسر ما قبلها ياء فيقولوا: ايتزن... فإذا انضم ما قبلها زدت إلى الواو فقالوا: موتزن... وإذا انفتح ما قبلها قلبت ألفاً فقالوا: وياتزن... أرادوا أن يقلبوها حرفاً جلدأً بتغير أحوال ما قبله وهو باقٍ بحاله وكانت التاء قريبة المخرج من الواو لأنها من أصول الثنأيا والواو من الشفة فأبدلوها تاء وادغموها في لفظ ما بعدها، وهو التاء فقالوا: اتزن..."¹.

أما إبدال التاء من الواو نحو: تجاه، نُكْلة، تخمه فإن هذا الإبدال قليل غير مطرد، ويرجع السبب في إبدال الواو تاء في هذه الكلمات - إذ الأصل فيها على التتالي: وُجاه، وكلة، وخمه - إلى أن الواو ضعيفة لكونها نصف صامت بالإضافة إلى أنها محركة بحركة من جنسها وهذه الحركة زادت ثقلها²، فأبدلت تاء لتحاكي هذا الثقل.

- إبدال التاء من الياء:

كذلك تبدل التاء من الياء في صيغة الافتعال ومشتقاتها كما أبدلت من الواو في الصيغة نفسها، وهذا ما نص عليه ابن الحاجب وشارحه الرضي.

ويتفق ما ذهب إليه هذان العالمان مع سيبويه الذي قال: "والياء توافق الواو في افتعل في أنك تقلب الياء تاء في افتعل من اليئس تقول: "ايتبس، ومتبس، ويتبس لأنها قد تقلب تاء ولأنها قد تضعف ههنا

¹ - ابن جني. سر الصناعة. 147/1، 148.
² - شاهين: 179.

فتقلب واوا لو جاءوا بها على الأصل في مفتعل وافتعل وهي في موضع الواو أختها في الاعتلال فأبدلوا مكانها حرفاً هو أجد (منها) حيث كانت فاء وكانت أختها فيما ذكرت لك فشبهوها بها¹.

- إبدال التاء من السين:

تبدل التاء من السين على غير اطراد، وقد نص على ذلك ابن الحاجب بقوله: "وفي طست وحده"².

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب في ذلك وعلل الإبدال في طست بقوله: "لأن جمعه طسوس لاطسوت"³.

ثم ذكر مثلاً لهذا الإبدال وهو: يَأْقَاتَلْ اللهُ بَنِي السَّعْلَةِ :: عَمْرُو بْنُ يَزْبُوعٍ شِرَارَ النَّاتِ

غَيْرَ أَعْقَاءَ وَ لَا أَكْيَاتِ⁴

والشاهد فيه إبدال التاء من السين في كلمتي (الناس - أكياس)، وهذا الإبدال قد عرف كظاهرة لهجية عند قبائل حمير.

ولعل الإبدال الحاصل في كلمة (طست) ناجم عن تأثير قانون المخالفة الصوتية الذي يسعى إلى تيسير النطق، وتخفيض الجهد العضلي عن طريق قلب أحد الصوتين المتماثلين المتجاورين، وعلى ضوء هذا يمكن تفسير العديد من ظواهر الإبدال في اللغة⁵.

- إبدال التاء من الباء:

نص ابن الحاجب على أن التاء تبدل من الباء وذلك بقوله: "والتاء من الواو والياء والسين والباء والصاد..."⁶.

1 - سيبويه: 338/4.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 219/3.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 220/3.

4 - هذا البيت من مشطور الرجز، وهو للشاعر جاهلي علباء بن أرقم اليشكري يهجو فيها بني عمرو بن مسعود، وقيل: عمرو بن يربوع.

5 - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 435، 436 بتصرف.

6 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 219/3.

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب في ذلك ومثل لهذا الإبدال بالبيت:

صَفَّةٌ ذِي دَعَالِي سُمُولٍ :: بَيْعَ امْرِئٍ لَيْسَ بِمُسْتَقْبَلٍ¹

فكلمة (ذعالت) الواردة في هذا البيت قد أبدلت فيها الباء تاء، ولكن الرضي يرى أن الأولى هو اعتبار الباء هي الأصل؛ وذلك لأن (الذعالب) هي الأكثر استعمالاً يقول: "والأولى أن أصلها الباء؛ لأن الذعالب أكثر استعمالاً، وهو بمعنى الذعاليب، واحدها ذعلوب وهي قطع الخرق الأخلاق"².

- إبدال التاء من الصاد:

تبدل التاء من الصاد في كلمة (لص) إذ تصبح بعد الإبدال (لصت)، وقد وصف ابن الحاجب هذا الإبدال بأنه ضعيف فقال: "ولصت ضعيف"³.
وقد أوضح الرضي ذلك بعد موافقته عليه بقوله: "وقالوا في لص: لصت وجمعه على اللصوت أيضاً"⁴.

وقد ذكر مثلاً على ذلك وهو قول الشاعر:

فَتَرَكْنَ نَهْدًا عَيْلًا أَبْنَاؤُهَا :: وَبَنِي كِنَانَةَ كَاللُّصُوتِ الْمُرْدِ⁵

حيث أبدلت التاء من الصاد في كلمة (اللصوت) الواردة في البيت إذ الأصل (اللصوص)، لأنه هو الأكثر استعمالاً.

ويبدو أن السبب في هذا الإبدال راجع إلى المخالفة الصوتية التي تسعى إلى التخلص من التضعيف في صيغة المفرد (لص) ومن توالي الأمثال في صيغة الجمع (لصوص).

¹ - هذا البيت من مشطور الرجز، وهو لأعرابي من بني عوف بن سعد، هكذا ذكره ولم يعينه.

² - الاسترأباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3.

³ - الاسترأباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 219 /3.

⁴ - الاسترأباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3.

⁵ - هذا البيت من بحر الكامل، وقد نسبه الصاعاني في العباب إلى عبد الأسود بن عامر بن جوين الطائي.

- إبدال التاء من الطاء:

تبدل التاء من الطاء، وهذه إضافة أوردها الرضي الاسترأباضي واستدرکہا على صاحب المتن

حيث قال: "وجاء بدلاً من الطاء، قالوا: فسطاط في فسطاط"¹.

ويتفق الرضي في ذلك مع ابن جني الذي عدّ الطاء ضمن الأصوات الستة التي تبدل منها التاء.

وبالنظر إلى التاء والطاء من الناحية الصوتية نجد أن التاء هي النظير المرقق للطاء، فالصوتان

يقعان ضمن المخرج الرابع من الأمام وهو المخرج الأسناني اللثوي، كما أنهما صوتان انفجاريان

مهموسان ولا يفرق بينهما إلا صفة الإطباق في الطاء.

لذلك أبدلوا الطاء الأولى في (فسطاط) تاءً لأن التاء أخت الطاء ونظيرها المرقق.

7. إبدال الهاء:

تبدل الهاء من أربعة أصوات هي (الهمزة، الألف، الياء، التاء) وقد نص على ذلك ابن

الحاجب بقوله: "والهاء من الهمزة والألف والياء والتاء"².

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ما ذهب إليه، وقد تحدث سيوييه عن إبدال الهاء فقال عنه: "وأما

الهاء فتكون بدلاً من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف؛ كقولك: هذه طلحة، وقد أبدلت من الهمزة

في هرقت، وهمرت، وهرحت الفرس، وأبدلت من الياء في هذه، وذلك في كلامهم قليل ويقال: إياك

وهياك، كما أن تبين الحركة بالألف قليل وإنما جاء في: أنا جيها"³.

أما ابن جني قد اختلف مع ابن الحاجب في عدد الأصوات التي تبدل الهاء منها، فبلغ عددها عنده

خمسة أصوات هي (الهمزة، والألف، والياء، والواو، والتاء) أي أنه أضاف الواو إلى الأصوات الأربعة

التي عدّها ابن الحاجب وسأبدأ بعرض الأصوات التي تبدل منها الهاء عند ابن الحاجب وهي:

¹ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3.

³ - سيوييه: 238/4.

- إبدال الهاء من الهمزة:

ذكر ابن الحاجب إبدال الهاء من الهمزة ووصفه بأنه مسموع في كلمات بعينها فقال: "فمن

الهمزة مسموع في هرقت وهرحت وهياك ولهتك وهن فعلت في طئ وهذا الذي في إذا الذي"¹.

وقد أضاف الرضي بعض الأمثلة على إبدال الهاء من الهمزة بقوله: "يقال هنرت الثوب: أي أنرته...

وحكى اللحياني: هردت الشيء: أي أردته... وحكى قطرب: هزید منطلق، في ألف الاستفهام"².

ولم يذكر ابن الحاجب - وكذلك الرضي - علة هذا الإبدال، ولكن بالنظر إلى الخصائص الصوتية

لكل من الصوتين نجد أن الهمزة حرف انفجاري في حين نجد الهاء صوتاً مهموساً احتكاكياً، وكلاهما

يخرج من المخرج الأول من الداخل والأخير من الخارج ألا وهو (الحنجرة).

وعلى الرغم من أن النطق بالصوت الانفجاري أسهل من النطق بالصوت الاحتكاكي³، أبدلت الهمزة

هاءً وذلك لخصوصية في الهمزة، فهي صوت له وضع خاص بسبب ثقله واحتياجه إلى بذل جهد

عضلي كبير لنطقه؛ لهذا يتعرض دائماً إلى التسهيل أو الحذف، وهنا أبدلت هاءً طلباً للخفة.

- إبدال الهاء من الألف:

نص ابن الحاجب على إبدال الهاء من الألف وقفاً، وقد نعت هذا الإبدال بالشذوذ "ومن الألف

شاذ في أنه وحيهله وفي مه مستهماً، وفي يا هناه على رأي"⁴.

وقد أوضح الرضي سبب جعل الهاء بدلاً من الألف في الوقف في هذه الكلمات بأن الألف في الوقف

أكثر استعمالاً من الهاء.

كما أوضح اختلاف الآراء حول الهاء في (يا هناه)، فالكوفيون يجعلونها للسكت، أما البصريون

فيجعلونها بدلاً من الواو، في حين جعلها البعض أصلاً وقد نعت الرضي هذا الرأي بأنه ضعيف.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3 - 224.

3 - أنيس: 236.

4 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 222/3.

والألف في الالرس الصوتي الالديث الالعتبر من الالحركات الالتي أالطلق عليها مصطلح الالفتحة الطويلة ورمزها (aa)، وبالنظر إلى الالكتابة الصوتية لإالحدى الالكلمات الالتي ورد فيها إبدال الالهاء من الألف الاليتضح لنا أن الالهاء لم الالتبذل من الألف - على الالحد الالعبير الالقلمامى أو من الالفتحة الطويلة - وإنما أبدالل من الالجزء منها.

فتحة طويلة → an/aa في الالالة الالعدم الالإبدال.

الإبدال الالوقع في الالجزء منها → an/ah في الالالة الالإبدال

- إبدال الالهاء من الالياء :

الالبدال الالهاء من الالياء بنص ابن الالالجاب : "والهء من الالهمة والألف والياء والاللاء... ومن الالياء في الالهة"¹.

والقد الالذهب الالرضي الالذهب ابن الالالجاب، فهو أيضاً الاليتفق معه في إبدال الالهء من الالياء في الالهة الالحيث الالقال: "وهاء الالهة الالبدال من الالياء"².

إلا أنه الالقد أوالضح أن الالهذا الإبدال لا الاليطرد في الالكل ياء الالقال: "ولا الاليطرد الالهذا في الالكل ياء؛ فلا الاليقال في الالالذي: الالالذه"³.

والاليتفق ابن الالالجاب والالرضي في ما الالذهب إاليه مع ما الالذهب إاليه سيبويه، فهو أيضاً الالقد الالقرر إبدال الالهء من الالياء في الالكلمة الالهة الالقال: "وأبدالل من الالياء في الالهي وذللك في الالكلهم الالليل"⁴.

- إبدال الالهء من الاللاء :

نص ابن الالالجاب على إبدال الالهء من الاللاء الالوقفاً بالالقول: "ومن الاللاء في الالرحمة الالوقفاً"⁵.

¹ - الالاسلرأباضي. شرح شافية ابن الالالجاب. 222/3.

² - الالاسلرأباضي. شرح شافية ابن الالالجاب. 225/3.

³ - الالاسلرأباضي. شرح شافية ابن الالالجاب. 225/3.

⁴ - سيبويه: 238/4.

⁵ - الالاسلرأباضي. شرح شافية ابن الالالجاب. 222/3.

وقد تبعه الرضي في إن الهاء تكون بدلاً من تاء التأنيث في الأسماء، وسيبويه ذكر إبدال الهاء من التاء بقوله: "وأما الهاء فتكون بدلاً من التاء التي يؤنث بها الاسم في الوقف كقولك: هذه طلحة"¹. أما ابن جنبي فقد ذكر بالإضافة إلى إبدالها من تاء التأنيث في الأسماء إبدالها من تاء جمع المؤنث السالم².

8. إبدال اللام:

تبدل اللام من صوتين اثنتين هما (النون - الضاد).

وهذا ما نص عليه ابن الحاجب بقوله: "واللام من النون والضاد"³، ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه وشرع في توضيحه.

وقد نص سيبويه على إبدال اللام من الضاد والنون بقوله: "ومثل ذلك قول بعض العرب: الطجع في اضطجع، أبدلوا اللام مكان الضاد، كراهية التقاء المطبقين. فأبدلوا مكانها أقرب الحروف منها في المخرج والانحراف"⁴.

وقال أيضاً: "وقد أبدلوا اللام من النون وذلك قليل جداً، قالوا: أصيلا، وإنما هو أصيلا"⁵.

ويمكن تفسير مثل هذا الإبدال على النحو الآتي:

الطجع ← أصلها ← اضطجع

حيث اجتمع في هذه الكلمة صوتان مطبقان هما الطاء والضاد، الأمر الذي دعا إلى استبدال الضاد باللام من باب المخالفة الصوتية بين هذين الصوتين المفخمين، كما أن اللام تشارك الضاد في صفة الانحراف وهي أقرب الأصوات إلى الضاد مخرجاً.

أصيلاً ← أصلها ← أصيلاً

1 - سيبويه: 238/4.

2 - ابن جنبي. سر الصناعة. 562/2.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 226/3.

4 - سيبويه: 483/4.

5 - سيبويه: 240/4.

9. إبدال الطاء:

نص ابن الحاجب على أن الطاء تبدل من التاء بقوله: "والطاء من التاء لازم في اصطبر وشاذ

في فحصط"¹.

وقد أوضح الرضي مقصد ابن الحاجب من قوله: "في اصطبر" بأنه يقصد بها بناء افتعل الذي تكون

فاؤه أحد الحروف المطبقة المستعلية وهي (الصاد والضاد والطاء والظاء). فالتاء فيها تبدل إلى طاء.

وقد علل الرضي هذا الإبدال وأرجعه إلى التباين بين صوت التاء وهذه الأصوات عند وقوعها فاء

للكمة، فالتاء مهموسة مرققة وهذه الأصوات مجهورة مستعلية، فاختير الطاء لكونه يوافق التاء في

المخرج والأصوات الأخرى في الصفة، يقول الرضي: "وذلك لأن التاء مهموسة لا إطباق فيها وهذه

الحروف مجهورة مطبقة فاختراروا حرفاً مستعلياً من مخرج التاء وهو الطاء فجعلوه مكان التاء، لأنه

مناسب للتاء في المخرج والصاد والضاد والظاء في الإطباق"².

إلا أنه يؤخذ على تعليل الرضي هذا اعتباره (الصاد والطاء) من الأصوات المجهورة وهي في حقيقة

الأمر أصوات مهموسة لا يصاحب نطقها اهتزازاً للوترين الصوتيين كما هو واضح لدى علماء

الصوتيات المحدثين³.

وقد ذكر سيبويه إبدال الطاء من التاء في صيغة افتعل بقوله: "والطاء منها - (أي من التاء) في

افتعل إذا كانت بعد الضاد في افتعل نحو: اضطهد، وكذلك إذا كانت بعد الصاد في مثل اصطبر،

ويعد الظاء في هذا"⁴.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 226/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 226/3.

3 - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 98.

4 - سيبويه: 239/4.

كذلك ابن جني يذهب مذهب سيبويه في هذا الإبدال حيث قال: "فإن تاء افتعل إذا كانت فاءً صاداً أو ضاداً أو طاءً أو ظاءً تقلب طاءً البتة... وذلك قولك: من الصبر: اصطبر، ومن الضرب: اضطرب، ومن الطرد: اطّرد، ومن الظهر: اظّهر"¹.

وبالنظر إلى العناصر الحاسمة في هذا الإبدال نلاحظ أن مجموعة الأصوات (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء) هي من الأصوات المطبقة، ونلاحظ أن الطاء تشترك مع التاء في كل خصائصها النطقية إلا أن التاء غير مطبقة والطاء مطبقة، وبناءً على ما تقدم حصل الإبدال - أي إبدال الطاء من التاء - للتقريب بين فاء الكلمة من جهة والطاء المبدلة من التاء.

ويمكن تلخيص هذا الإبدال في المعادلة الآتية:

(ص ض ط ظ) + (ت) ← (ص ض ط ظ) + (ط)

(مطبق) + (غير مطبق) ← (مطبق) + (مطبق)

نحو: اصتبر ← اضطبر

اضترب ← اضطرب

اطترد ← اطّرد

اظتلم ← اظّلم

وبالنظر إلى هذه الأصوات (ص، ض، ط، ظ) وما تتسم به من ملامح نجد أنها على التوالي:

الصاد: تتسم بملحمي الإطباق والصفير.

الضاد: تتسم بملامح الانفجار والإطباق والجهر.

الطاء: تتسم بملحمي الانفجار والإطباق.

الظاء: تتسم بملحمي الإطباق والجهر.

¹ - ابن جني. سر الصناعة. 217/1.

وفي المقابل نجد أن صوت التاء يتسم بملحمي الهمس و الترقيق، وهي لا تعد صفات قوة للصوت لكي تمكنه من التأثير في غيره من الأصوات.

وبناءً على هذا استبدل صوت الطاء بصوت التاء؛ لأن صوت الطاء له ميزات صوتية عالية القيمة مكنته من احتلال موقع (التاء).

وقد وصف العلماء المحدثون هذا الإبدال بأنه قياسي؛ لكونه يقع في الوزن الصرفي افتعل، كما أنه يتم تحت تأثير قوة عامل المماثلة الصوتية¹.

- إبدال الطاء من تاء الضمير:

وهو الذي نص عليه ابن الحاجب بقوله: "وشاذ في فحصط"².

وقد نسب الرضي إبدال تاء الضمير طاءً إلى بني تميم إذا كانت لام الكلمة أحد أصوات الإطباق الأربعة يقول الرضي: "هذه لغة تميم، وليست بالكثيرة، أعني جعل الضمير طاء إذا كان لام الكلمة صاداً أو ضاداً وكذا بعد الطاء والظاء"³.

وقد علل الرضي سبب قلة هذا الإبدال وأرجعه إلى أن تاء الضمير كلمة تامة فلا تغير، كما أنها غير قابلة للتأثر بحروف الإطباق السابقة لها في كلمة أخرى "وإنما قل ذلك لأن تاء الضمير كلمة تامة فلا تغير، وأيضاً هو كلمة برأسها فكان القياس أن لا تؤثر حروف الإطباق فيها، ومن قلبه فلكونه على حرف واحد كالجزء مما قبله، بدليل تسكين ما قبله، فهو مثل تاء افتعل"⁴.

وقد تحدث سيويوه عن إبدال تاء الضمير وهو أيضاً بدوره قد نسبه إلى تميم حيث قال: "أبدلت الطاء من التاء في فعلت إذا كانت بعد هذه الحروف - أي حروف الإطباق - وهي لغة تميم"⁵.

¹ - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 428.

- أنيس: 180.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 226/3.

³ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 226/3.

⁴ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 227/3.

⁵ - سيويوه: 240/4.

والسبب الذي ذكره الرضي كمبرر للذين أجازوا إبدال الطاء من تاء الضمير وهو (أن الضمير على حرف واحد فاعتبر كالجاء مما قبله بدليل تسكين ما قبله فهو مثل افتعل) يقودنا إلى أمرين مهمين هما:

1. أن تاء الضمير ليست تابعة لما قبلها من كلمة وليست من أصلها، ولهذا كان الأولى إلا تؤثر أصوات الإطباق فيها.

2. إن سكون ما قبل التاء يجب ألا نخلص منه إلى أن تاء الضمير تشبه تاء افتعل، بل سكون ما قبل تاء الضمير كان الغرض منه عدم اجتماع أربعة مقاطع مفتوحة؛ لأن اللسان العربي ينفر من توالي أربعة مقاطع متحركة فيما هو كالكلمة الواحدة.

وأخيراً فإن هذا الإبدال - وهو كما وصفه الرضي بأنه ليس بالكثير - لا يقاس عليه؛ لأن التاء ليست من أصل الكلمة فالأفضل في هذه الحالة أن تعامل معاملة الكلمتين المنفصلتين.

10. إبدال الدال:

تبدل الدال من صوت التاء وقد ذكر هذا ابن الحاجب بقوله: "والدال من التاء لازم في نحو:

ازدجر واذكر وشاذ في نحو: فُزْد واجدمعوا..."¹.

ويتضح من كلام ابن الحاجب أن إبدال الدال من التاء يكون على ضربين:

1. مطرد أو لازم في صيغة الافتعال، إذا كانت فاء افتعل زاياً أو دالاً أو ذالاً.

2. غير مطرد أو شاذ وهو في غير صيغة افتعل.

وقد نص سيبويه على إبدال الدال من التاء في كتابه بقوله: "وأما الدال فتبدل من التاء في افتعل إذا كانت بعد الزاي في ازدجر ونحوها"².

¹ - الاسترأبأذي، شرح شافية ابن الحاجب، 227/3.

² - سيبويه: 239/4.

وقد أوضح الرضي هذا الإبدال وفصل فحواه على أنه إذا وقعت فاء صيغة (افتعل) ومشتقاتها أحد الأصوات الثلاثة (الزاي، الدال، الذال)؛ فإن تاء الافتعال تقلب دالاً.

ويرجع سبب هذا الإبدال إلى التباين بين هذه الأصوات الثلاثة (الزاي، الدال، الذال) عند وقوعها فاءً للكلمة وصوت التاء، فالأصوات الثلاثة جميعها مجهورة في حين نجد التاء صوتاً مهموساً.

ولهذا تم قلب التاء المهموسة إلى الدال المجهورة؛ حتى تتناسب مع هذه الأصوات في الصفة وتناسب التاء التي أبدلت منها في المخرج، فالتاء والدال كلاهما من المخرج الرابع من الأمام وهو المخرج الأسناني اللثوي، بالإضافة إلى أن التاء والدال كلاهما صوت شديد انفجاري وكلاهما مرقق، ولا يوجد أي اختلاف بينهما إلا من حيث الهمس والجهر. وإلى مثل هذا السبب عزا ابن جني إبدال الدال من التاء فقال: "ولكن الزاي لما كانت مجهورة وكانت التاء مهموسة وكانت الدال أخت التاء في المخرج، وأخت الزاي في الجهر قربوا بعض الصوت من بعض فأبدلوا التاء أشبه الحروف من موضعها الزاي وهي الدال فقالوا: ازدجر"¹.

وكذلك سيبويه علل ذلك بكلام مشابه لما ورد عند لاحقيه ابن جني، والرضي إذ يقول: "والزاي تبدل لها مكان التاء دالاً وذلك قولهم: مزدان في مرتان، لأنه ليس أشبه بالزاي من موضعها من الدال وهي مجهورة مثلها وليست مطبقة"².

والمحدثون من علماء الأصوات قد أطلقوا على مثل هذا الإبدال (الإبدال القياسي)، وهو الذي يكون في صيغة (افتعل) حين تكون فاؤه (دالاً أو ذالاً أو زايًا). فصياغة افتعل من (دعا - نكر - زاد) هي في الأصل (ادتعي - ادتكر - ازداد) فاجتمع في كل من هذه المثل صوتان متجاوران الأول منهما وهو (الدال - الذال - الزاي) مجهور، والثاني منهما وهو (التاء) مهموس، فتأثر الثاني بالأول فانقلب

¹ - ابن جني. سر الصناعة. 185/1، 186.

² - سيبويه: 467/4، 468.

إلى صوت مجهور أيضاً ليجتمع صوتان مجهوران، فأصبحت المثل: (ادعى - اذكرك - ازداد) وهذا التأثير تقدمي لأن الثاني تأثر بالأول¹.

والغرض أو الهدف من مثل هذا الإبدال هو التقريب بين الصوتين المتجاورين ما أمكن، تيسيراً لعملية النطق واقتصاداً في الجهد العضلي.

ويمكن تفسير أبنية افتعل من الأفعال التي تبدأ بصوت مجهور وفق المعادلة الآتية:

ز - ذ - د + ت ——— زد - ند - د

صوت مجهور + صوت مهموس ——— صوت مجهور مجهور

نحو: ازتاد ——— ازداد

ادتعى ——— ادعى

اذتكر ——— اذكرك ——— إدغام ——— اذكر

حيث يجوز في صيغة افتعل من (ذكر) نوعين من الإدغام إدغام تقدمي وآخر رجعي، وهذا ما أشار إليه الرضي بقوله: "فإن أدغمت فإما أن تقلب الأولى إلى الثانية أو بالعكس"².

والإدغام التقدمي يفنى فيه الصوت الثاني في الأول فينطق بهما صوتاً واحداً من جنس الأول. اذكرك ——— اذكر.

أما الإدغام الرجعي وهو الشائع الكثير الاستعمال يفنى فيه الصوت الأول في الصوت الثاني.

اذكرك ——— اذكر³.

¹ - أنيس: 180، 181.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 227/3.

³ - أنيس: 181. بتصريف.

ما شد من إبدال الدال من تاء الافتعال:

يعتبر قلب تاء الافتعال بعد الجيم إبدالاً غير مطرد لا يقاس عليه، وقد وصفه الرضي بالشذوذ فقال: "وقد شد قلب تاء الافتعال بعد الجيم؛ لأن الجيم وإن كانت مجهورة والتاء مهموسة إلا أنها أقرب إلى التاء من الزاي والذال فيسهل النطق بالتاء بعد الجيم، ويصعب بعد الزاي والذال"¹. وما ذكره ابن الحاجب والرضي نص عليه كل من سيبويه وابن جني، إذ يقول الأول "وقد قربوها منها في افتعلوا حين قالوا اجمعوا أي اجتمعوا و اجدرعوا يريد اجترؤوا لَمَّا قربتها منها في الدال وكان حرفاً مجهوراً قربوها منها في افتعل لتبديل الدال مكان التاء وليكون العمل من وجه واحد"². أما ابن جني فقد قال: "وقد قلبت تاء افتعل دالاً مع الجيم في بعض اللغات قالوا: اجمعوا في اجتمعوا واجدز في اجتز"³.

وقد أرجع إبراهيم أنيس السبب في اقتصار الإبدال القياسي في صيغة (افتعل) على المبدوء بالزاي والذال إلى أن هذين الصوتين أكثر الأصوات المجهورة رخاوة⁴.

إبدال الدال من التاء في غير افتعل إبدالاً غير مطرد:

تبدل الدال من التاء إبدالاً غير مطرد في كلمة (دولج)، وهذا ما قرره ابن الحاجب بقوله: "وشاذ في نحو: فزد، واجدمعوا، واجدز، ودولج"⁵. وقد أشار ابن جني أيضاً إلى هذا الإبدال غير المطرد بقوله: "وقد أبدلوا الدال من تاء تولج فقالوا: دولج"⁶.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 228/3.

2 - سيبويه: 479/4.

3 - ابن جني. سر الصناعة. 187/1.

4 - أنيس: 184.

5 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 227/3.

6 - ابن جني. سر الصناعة. 187/1.

وبالنظر إلى هذا الإبدال من الناحية الصوتية يتضح لنا سببه المتمثل في محاولة إحدأث توافق ومماثلة بين الصوتين المتجاورين وهما (التاء والواو) من حيث الجهر والهمس، ولما كان الجهر من صفات القوة فإن الواو المجهورة قد عملت على إحدأث هذا البدل حيث طُلب لها صوت يساويها في صفة الجهر، فتعين اختيار صوت الدال لما يمتاز به من صفات خولته لاحتلال هذه المنزلة. فالدال صوت مجهور يتوافق مع الواو المجاورة له في الصفة، في حين نجده يوافق التاء بكونه يخرج معها من المخرج ذاته وهو المخرج الأسناني اللثوي.

11. إبدال الجيم:

تبدل الجيم من صوت واحد هو الياء وقفاً، إلا أن هذه الياء قد تكون مشددة وقد تكون مخففة. وعلى هذا نص ابن الحاجب بقوله في شافيته: "والجيم من الياء المشددة في الوقف في نحو: فقيمح، وهو شاذ ومن غير المشددة في نحو: (لاهم إن كنت قبلت حجتج) أشذ، ومن الياء المفتوحة في نحو: (حتى إذا ما امسجت وامسجاً) أشذ"¹.

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه وبدوره قام بتعليل هذا الإبدال وساق الأمثلة الموضحة له وسبب هذا الإبدال عنده هو أن "الجيم والياء أختان في الجهر إلا أن الجيم شديدة، فإذا شددت الياء صارت قريبة غاية القرب وهما من وسط اللسان والجيم أبين في الوقف من الياء، فطلب البيان في الوقف؛ إذ عنده يخفى الحرف الموقوف عليه"².

وقد ذكر الرضي بعض الأمثلة الموضحة لهذا الإبدال منها قول الشاعر:

كَأَنَّ فِي أُنْدَابِهِنَّ الشُّؤْلِ :::: مِنْ عَبَسِ الصَّيْفِ قُرُونِ الْإِجْلِ³.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 229/3.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 229/3.

³ - هذا البيت من مشطور الرجز وهو من أرجوزة طويلة للشاعر أبي النجم العجلي.

وما ذكره ابن الحاجب وشارحه الرضي موجود عند سيبويه وابن جنبي، فالأول ذكر هذا الإبدال بقوله: "وأبدلوا الجيم من الياء المشددة في الوقف نحو: عالج، وعوفج؛ ويريدون: عليّ وعوفي"¹.

أما ابن جنبي فقد قال: "الجيم حرف مجهور يكون في الكلام على ضربين: أصلاً وبدلاً... وإذا كان بدلاً من الياء لا غير"².

وقد اشترط ابن الحاجب في هذا الإبدال أن يكون حالة الوقف وعلله الرضي بقوله: "والجيم أبين في الوقف من الياء فطلب البيان في الوقف"³.

وإلى مثل هذا ذهب سيبويه بقوله: "وأما ناس من بني سعد فإنهم يبدلون الجيم مكان الياء في الوقف لأنها خفية فأبدلوا من موضعها أبين الحروف وذلك قولهم: هذا تميمج يريدون: تميمي وهذا عالج، يريدون: علي"⁴.

إلا أننا نجد الرضي قد ذكر إبدالها من الياء في غير الوقف، وقد مثل له بقوله:

حَتَّى إِذَا مَا أُمْسَجَتْ وَأُمْسَجَا⁵

أي: امْسَيْتْ وَأُمْسَى، فأبدلت الياء جيماً وقد وصفه بأنه (أشد) وذلك لأن الأصل أن يبدل في الوقف لبيان الياء، والياء في مثل هذا ليست بموقوف عليها.

وهذا النوع من الإبدال - إبدال الياء المشددة جيماً - قد عُرف في البيئات العربية القديمة وقد شكل ظاهرة لهجية قد أطلق عليها اسم (العججة)⁶، وقد نسبت كتب اللغة هذه الظاهرة لقبيلة قضاة.

ويتحليل هذا الإبدال من الناحية الصوتية يتضح لنا أن صوتي الياء والجيم المجهورين المشتركين في المخرج الغاري لا علاقة لإبدال أحدهما مكان الآخر بالناحية الصوتية، وإبدالهما من بعضهما لا يعدو

¹ - سيبويه: 240/4.

² - ابن جنبي. سر الصناعة. 175/1.

³ - الاستراباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 229/3.

⁴ - سيبويه: 182/4.

⁵ - هذا البيت من مشطور الرجز، نسبه بعض العلماء إلى العجاج.

⁶ - العججة: جعل الياء المشددة جيماً فيقولون: تميمج: تميمي. ضيف. تاريخ الأدب العربي. 123.

أن يكون من قبيل اللهجات العربية المنتشرة في بيئة معينة، وهو ما أطلق عليه الدرس الصوتي الحديث اسم (الديافون)¹.

12. إبدال الصاد:

تبدل الصاد من أختها في المخرج والصفة وهي السين، إلا أن هذا الإبدال متوقف على الصوت الذي يلي السين، فإن تلاها أحد هذه الأصوات وهي (الغين، والخاء، والقاف، والطاء) أبدلت صاداً. وقد ذكر ذلك ابن الحاجب وأشار إليه بقوله: "والصاد من السين التي بعدها غين أو خاء أو قاف أو طاء جوازاً نحو: أصبغ، وصلخ، ومَسَّ صقر، وصراط"².

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه من إبدال الصاد من السين وعمله بقوله: "اعلم أن هذه الحروف مجهورة مستعلية - أي الغين، الخاء، القاف، الطاء - والسين مهموس مستقل؛ فكرهوا الخروج منه إلى هذه الحروف، لثقله فأبدلوا من السين صاداً، لأنها توافق السين في الهمس والصفير، وتوافق هذه الحروف في الاستعلاء فتجانس الصوت بعد القلب"³.

وقد ورد هذا الإبدال عند سيبويه في باب ما تقلب فيه السين صاداً في بعض اللغات فقال: "تقلبها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة وذلك نحو: صُقْتُ و صَبَقْتُ... أبدلوا من موضع السين أشبه الحروف بالقاف، ليكون العمل من وجه واحد وهي الصاد،... والخاء، والغين بمنزلة القاف... وذلك نحو: صالح في صالح وصلخ في صلخ... وقالوا: صاطع لأنها في التصعد مثل القاف وهي أولى بذا من القاف، لقرب المخرجين والإطباق"⁴.

1 - الصوت الذي يستعمله جماعة من المتكلمين بالإضافة للأصوات الأخرى التي تحل محله في نطق متكلمين آخرين. عمر. دراسة الصوت اللغوي. 258.

أو: التنوع اللهجي الذي يتخذه فونيم ما على لسان الناطقين باللهجات المختلفة للغة ما.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 230/3.

3 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 230/3.

4 - سيبويه: 479/4، 480.

كذلك ابن جنى نص على إبدال الصاد من السين إذا وقع بعدها أحد الأصوات الأربعة آنفة الذكر فقال: "وإذا كان بعد السين غين أو خاء أو قاف أو طاء، جاز قلبها صاداً وذلك قوله تعالى "كأنما يساقون"¹ ويساقون، "ومس سقر"² وصقر "وسخر"³ صخر. "وأصبغ عليكم نعمه"⁴ وأصبغ، و "وسراط"⁵ صراط"⁶.

وبالنظر إلى صوت السين نجد أنه صوت مهموس صفيري مرقق فإذا ما حصل أن تلاه صوتاً من الأصوات (الغين، الخاء، القاف، الطاء) وهي أصوات مستعلية فإنه يبدل صاداً؛ وذلك لإحداث توافق أو مماثلة صوتية بين الصوتين المتجاورين.

ولعل السبب في اختيار الصاد هو أنه صوت مهموس صفيري يشبه السين في كل شيء ما عدا أن الصاد أحد أصوات الإطباق وهذا ما جعله بديلاً للسين هنا، وذلك ليكون نقطة التلاقي بين السين وما تلاها.

فالصاد يشارك السين في أنهما يخرجان من مخرج واحد هو المخرج الأسنان اللثوي، في حين يشارك الأصوات الأربعة الأخرى في صفة الإطباق أو التفخيم.

ويمكن تفسير هذا الإبدال من الناحية الصوتية على أساس المعادلة الآتية:

س + ق ، غ ، ط ، خ ← ص + ق ، غ ، ط ، خ

حيث تأثر صوت السين المهموس المرقق بما تلاه من أصوات مفخمة تأثيراً رجعياً، فأبدل السين صاداً ليتماشى مع هذه الأصوات باعتباره مطبقاً مثلها.

ولا يخفى أن الانتقال من التسفل إلى التصعد فيه ثقل على المتكلم بخلاف الانتقال والانحدار بالصوت من عالٍ.

1 - سورة الأنفال، الآية (6).
2 - سورة القمر، الآية (48).
3 - سورة الرعد، الآية (2).
4 - سورة لقمان، الآية (20).
5 - سورة الفاتحة، الآية (7).
6 - ابن جنى، سر الصناعة، 211/1، 212.

وهكذا فإن هذا الإبدال أحدث تجانساً بين الأصوات المتجاورة ويسر عملية النطق، واعتبر مثل هذا النوع من الإبدال من قبيل الألفونات.

والألفون: مصطلح يطلق على واحد من مجموعة متعددة من الأصوات التي يمكن أن ينطق بها فونيم وحيد.

13. إبدال الزاي:

تبدل الزاي من صوتين اثنين هما (السين - والصاد) وهما يتفقان مع الزاي في المخرج وفي صفة الصفير، إلا أن إبدال الزاي منهما لا يكون على الإطلاق بل هو مشروط بوقوعهما ساكنين قبل الدال.

وقد نص على هذا ابن الحاجب فقال: "والزاي من السين والصاد الواقعتين قبل الدال ساكنتين نحو: يزدل، وهكذا فزدي أنه"¹.

ويتفق الرضي مع ابن الحاجب فيما ذهب إليه من أن الزاي تبدل من هذين الصوتين، وقد شرع بدوره يوضح ويعلل سبب هذا الإبدال من الناحية الصوتية، ذاكراً ما يجوز في مثل هذه الأمثلة غير الإبدال وما لا يجوز.

وقد ورد الحديث عن هذا الإبدال عند سيبويه فقال في باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه "قالصاد الساكنة إذا كانت بعدها الدال وذلك نحو: مصدر، وأصدر، والتصدير،... فضارعوا به أشبه الحروف بالدال من موضعه، وهي الزاي، لأنها مجهورة غير مطبقة. ولم يبدلوا زايًا خالصة كراهية الاحجاف بها للإطباق... وسمعنا العرب

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 231/3.

الفصحاء يجعلونها زاياً خالصة... إن كانت سين في موضع الصاد وكانت ساكنة لم يجز الإبدال إذا أردت التقريب"¹.

وهنا يفهم من كلام سيبويه أن الصاد يجوز فيها الإبدال زاياً أو إشماد الصاد صوت الزاي، أما السين فلا يجوز فيها إلا الإبدال.

وإلى مثل هذا أشار الرضي بقوله: "ولا يجوز هنا أن تشرب السين صوت الزاي كما يفعل ذلك في الصاد... لأن في الصاد إطباقاً، فصاروا لثلاً يذهب الإطباق بالقلب، وليست السين كذلك"².

- إبدال الزاي من السين:

فسر الرضي هذا الإبدال ووضحه من الناحية الصوتية فقال عن ذلك: "السين حرف مهموس، والدال مجهور، فكرهوا الخروج من حرف إلى حرف ينافيه، ولا سيما إذا كانت الأولى ساكنة لأن الحركة بعد الحرف... حائل بين الحرفين فقربوا السين من الدال في الجهر، فيتجانس الصوتان"³.

ويمكن تفسير هذا الإبدال من الناحية الصوتية انطلاقاً من:

س + د ← ز + د

حيث وقعت السين وهي صوت مهموس صفيري احتكاكي ساكنة ومتقدمة على صوت الدال المتحرك المجهور الانفجاري، فحدث بين الصوتين تنافر من الناحية الصوتية وذلك لصعوبة النطق بالسين المهموس أولاً ثم الانتقال للنطق بالدال المجهور، ولا يخفى أن الانتقال من المهموس إلى المجهور فيه من الصعوبة ما كان.

¹ - سيبويه: 477/4، 478.

² - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 231/3.

³ - الاسترلابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 231/3.

فحدث الإبدال لصوت السين - لتحقيق التجانس داخل البنية الصوتية - فاختر صوت الزاي ليكون بدلاً من السين في هذه البنية الصوتية؛ وذلك لما يمتاز به من ملامح، فالزاي يتوافق مع الدال في كونه مجهوراً مثلها، ويناسب السين لاشتراكه معها في المخرج وصفة الصفير.

وصفة الصفير هنا باعتبارها فضل صوت - كما نص على ذلك ابن الحاجب - هي التي مكنت السين من مقاومة التأثير الرجعي للدال المجهورة، فلم تستطع هي بدورها أن تقلبه إلى جنسها؛ لكنه أبدل إلى صوت يشبه السين في بعض خصائصه ولعل من أهمها الصفير.

وسكون السين - أي كونها مشكولة بالسكون - هو السبب الرئيسي في ضعفها وجعلها عرضة للإبدال. يقول الرضي: "ولم يبدلوا الدال كما في تاء افتعل... لأنها ليست زائدة كالتاء فتكون أولى بالتغيير، فغيروا الأولى لضعفها بالسكون بأن قربوها من الدال، بأن قلبوها زايًا خالصة"¹.

أما فيما يخص إبدال الزاي من السين الواقعة قبل القاف فقد تحدث الرضي عن هذه المسألة وحسمها بقوله: "وقبيلة كلب تقلب السين الواقعة قبل القاف زايًا كما يقلبها غيرهم صادقاً؛ وذلك لأنه لما تباين السين والقاف لكون السين مهموسة والقاف مجهورة أبدلوا زايًا، لمناسبة الزاي للسين في المخرج والصفير وللقاف في الجهر"².

ومثل هذا الإبدال لا يعدو أن يكون من قبيل التعدد اللهجي المنتشر في البيئة العربية.

- إبدال الزاي من الصاد:

تبدل الزاي من صوت الصاد، ولما كان هذان الصوتان ينتميان إلى فئة واحدة من الأصوات ألا

وهي الأصوات الصفيرية؛ سهل الإبدال بينهما.

ص + د ← ز + د

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 231/3.
² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 233/3.

وما قيل في إبدال السين من الزاي يمكن أن يقال هنا حيث يعود السبب لمثل هذا الإبدال إلى الرغبة في إحداث تجانس داخل البنية الصوتية للكلمة، وهذا لا يتحقق إلا بإبدال الصاد وهي الصوت المهموس الصغيري إلى الزاي المقاربة لها في المخرج والمتسمة بصفة الصغير مثلها والجهر مثل الدال.

ولكون الصاد قد وقعت ساكنة داخل هذه البنية هو ما جعلها عرضة للإبدال، يقول الرضي: "أما الإبدال فلأن الصاد مطبقة مهموسة رخوة وقد جاورت الدال بلا حائل من حركة وغيرها، والدال مجهورة شديدة غير مطبقة ولم يبدلوا الدال كما في تاء افتعل نحو: اصطبر لأنها ليست بزائدة كالتاء فتكون أولى بالتغيير، فغيروا الأولى لضعفها بالسكون، بأن قرئوها من الدال، بأن قلبوها زايًا خالصة، فتناسب الأصوات، لأن الزاي من مخرج الصاد وأختها في الصغير، وهي تناسب الدال في الجهر وعدم الإطباق"¹.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 231/3، 232.

إشمام الصاد والسين صوت الزاي:

تعتبر الصاد والسين من الأصوات المتقاربة جداً، فكلاهما ينتمي إلى المخرج الأسنان اللثوي، وكلاهما صوت صفيري مهموس احتكاكي، وليس ثمة من فارق بينهما إلا من ناحية الترقيق والإطباق فالسين صوت مرقق أما الصاد فهو صوت مطبق مفخم.

وفيما يخص أشراب الصاد والسين صوت الزاي نجد أن الصاد قد تشرب صوت الزاي؛ وذلك لكي لا تذهب صفة الإطباق نهائياً، أما السين فقد امتنع فيها ذلك بنص من ابن الحاجب بقوله: "وقد ضورع بالصاد الزاي دونها"¹.

وقد شرح الرضي قول ابن الحاجب الأنف الذكر فقال: "جعل الصاد مضارعاً للزاي، بأن ينحى بالصاد نحو الزاي دون السين أي لم تشم السين صوت الزاي، بل قلبت زايأً صريحة، لما ذكرنا من أنه لا إطباق فيه حتى يحافظ عليه"².

وقال في موضع آخر "ولا يجوز ههنا أن نشرب السين صوت الزاي، كما يفعل ذلك في الصاد، نحو: يصدر لأن في الصاد إطباقاً، فضارعوا لئلا يذهب الإطباق بالقلب وليست السين كذلك"³.

وخلص القول في موضوع الإبدال أنه يمكن تصنيفه تحت ثلاث فئات هي:

1. ما كان ناتجاً عن التعدد اللهجي وهذا يعود إلى البيئة العربية و ما كان منتشرًا فيها من

لهجات عدة ومثل هذا يطلق عليه الدرس الصوتي الحديث مصطلح (الديافون).

2. ما كان ناتجاً عن تأثير بعض الأصوات داخل السياق بغيرها عند تجاوزها، فالصوت قد يكون

في ذاته سهل النطق وهو مفرد لا يجاوره غيره من الأصوات، ولكن إذا جاور غيره أو وجد في

موضع خاص استلزم النطق به في هذا الموضع الخاص جهداً عضلياً أكبر؛ مما يؤدي إلى

¹ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 232/3.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 232/3.

³ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 231/3.

قلب هذا الصوت إلى صوت آخر. أي أن حدوث الإبدال هنا يكون تحت تأثير قوة المماثلة أو المخالفة وهما بطبيعتهما يهدفان إلى الاقتصاد في الجهد العضلي.

3. ما كان الإبدال فيه مرهوناً ببعض الشروط السابقة أو اللاحقة للصوت المبدل ومثل هذا النوع من الإبدال يندرج تحت ما يعرف حديثاً بمصطلح (الألوفون).

ثالثاً الإعلال:

يعتبر موضوع الإعلال من الموضوعات الرئيسية في علم الصرف التي اختلط فيها الدرس الصوتي بالدرس الصرفي بشكل جلي وواضح.

إذ لا يمكننا - حتى وإن عقدنا العزم - أن نفصل النظام الصوتي عن نظيره الصرفي عند دراستنا للإعلال، إذ لا بد لك من عقد المقارنات ودراسة التغيرات من الناحيتين.

والإبدال والإعلال مصطلحان يدل كل منهما على نوع تغيير تتعرض له الكلمة أو البنية العربية، إلا أن الإبدال أعم من الإعلال، لأنه يشمل حالات التبادل بين الأصوات الصحيحة والمعتلة.

أما الإعلال الذي هو فرع عن الإبدال فإنه يختص بما تتعرض له أصوات العلة من تغيرات بحلول بعضها محل بعض (إعلال بالقلب)، أو بسقوط العلة بكاملها (إعلال بالحذف)، أو بسقوط بعض عناصر صوت العلة (إعلال بالنقل)¹.

ونظراً لاختصاص الإعلال بأصوات العلة؛ قد أجرى علماء الصرف القدامى العديد من البحوث من أجل تعويد أصوات العلة فشقوا طريقاً واسعاً في هذا المجال، إلا أن هذا العمل قد شابه الكثير من الخلط؛ وذلك لأن موقف القدماء من حروف العلة قد ارتبط بشكل الكتابة.

حيث كانت لديهم ثلاثة أصوات ترسم بثلاثة رموز هي (الألف، الواو، الياء) مع ملاحظة أن رمزي (الياء، الواو) يعبران عن أربعة أصوات هي:

1. ياء المد.

2. ياء العلة.

3. واو المد.

4. واو العلة.

¹ - شاهين: 167.

فالواو والياء المعتلتان لا يكونان إلا حين تتراكب الحركات فتتسأ الحركة المزدوجة التي تؤدي إلى وجود الصوت الانتقالي¹.

فالحركة المزدوجة (a+i) تنتج الياء، والحركة المزدوجة (a+u) تنتج الواو ومثالهما:
بَيْت - قَوْم.

أما الواو والياء المديتين فمثالهما: يَقوم - يَقيم.

فالواو والياء هنا عبارة عن حركات طويلة يمكن تجزئتها إلى حركات قصار².

وسأتناول في هذا المبحث - إن شاء الله - المقصود من الإعلال وأنواعه والأصوات التي يكون فيها.

1. تعريف الإعلال:

لم يتعرض ابن الحاجب وشارح متنه الرضي الاسترلابادي إلى المعنى اللغوي لمصطلح الإعلال، بل نراهما قد اكتفيا بتعريفه من الناحية الاصطلاحية، وقبل أن نذكر التعريف الاصطلاحي للإعلال نعرض على تعريفه اللغوي كما ورد في تاج العروس.

تعريف الإعلال لغة:

الإعلال مصدر أَعَلَّ (والعلة، بالكسر) معنى يحل بالمحل فيتغير به حال المحل ومنه سمي (المرض) علة؛ لأن بحلوله يتغير الحال من القوة إلى الضعف.

(عَلَّ) الرجل (يَعِلُّ) بالكسر، عَلًّا فهو عليل، (واعتل) اعتللاً، (واعلّه الله تعالى) أي أصابه بعلة (فهو مَعَلٌّ وعليل ولا تقل معلول)³.

هذا فيما يخص المعنى اللغوي.

¹ - معنى الصوت الانتقالي: أن الواو أو الياء ذات طبيعة مزدوجة أي لها قابلية التحول إلى منصوت صانت طويل إلى صامت.

² - شاهين: 170.

³ - محمد مرتضى الزبيدي. تاج العروس من جواهر القاموس. تح: عبدالسلام أحمد فراج. (الكويت. وزارة الإرشاد والأنباء. 1965). ص47/30.

تعريف الإعلال اصطلاحاً:

عرفه ابن الحاجب بأنه "تغيير حرف العلة للتخفيف"¹.

وقد أوضح الرضي الإعلال بدوره فقال عنه: "أن لفظ الإعلال في اصطلاحهم مختص بتغيير حرف

العلة: أي الألف والواو والياء بالقلب، أو الحذف، أو الإسكان"².

والمقدمون عن ابن الحاجب أمثال سيبويه وابن جني لم يتعرضوا إلى تعريف الإعلال لغة واصطلاحاً.

أما المحدثون فقد عرفوا الإعلال بصيغ متعددة تدور جميعها في فلك واحد مع ما قاله القدامى وعلى

رأسهم ابن الحاجب وشارحه الرضي.

حيث عرفه عبدالقادر عبدالجليل بقوله: "الإعلال تغيير يلحق الأصوات المعتلة (الصائتة) الطويلة،

مما يتسبب في تغيير البنية اللغوية؛ حذفاً، أو قلباً، أو تسكيناً، وفقاً لضوابط وقوانين يحددها علم

القواعد"³.

أما عبدالصبور شاهين فقد عرفه بقوله: "ما يتعرض له أصوات العلة من تغييرات، بحلول بعضها

محل بعض، وهو ما يسمونه (الإعلال بالقلب)؛ أو بسقوط أصوات العلة بكاملها ويسمونه (الإعلال

بالحذف)؛ أو بسقوط بعض عناصر صوت العلة، وهو ما يسمونه (الإعلال بالنقل)"⁴.

في حين ذكره تمام حسان عند حديثه عن الظواهر السياقية فقال عنه: "الاعتلال وارد على حرف اللين

سواء أكان متحركاً أم ساكناً ولكن هذا الاعتلال يعرف لدى النحاة "بالإعلال" وموضوع الإعلال كما

رأينا هو الحرف اللين وهو الواو والياء (دون الألف) ويكون الإعلال في هذين الحرفين بإحدى طرق

ثلاث القلب،... النقل،.... الحذف"⁵.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 66/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 66/3، 67.

3 - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 60.

4 - شاهين: 167.

5 - حسان. اللغة العربية. 276.

وعُرف أيضاً بأنه "تغيير معين في حروف العلة ويكون: بحذف حرف العلة إعلال بالحذف... بحذف حركة حرف العلة، إعلال بالنقل... بقلب حرف العلة إلى حرف آخر إعلال بالقلب"¹.

¹ - علي بهاء الدين بوخود. المدخل الصرافي (تطبيق وتدريب في الصراف العربي). (بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1988). 163.

أحرف الإعلال عند ابن الحاجب وشارحه الرضي:

نص ابن الحاجب على أن أحرف الإعلال ثلاثة هي: الألف، والواو، والياء وذلك بقوله: "وحروفه الألف، والواو، والياء ولا تكون الألف أصلاً في المتمكن ولا في فعل ولكن عن واو أو ياء"¹. ويتفق معه الرضي فيما ذهب إليه فعند شرحه لكلام ابن الحاجب ذكر الرضي أن الألف والياء والواو هي الأصوات المعنية بالإعلال، وقد أخرج الهمزة من ذلك وما أبدل فيه حرف العلة بغير حرف علة. يقول الرضي: "حروف الإعلال تسمى الثلاثة - أي الألف، الواو، الياء - حروف العلة لأنها تتغير ولا تبقى على حال"².

ويقول أيضاً: "ولا يقال لتغيير الهمزة بأحد الثلاثة إعلال نحو: راس... بل يقال: أنه تخفيف للهمزة، ولا يقال أيضاً لإبدال غير حروف العلة والهمزة، نحو: هياك وعلج في إياك وعلي"³.

أما صاحب المعجم المفصل فقد جعل حروف الإعلال أربعة هي: الألف والواو والياء والهمزة حين قال: "الإعلال تغيير يطرأ على أحد حروف العلة (الألف، الواو، الياء) وما يلحق بها (الهمزة)"⁴. وتام حسان اقتصر على (الواو، الياء) وجعلهما فقط حرفي الإعلال فقال: "وموضوع الإعلال كما رأينا هو الحرف اللين وهو الواو والياء (دون الألف) ويكون الإعلال في هذين الحرفين بإحدى طرق ثلاث: القلب،... النقل،... الحذف..."⁵.

¹ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 66/3.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 67/3، 68.

³ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 67/3.

⁴ - راجي الأسمر. المعجم المفصل في علم الصرف. (بيروت. دار الكتب العلمية. 1993). ص 144.

⁵ - حسان. اللغة العربية. 276.

سبب الإعلال:

هذا فيما يخص أحرف الإعلال، أما ما يخص سبب الإعلال فهو لا يعدو أن يكون طلب الخفة. فتغيير هذه الحروف بعضها من بعض الغرض منه هو تحقيق أكبر قدر من السهولة في النطق للبنية اللغوية وقد نص على هذا الرضي بقوله: "وتغيير هذه الحروف لطلب الخفة ليس لغاية ثقلها بل لغاية خفتها، بحيث لا تحتل أدنى ثقل وأيضاً لكثرتها في الكلام؛ لأنه إن خلت كلمة من أحدها فخلوها من أبعاضها - أعني الحركات - محال، وكل كثير مستقل وإن خف"¹.

أقسام الإعلال عند ابن الحاجب:

جعل ابن الحاجب الإعلال ثلاثة أقسام هي (الإعلال بالحذف، الإعلال بالقلب، الإعلال بالتسكين). وقد نص على ذلك بقوله: "ويجمعه - أي الإعلال - القلب والحذف والإسكان"².

أولاً الإعلال بالقلب:

1. قلب الواو والياء همزة:

نكر ابن الحاجب الحالات التي تقلب فيها الواو والياء همزة، إلا أنه لم يذكرها مرتبة أو متتالية عند عرضه لها داخل باب الإعلال. وقد سبق أن أشار ابن الحاجب إلى حالات قلب الواو والياء همزة وذلك عند حديثه عن مواطن إبدال الهمزة فقال: "والهمزة تبدل من حروف اللين... فمن اللين إعلال لازم في نحو: كساء ورداء وقائل وبياع وأواصل"³.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 68/3.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 66/3.

³ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 203/3.

وقد تم جمع ما نص عليه ابن الحاجب وشارحه الرضي فيما يخص هذا النوع من الإعلال في خمس قواعد هي:

1. إذا اجتمعت واوان في أول الكلمة نحو: أوصل، وأول، فإن الواو تقلب همزة كما قال ابن الحاجب: "تقلب همزة لزوماً في نحو: أوصل، وأوصل، والأول؛ إذا تحركت الثانية، بخلاف ووري، وجوازاً في نحو: أجوه، وأورى"¹.

2. تقلب الواو والياء همزة إذا تطرفتا بعد ألف زائدة نحو: كساء ورداء قال ابن الحاجب: "وتقلبان همزة إذا وقعتا طرفاً بعد ألف زائدة نحو: كساء، رداء ويعتد بتاء التأنيث قياساً نحو: شقاوة، وسقاية، ونحو: صلاة وغطاء وعباءة شاذ"².

3. أن تقع إحداهما عيناً لاسم فاعل من فعل ثلاثي أعلنت فيه مادامت العين في مكانها.

يقول ابن الحاجب: "وتقلبان همزة في نحو: قائم وبائع المعتل فعله بخلاف عاور ونحو: شاكٍ وشاكٌ شاذ"³.

4. أن تقع إحداهما ثاني حرفين عليين بينهما ألف الجمع الأقصى الذي بعد ألفه حرفان سواء أكان العليلان يائين أو واوين أو مختلفين.

قال ابن الحاجب: "وفي نحو أوائل وبوائع مما وقعتا فيه بعد ألف باب مساجد وقبلها واو أو ياء"⁴.

5. أن تقع إحداهما بعد ألف مفاعل، وقد كانت مدة زائدة في المفرد مثل: عجائز، وصحائف⁵.

وإليك شرح وتوضيح كل حالة من الحالات السابقة على حدى وبيان التحليل الصرفي والمقطعي لها في الدرس الصوتي الحديث، ومدى اختلاف وجهات النظر بين الدرس الصوتي الحديث وبين ابن الحاجب وشارحه الرضي.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 204/3، 176.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 173/3، 203، 204.

³ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 127/3.

⁴ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 127/3.

⁵ - شاهين: 176.

القاعدة الأولى:

وهي اجتماع واوين في أول الكلمة

ومثالها: أوصل — أصلها — ووَاصل

أول — أصلها — وول

وقد قرر ابن الحاجب في كيفية التعامل مع هاتين الواوين أنه لا بد من قلب الواو الأولى همزة؛ وذلك للتخلص من الثقل الناتج من اجتماع واوين في بداية الكلمة، ولتحقيق الخفة والسهولة عند نطق أي بنية لغوية.

يقول ابن الحاجب: "تقلب الواو همزة لزوماً في نحو: أوصل... والأول إذا تحركت الثانية"¹.

أما فيما يخص استئقال اجتماع المثلين في أول الكلمة فقد قال عنه الرضي: "أعلم أنهم استئقلوا اجتماع المثلين في أول الكلمة، فلذلك قل نحو: ببروددن فالواوان إذا وقعتا في الصدر - والواو أثقل حروف العلة - قلبت أولاهما همزة وجوباً"².

وقد ورد مثل هذا القول عند سيبويه في كتابه تحت باب ما كانت الواو فيه أولاً وكانت فاءً فقال: "وإذا التقت الواوان أولاً (أبدلت) الأولى همزة، ولا يكون فيها إلا ذلك، لأنهم لما استئقلوا التي فيها الضمة فأبدلوا، وكان ذلك مطرداً... لم يجعلوا في الواوين إلا البديل لأنهما أثقل من الواو والضمة"³.

وقد ذكر هذا أيضاً ابن جني عند حديثه عن الهمزة ووقوعها بدلاً فقال: "وقد أبدلت الواو همزة بدلاً مطرداً إذا انضمت ضمماً لازماً... وإذا التقت واوان في أول الكلمة لم يكن من همز الأولى بد وذلك نحو: (الأولى) أصلها (وؤلى)"⁴.

أما الدرس الصوتي الحديث فإنه ينظر إلى هذه الأمثلة:

1 - الاسترأبأذي . شرح شافية ابن الحاجب. 76/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 76/3.

3 - سيبويه: 333/4.

4 - ابن جني. سر الصناعة. 98/1.

أواصل ← أصلها ← وواصل

أول ← أصلها ← وول كآلاتي:

وقعت الواو في هذين المثالين في بداية المقطع، والواو - كما أوضحنا سابقاً - صوت نو طبيعة مزدوجة أو لنقل أنه نصف حركة، ولما وقع هذا الصوت في بداية المقطع والعربية تتجنب البدء بحركة مزدوجة؛ لما يترتب على ذلك من صعوبة¹، كما أن البدء بنصف الحركة يتسبب في ضعف المقطع، جيء بالهمزة في موقعها هذا تصحيحاً لبداية المقطع حتى يصير عربياً سليماً.

وقد علل عبدالقادر عبدالجليل مثل هذا القلب بقوله: "ولعل في هذه الشواهد رؤية صوتية تكمن في أن الواو الأولى صوت انتقالي متبوع بصائت قصير، والواو الثانية صوت انتقالي متبع بصائت طويل، وكلا الصائتين من جنس واحد وأصلهما (الفتحة) مما يؤدي إلى تركيب حركي مزدوج القيمة الصوتية، وهذا يتطلب صوت الهمزة بغية تصحيح المسار الصوتي وتحقيق عامل النبر الوظيفي"².

القاعدة الثانية:

وهي قلب الواو والياء همزة إذا تطرفتا بعد ألف زائدة ومثالها:

كساء ← أصلها ← كساو

رداء ← أصلها ← رداي

حيث وقعت كل من الواو والياء وهما نصفاً حركة في نهاية المقطع وقبلهما فتحة طويلة، وهذا قد جعل المقطع من النوع المتمم بتتابع صوتي من شأنه إضعاف النظام المقطعي وهذا التتابع هو (saaw) (daay).

وبناءً على هذا استبدلت الهمزة بالواو والياء؛ وذلك للهروب من تتابع الحركات ومن تم تكوين مقطع عربي سليم مقفل بصوت صامت هو الهمزة؛ وذلك تجنباً للوقف على مقطع مفتوح هو

¹ - شاهين: 178.

² - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 427، 428.

(ص ح ح ص ح) غير الموجود بين مقاطع العربية، وبإفقال المقطع بالهمزة يكون لدينا مقطع مألوف من مقاطع العربية هو (ص ح ح ص)¹ نتحصل عليه حالة الوقف على الهمزة، وعلى مثل هذا النوع من المقاطع يقع النبر حالة وقوعه آخر مقاطع الكلمة²، وبقلب الواو في (كساو) والياء في (رداي) همزة تجنب الناطق ختم المقطع بنصف الحركة الذي يعتبر في الأصل ضعيفاً، وازداد ضعفه لوقوعه في نهاية المقطع، فالصوت عند وقوعه نهاية المقطع يكون أضعف من وقوعه في بداية المقطع، يقول ابن جني في سبب كون الصوت المبتدأ به هو الأقوى: "فلما اعتزموا النطق بهما قدموا أقواهما لأمرين: أحدهما أن رتبة الأقوى أبداً أسبق وأعلى؛ والآخر أنهم يقدمون الأثقل ويؤخرون الأخف من قبل أن المتكلم في أول نطقه أقوى نفساً وأظهر نشاطاً فقدم أثقل الحرفين"³.

وإن كان قول ابن جني هذا في معرض حديثه عن الصوتين المتقاربين عند اجتماعهما أيهما يقدم، إلا أنني استدلت به على أن الناطق يكون في ذروة نشاطه في بداية كلامه وهذا يتطلب اتسام بداية مقطعه بالقوة؛ وذلك من خلال تواجد صوتاً من الأصوات القوية في هذا الموقع.

القاعدة الثالثة، والرابعة، والخامسة:

تتشابه هذه القواعد الثلاث في أنها جميعاً قد وقعت فيها كل من (الواو والياء) بداية للمقطع مسبقة بمقطع من النوع الطويل المفتوح (ص ح ح)⁴.

فيكون النسيج المقطعي للأمتلة:

قاول: qaa/wil

أواول: a/waa/wil

صحايف: sa/haa/yif

¹ - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 307، 308.

- أنيس: 163.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 358، 359.

³ - ابن جني. الخصائص. 55.

⁴ - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 102.

وهنا من خلال هذه الأمثلة يتضح لنا أن مثل هذا النسيج قد اشتمل على تتابع الحركات الذي من شأنه أن يضعف المقطع ويجعل في نطقه شيئاً من الصعوبة والنقل.

فالمقطع الأخير ابتداءً بحركة مزدوجة بعد حركة طويلة، وهذه الحركات أصوات ذات طبيعة انطلاقية يمكن أن ينتهي بها المقطع في الكلام المتصل أما إذا وليها في الكلمة نفسها عدة أصوات انطلاقية أخرى لم تتكون لدينا صورة مقطعية لأن المقاطع تعتمد في تقسيمها على ما تحويه الكلمة من دفعات هوائية ناتجة عن تأثير ضغط الحجاب الحاجز على الرئتين ضغطاً متفاوتاً وعلى ضوء هذا التفاوت يتحدد بداية المقطع ونهايته.

وتتابع الأصوات الانطلاقية (المد والعللة) في بنية الكلمة لا يُشكل المقطع لأننا في هذه الحالة نواجه صعوبة في تحديد بداية المقطع من نهايته ولذلك يضعف تركيب المقطع على هذه الصيغة فأعلنت (الواو، والياء) في هذه الأبنية وحلت محلها الهمزة النبرية كوسيلة صوتية لتصحيح المقاطع¹، وبهذا تكون بداية المقطع متممة بالقوة لأن الناطق يكون في ذروة نشاطه الكلامي.

2. قلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء:

ومسائل هذا القلب عكس ما سبق ذكره، فالهمزة وهي صوت صامت شديد نبري تقع هنا موقع التأثير والتغيير والقلب والإبدال بعد أن كانت فيما سبق ذكره هي العنصر القوي الفعال المؤثر في غيره من الحركات وأنصاف الحركات.

وقلب الهمزة إلى ألف أو واو أو ياء تعرض له ابن الحاجب في موضوع الإبدال عند حديثه عن مواطن إبدال كل منها على حدى، وقد أرجأت عند تناولي لموضوع الإبدال طرح المسائل المتعلقة بالحركات وأنصافها حتى يتسنى لي عرضها في موضعها داخل موضوع الإعلال، وبذلك أتجنب التكرار والحشو الذي لا يسمن ولا يغني من جوع في مثل هذا البحث العلمي.

¹ - شاهين: 174 - 177 بتصرف.

وقلب الهمزة إلى أحد أصوات العلة يقع في ثلاث نقاط هي:

أ). أن تقلب الهمزة إلى أحد أصوات العلة، وهذا القلب يتحدد بناءً على حركة الهمزة وحركة ما قبلها، إذ يلزم ليتم مثل هذا النوع من القلب أن تكون الهمزة ساكنة فتقلب إلى صوت علة من جنس حركة ما قبلها، ومثل هذا القلب يندرج تحت باب (تخفيف الهمزة)، وتخفيف الهمزة هو ما عليه أكثر الحجازيين ولاسيما قریش الذين نزل القرآن بلغتهم، أما تحقيق الهمز الذي يعتبر هو الأصل وعليه عامة العرب فهو من أهم السمات التي تميز لهجة تميم عن لهجة قریش، وقد وصف الرضي هذا القلب بأنه "غير لازم إلا عند أهل الحجاز"¹، وقد أفرد ابن الحاجب في شافيته باباً خاصاً للحديث عن ظاهرة (تخفيف الهمز)² التي كانت تعتبر مظهراً من مظاهر التعدد اللهجي الذي كان يسود بيئة شبه الجزيرة العربية، وقد أطلق المحدثون على مثل هذا التنوع اللهجي مصطلح (الديافون).

ب). تقلب الهمزة صوت علة وجوباً إذا وقعت بعد ألف الجمع الأقصى (مفاعل)، بشرط أن تكون الهمزة عارضة وأن تكون لام الجمع إما همزة أو واو أو ياء.

ج). تقلب الهمزة صوت علة حالة اجتماع همزتين في كلمة واحدة، والإعلال في هذه الحالة يقع على الهمزة الثانية لأنها محل الثقل المفرط الداعي إلى التخفيف والإعلال. وقد نص ابن الحاجب على هذا بقوله: "والألف من أختيها والهمزة".

وأوضحه الرضي بقوله: "وفي نحو آدم لازم"³.

وكذلك قوله: "والياء من أختيها ومن الهمزة" ووضحه الرضي بقوله: "ومن الهمزة هو واجب في نحو:

إيت"⁴.

1 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 209/3.

2 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 32/3.

3 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 208/3، 209.

4 - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 209/3، 210.

وقوله: "والواو من أختيها ومن الهمزة" وأوضحه الرضي فقال: "قوله ومن الهمزة: وجوباً في نحو: أمن"¹.

وتعتبر الحالتان (ب - ج) هما الداخلتان تحت ما نحن بصدد دراسته في موضوع الإعلال، وسأبدأ بتفصيل هاتين الحالتين على النحو الآتي:

أ. باب اجتماع همزتين متواليتين في كلمة واحدة:

عند اجتماع همزتين في كلمة واحدة فإن الأمر لا يخلو - فيما يخص حركة الهمزتين - من

أن يكون على أحد أربع صور عقلية ممكنة هي:

- أن تكون الأولى متحركة والثانية ساكنة.
- أن تكون الأولى ساكنة والثانية متحركة.
- أن تكونا متحركتين.
- أن تكونا ساكنتين.

ومن المتفق عليه أن الصورة الأخيرة لا وجود لها في العربية؛ إذ يستحيل أن يجتمع صوتان

ساكنان مع بعضهما بشكل متعاقب أحدهما تلو الآخر.

أما الحالات الأخر فإننا سنوضحها ونفسرها من وجهة نظر الدرس الصوتي الحديث:

الحالة الأولى:

تحرك الأولى وسكون الثانية

يرى الصرفيون أنه في حال تحركت الهمزة الأولى بإحدى الحركات الثلاثة (الفتحة، الضمة،

والكسرة) وسكنت الثانية وجب قلب الهمزة الثانية الساكنة صوت علة من جنس حركة ما قبلها فتكون

(ألفاً أو واواً أو ياءً).

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 213/3، 215.

ومثال ذلك:

آمن ← أصلها ← أؤمن ← تقلب ← آمن
 أومن ← أصلها ← أؤمن ← تقلب ← أومن
 إيمان ← أصلها ← إيمان ← تقلب ← إيمان

فبالنظر إلى الأمثلة السابقة نجد أن الهمزة الثانية الساكنة قد سقطت وعض عنها بإطالة الحركة القصيرة قبلها؛ لأن اجتماع الهمزتين يستثقل وذلك لصعوبة النطق بالهمزة وخاصة حالة كونها محققة، وقد نص على ذلك إبراهيم أنيس فقال: "ولاشك أن انحباس الهواء عند المزمارة انحباساً تاماً ثم انفراج المزمارة فجأة عملية تحتاج إلى جهد عضلي قد يزيد على ما يحتاج إليه أي صوت آخر مما يجعلنا نعد الهمزة أشق الأصوات"¹.

وقال في موضع آخر "وقد مالت اللهجات... إلى تخفيف الهمزة والفرار من نطقها محققة، لما تحتاج إليه حينئذ من جهد عضلي"².

وبهذا القلب تغير النسيج المقطعي للكلمة، حيث تحول المقطع الأول للكلمة من مقطع طويل مغلق (ص ح ص) إلى مقطع طويل مفتوح (ص ح ح).

وهذا يتضح جلياً من خلال الكتابة الصوتية للأمثلة:

aa /man → a /man
 uu /min → u /min
 ii /maan → i /maan

ويعتبر التغيير الذي حدث في نوع المقاطع إنما هو من باب التعويض الإيقاعي؛ وذلك للمحافظة على كمية المقطع بغض النظر عن نوعه.

¹ - أنيس: 90.
² - أنيس: 90.

فالمقاطع في الحالتين من النوع الطويل ولكنه في الحالة الأصلية مقفل (ص ح ص) وفي الحالة البديلة مفتوح (ص ح ح)، ولما كانت كمية الأصوات واحدة في المقطعين ثبت الإيقاع وتحقق المراد¹.

ومن خلال عرض التحليل الصوتي الحديث لمثل هذا القلب يتضح لنا تهاوي قاعدة الصرفيين القائلة بقلب الهمزة ههنا إلى أحد أصوات العلة (الألف، الواو، الياء)، حيث أتضح لنا أنها قلبت إلى حركة قصيرة هي (الفتحة، الضمة، الكسرة) فكانت هذه الحركات مع الحركة السابقة عليها والمجانسة لها حركة طويلة، وبدقة أكبر يمكننا أن نقول أننا عوضنا عن الهمزة بإحدى هذه الحركات المجانسة للحركة السابقة عليها.

وهذا التعويض الغرض منه هو المحافظة على الإيقاع الذي هو جوهر عمليات التعريف للبنية العربية².

الحالة الثانية:

أن تكون الأولى ساكنة والثانية متحركة

ويكون ذلك عند وقوع الهمزتين في موضع العين، ويستحيل وقوعه موضع الفاء لتعذر النطق بالساكن ابتداءً، ويرد هذا في صيغة (فعال) من مهموز العين مثل (سائل). حيث تضعف العين في صيغة المبالغة منه فيقال: (سأل) ← (سأأل) فتدغم الهمزتان، وهنا لا يوجد أي تغيير في نطق الهمزة سواء وصف نطقها بالإدغام أو لم يوصف، لأن النسيج المقطعي للكلمة يظل كما هو أدغمت الهمزة أو لم تدغم.

¹ - شاهين: 182، 183.

² - شاهين: 183.

فكلمة (سأل) تتكون من مقطعين هما (ص ح ص) وهو مقطع من النوع الطويل المغلق بحركة قصيرة، و (ص ح ح ص) وهو مقطع من النوع الطويل المغلق بصامت في الحالتين سواء أَدغَمنا أو لم ندغم.

وقد ترد الهمزتان ساكنة فمتحركة في موضع اللام إلا أنها تأتي في أمثلة مصنوعة تخيلها الصرفيون من باب الصرف الافتراضي.

الحالة الثالثة:

أن تكون الهمزتان متحركتين

ولها ثلاث صور:

1. أن تكون الهمزتان مفتوحتين (أءادم).
2. أن تكون الأولى مفتوحة والثانية مكسورة (أئمة).
3. أن تكون الأولى مضمومة والثانية مفتوحة (أأيدم).

وهنا في هذه الأمثلة اجتمعت همزتان متواليتان لا يفصل بينهما سوى حركة قصيرة، فاستثقل هذا التكرار فعمل الناطق على تخفيف هذا الثقل فقلب الهمزة الثانية إلى نصف حركة، فأدى هذا القلب إلى تسهيل النطق فأصبحت الأمثلة على النحو الآتي:

أءادم ← أءادم

أئمة ← أئمة

أأيدم ← أأيدم

كما أن هذا القلب قد حصل من خلاله مخالفة بين الأصوات المتجاورة؛ وذلك للابتعاد عن الصعوبة الناجمة من تكرار الصوت الواحد وتحقيق الاقتصاد في الجهد العضلي، وبسقوط الهمزة الثانية من

الكلام وترك حركتها وراءها يلتقي صوتا لين قصيران هما (حركة الهمزة الأولى وحركة الهمزة الثانية الساقطة من الكلام) فينتج عن التقائهما صوت لين انتقالي.

فتكون الياء في نحو: أيمة مثلاً. نتيجة للانزلاق بين الفتحة والكسرة، وهذا الانزلاق قد حافظ على إيقاع الجمع بوزنه المراد¹.

كذلك هو الحال مع (أويدم) حيث اتصلت الضمة بالفتحة فكانت الواو.

أما فيما يخص (أءادم) ← تقلب ← أوادم فإنه ليس من باب قلب الهمزة واواً، لأن كلمة (أءادم) ما هي إلا جمع كلمة (آدم) على مثال (خاتم ← بزنة ← فاعل) تجمع على (فواعل) فيكون جمعها عندها (أوادم) على زنة (فواعل).

وبهذا تتضح أن الواو هنا ما هي إلا واو صيغة الجمع وليست بدلاً من الهمزة².

ب. وقوع الهمزة بعد ألف الجمع الأقصى (مفاعل):

إذا وقعت الهمزة عارضة في الجمع وكانت لام الجمع همزة أو ياء أو واو فإن هذه الهمزة

تقلب حرف علة. وقلبها إلى ياء يكون في ثلاثة مواضع هي:

- عندما تكون لام الجمع همزة أصلية نحو (خطيئة - خطايا).
- عندما تكون لام الجمع ياء نحو (قضية - قضايا).
- عندما تكون لام الجمع واواً مدغمة في ياء عند الأفراد نحو (مطية - مطايا).

فكلمة (خطيئة) جمعها (خطايا) حيث وقعت بين لام الكلمة وهي (الهمزة) وبين ألف الجمع (مفاعل) الياء (خطايئ)، فأبدلت هذه الياء همزة فصارت (خطائئ) بهمزتين فقلبت الهمزة الثانية ياء لاجتماع همزتين في الطرف فصارت (خطائي)، ثم قلبت حركة الهمزة وهي الكسرة فتحة وذلك طلباً للخفة (خطائي).

¹ - شاهين: 184.
² - شاهين: 183، 184.

ولما تحركت الياء وكان ما قبلها مفتوحاً قلبت ألفاً فكانت (خطاء) وحين وقعت الهمزة بين ألفين قلبت ياء فصارت (خطايا).

ومثل هذا أيضاً (قضايا) وخطواتها كالآتي:

قضائي ← قضائي ← قضاء ← قضايا

وكذلك الحال مع (مطايا) فخطواتها:

مطايو ← مطائو ← مطائي ← مطائي ← مطاي ← مطايا

أما قلبها - أعني الهمزة - وأواً فإنه يقع عندما تكون لام الكلمة في المفرد وأواً سالمة من الإعلال مسبوقة بألف ثالثة زائدة مثل (هراوى) حيث تقلب الواو همزة بعد الخطوات الآتية:

هراؤو ← هراؤي ← هراؤي ← هراؤي ← هراؤي¹.

وكل هذه الخطوات أو الأعمال قد تخيلها الصرفيون فعذبوا أنفسهم وعذبوا الدارسين معهم في تصور كل هذه المراحل وافترضوها.

فبالنظر إلى هذه الكلمات من خلال تصريفاتها المتعددة نجدها ليس لها علاقة بالهمزة، بالإضافة إلى أننا لماذا نلزم أنفسنا بأن نجمع مثل هذه الكلمات على وزن (مفاعل)، فالأيسر لنا أن نقول أن وزنها على (فعالي) (كصحاري)، وبهذا نتفادى كل هذه المراحل الافتراضية التي لا فائدة من وراءها إلا إتقال كاهل المتعلمين.

3. قلب الألف همزة:

نص الرضي في شافيته على أن الألف وهي (الفتحة الطويلة) تقلب همزة حالة وقوعها بعد ألف

الجمع وكونها في المفرد مدة زائدة، وقد مثل لها بنحو: رسائل فقال: "وأما الهمزة في نحو: رسائل فبديل

من الألف التي في الواحد لا من الألف المنقلبة عن الواو والياء"¹.

¹ - الاسترآبادي. شرح شافية ابن الحاجب. 102/3.

ويرى الرضي أن السبب في قلب هذه الألف إلى همزة هو كونها ساكنة وقعت بعد ألف الجمع الساكن أيضاً، ولما امتنع قلبها واواً أو ياءً لأنها ليست منقلبة عنها أصلاً، وامتنع تحريك الألف قلبت همزة؛ وذلك لكون الهمزة أنسب الأصوات للألف لاشتراكهما في المخرج الحلقى.

غير أن ما ذهب إليه الرضي من كون الهمزة هي أنسب الأصوات إلى طبيعة الألف (الفتحة الطويلة) فيه شيء من عدم الدقة.

فالمحدثون قد أثبتوا أن طبيعة صوت الهمزة تختلف كلياً عن الأصوات الصائتة ولاسيما الألف، فالهمزة من الناحية الصوتية صوت صامت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة لانغلاق الوترين الصوتيين تماماً ثم انفتاحهما بشكل انفجاري.

في حين نجد الألف من الأصوات الصائتة التي تمتاز بطبيعتها الانطلاقية، وعدم وجود حوائل أو حواجز تعترض مجراها عند نطقها.

يقول عبد الصبور شاهين في هذا الصدد: "ولكن القدماء لم يستطيعوا الفكاك من ارتباط الهمزة بالألف، فإذا هم يجعلون الهمزة تارة حرف علة، وتارة شبيهة بالعلة مع أنها صوت صامت، ومن ثم اضطرب علاجهم لكل مسائل الهمزة - في علاقاتها بأصوات المد، والعلة كما اضطرب علاجهم لمسائل أحرف المد وعلاقاتها بأحرف العلة - نتيجة الاشتراك في الرموز"¹.

أما المحدثون والدرس الصوتي الحديث فيرون أن السبب في هذا القلب راجع إلى تكوين المقطع في اللغة العربية.

فالنسيج المقطعي لكلمة (رسائل) بعد القلب يختلف عنه قبل القلب حالة كون الكلمة (رسال)، حيث تتكون الكلمة البديلة - أي بعد القلب - من ثلاثة مقاطع هي:

ر/سا/ئل ← (ص/ح/ص ح/ح ص ح/ص) ra/saa/il

¹ - شاهين: 171.

في حين تتكون الكلمة الأصلية من ثلاثة مقاطع أيضاً هي:

رسال ← ر/سا/ال ← (ص/ح ص ح/ح ح ص) ra/saa/aal

والملاحظ أن عدد المقاطع متساوية هنا فكلا الكلمتين تحتوي على ثلاثة مقاطع، إلا أن الفرق يكمن في تكون المقطع الثالث في كل كلمة، فهو في الكلمة الأصلية (ح ح ص) أي أن هذا المقطع يبدأ بصائت طويل وهو الألف (الفتحة الطويلة)، فترتب على هذا ابتداء المقطع بصوت صائت وليس بصوت صامت وهذا مما لا تجيزه العربية في تكوين مقاطعها.

وقد نص على هذا تمام حسان بقوله: "أن الحروف الصحيحة تكون بداية للمقطع في اللغة العربية ولا تكون العلل كذلك"¹.

وبوجود هذا المقطع داخل بنية الكلمة أصبح لدينا مقطع غير صحيح وغير مدرج بين مقاطع العربية مسبقاً بفتحة طويلة، مما أحدث نوعاً من التتابع الحركي الذي من شأنه إضعاف المقطع، فعمد الذوق العربي السليم إلى إبدال الألف (الفتحة الطويلة) إلى همزة؛ وذلك حتى يتكون لدينا مقطع مألوف داخل العربية فأصبح المقطع الثالث للكلمة عبارة عن (ص ح ص)، وبالتالي يكون التحليل الصوتي الحديث لمثل هذا الإعلال على أنه وسيلة للهروب من تتابع الحركات ومن ثم تكوين مقطع عربي سليم².

4. قلب الواو ياء:

تقلب الواو ياء في مواضع عدة، ويقع هذا القلب حشواً وطرفاً، في الواو الزائدة والأصلية، فاءً أو عيناً أو لاماً، ولعل هذا القلب راجع إلى أن الواو أثقل أصوات العلة لذا تتحيل الفرص لقلبها متى شُعر بتقلها المفرط.

¹ - حسان. اللغة العربية. 69.

² - شاهين: 175.

وقد ذكر ابن الحاجب الحالات التي تقلب فيها الواو ياء، وهذه الحالات قد جاءت متناثرة داخل الشافية فتم جمعها ليسهل تناولها بالشرح والتحليل من منظور الدرس الصوتي الحديث وهذه الحالات هي:

1. تقلب الواو ياء إذا كانت ساكنة غير مدغمة وقبلها كسرة مثل: ميزان

يقول ابن الحاجب: "وتقلب الواو ياء إذا انكسر ما قبلها" نحو: ميزان وميقات¹.

2. تقلب الواو الواقعة عيناً لمصدر أعلت في فعله مسبوقة بكسرة معقوبة بألف نحو: قياماً "وتقلب

الواو المكسور ما قبلها في المصادر ياء نحو: قياماً"².

3. تقلب الواو ياء إذا اجتمعت مع الياء وسكن السابق منهما.

"وتقلب الواو عيناً أو لاماً أو غيرهما ياء إذا اجتمعت مع ياء وسكن السابق"³.

4. تقلب الواو المتحركة المكسور ما قبلها الواقعة لاماً أو رابعاً فصاعداً ولم ينضم ما قبلها ياء.

"تقلب الواو ياء إذا وقعت مكسوراً ما قبلها أو رابعة فصاعداً ولم ينضم ما قبلها كدُعي ورُضي

الغازي"⁴.

5. أن تقع لاماً لاسم مفعول من الثلاثي مكسور العين.

"وما كان القلب فيه أولى ويجوز تركه: فهو كل مفعول ليس الضمة فيه على الواو، ولكنه من باب

فَعِل بالكسر نحو: مرضي فإنه أكثر من مرضو"⁵.

6. تقلب الواو الواقعة لاماً لفعل جمعاً ياء.

"فما يجب فيه قلبها... جمع فعول كجاث وجثي وعصا وعُصي"⁶.

7. تقلب الواو الواقعة لاماً لصيغة (فعلى) وصفاً.

"وتقلب الواو ياء في فعلى... كالدنيا والعليا"¹.

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 83/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 137/3.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 139/3.

4 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 160/3.

5 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 171/3.

6 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 170/3، 171.

واليك تفسير هذه الحالات من الناحية الصوتية الحديثة:

الحالة الأولى:

ومثالها: ميزان ← أصلها ← مؤزان

mii/zaan ← miw/zaan

وقعت الواو باعتبارها نصف حركة ساكنة في نهاية المقطع مسبقة بكسرة فكونت الواو مع الكسرة

حركة مزدوجة (iw)، فتم اختصار هذه الحركة المزدوجة إلى أحد عنصريها.

فقلبت الواو هنا وهي حرف علة إلى حركة بسيطة هي الكسرة، ثم اتحدت هذه الكسرة مع سابقتها

فكونتا حركة طويلة هي (ياء العلة) (ii).

وهكذا يتضح لنا أن الواو لم تبدل ياء بل أبدلت كسرة ثم اجتمعت كسرتان فكونتا صائناً طويلاً هو

ياء العلة، والإبدال بين أصوات العلة والحركات جائز ومقبول في منهج التحليل الصوتي الحديث؛

وذلك لما بينهما من علاقة صوتية قوية، وبهذا التغيير الذي لجأت إليه اللغة للتخلص من الصعوبة

الموجودة في البنية؛ أصبح الانسجام والتجانس بين الأصوات المتجاورة هو سيد الموقف.

كما أن هذا التغيير قد أثر على النسيج المقطعي للكلمة من حيث أنواع مقاطعها، فكلمة (موزان)

مكونة من مقطعين هما:

(ص ح ص) (ص ح ص) المقطع الأول فيهما طويل مغلق².

قد تغير هذا المقطع في كلمة (ميزان) إلى: مقطع طويل مفتوح³.

(ص ح/ص ح ص).

الحالة الثانية:

ومثالها: قِيَام ← أصلها ← قِوَام

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 177/3.

2 - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 102.

3 - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 102.

الملاحظ هنا أن الواو وقعت مسبوقة بكسرة مثلوه بفتحة طويلة، فحدث تتابع حركي ثلاثي مكون من (الكسرة، والواو، والفتحة الطويلة) ولما كان الذوق العربي يأبى مثل هذا التتابع الحركي داخل مقاطعه عمد هنا إلى اختصاره - أي توالي الحركات الثلاثة - بإسقاط إحداهن وهي الواو؛ وذلك لما ينتج عن اجتماع (كسرة، واو، فتحة طويلة) من صعوبة تكلف المتكلم جهداً عضلياً كبيراً بسبب صعوبة النطق بالضمة بعد الكسرة؛ لأنه يترتب على ذلك انتقال اللسان من المنطقة الأمامية من الحنك الأعلى وهي منطقة تكون (الكسرة)، إلى منطقة خلفية من الحنك وهي منطقة تكون (الضمة)¹.

وبناءً على هذا تم قلب الواو (نصف الحركة) إلى نصف حركة مجانس للحركة السابقة للواو وهي الكسرة فقلبت الواو ياء يقول الرضي: "لأن كون الواو بين الكسرة والألف كأنه جمع بين حروف العلة الثلاثة فيقلب أثقلها: أي الواو إلى ما يجانس حركة ما قبلها: أي الياء"².

الحالة الثالثة:

ومثالها: سيّد ← أصلها ← سيّود

وقعت الواو والياء في هذا المثال وهما نصفاً حركة متجاورتين دون أن يفصل بينهما فاصل، وهذا التجاور قد جعلهما ينتميان إلى مقطعين مختلفين، حيث وقعت الياء نهايةً للمقطع الأول والواو بدايةً للمقطع الثاني. وكلا المقطعين طويل مغلّق بحركة قصيرة.

سيود ← say/wid

(ص ح ص/ص ح ص)

وبوقوع الواو مجاورة للياء حدث تتابع، وهذا من شأنه أن يجعل التركيب أكثر صعوبة، حيث وقعت الواو مكسورة إثر ياء ومن المعلوم أن الواو تعد من أثقل أصوات العلة "والواو أثقل حروف العلة"³،

¹ - أنيس: 36.

فالكسرة تتكون باتجاه وسط اللسان نحو الحنك في حين تتكون الضمة باتجاه مؤخر اللسان نحو الحنك. عمر. دراسة الصوت اللغوي. 151.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 138/3.

³ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 76/3.

وازداد ثقلها باجتماعها مع الياء ولذلك تم إحداث انسجام بين أصوات الكلمة المتجاورة فقلبت الواو ياء في هذا المثال وغيره؛ نظراً لخفة الياء إذا ما قورنت بالواو ثم أدغمت الياءان.

يقول الرضي: "قلب الواو إلى ياء سواء تقدمت الواو أو تأخرت وإن كان القياس في إدغام المتقاربين قلب الأول إلى الثاني وإنما فعل ذلك ليحصل التخفيف المقصود لأن الواو والياء ليستا بأثقل من الواو المضعفة"¹.

الحالة الرابعة:

مثالها: رُضي

الغازي

وقعت الواو هنا متطرفة في (رُضيّ) مكسوراً ما قبلها، ورابعة لم ينضم ما قبلها في (الغازي). وبوقوعها طرفاً فإنها تمثل نهاية المقطع الأخير من الكلمة، وهذا المقطع قد اجتمعت فيه حركة ثنائية هي (iu) مما جعله صعباً في النطق لاشتماله على هذه الحركة المزدوجة. ولما كان سلوك اللغة يفر من الحركة الثلاثية إلى الثنائية ومن الثنائية إلى الحركة الواحدة؛ لأن ذلك من شأنه أن يجعل النطق بالكلمة من أيسر ما يكون²، عمد الناطق إلى قلب الواو الواقعة طرفاً إلى حركة أخف منها ومناسبة للحركة السابقة لها فاختيرت الياء لتوافر الشروط فيها. وبهذا التعديل الذي أجري على بنية الكلمة أصبح المقطع أيسر نطقاً.

الحالتان الخامسة والسادسة:

ومثالها: مرضيّ ← أصلها ← مرضوو

ومثالها: عُصيّ ← أصلها ← عصوو

¹ - الاستراباذي. شرح شافية ابن الحاجب. 140/3.

² - شاهين: 189.

حيث اجتمعت في هذين المثالين واوان الأولى منهما ضمة طويلة، والثانية نصف حركة داخل مقطع صوتي واحد هو: (ص ح ص) أي مقطع طويل مغلق بحركة طويلة¹.

وبالنظر إلى نهاية هذا المقطع نجد أنه قد ختم بتتابع حركي غير مرغوب به داخل قواعد اللغة العربية، لكونه يضعف النسيج المقطعي للبنية، وهذا التتابع متمثل في (الضمة الطويلة والواو نصف الحركة) (uu-w).

ولهذا فقد عمد الناطق إلى التخلص من هذا التتابع الحركي بقلب الواو باعتبارها صوت ثقيل - بل هي على حد تعبير الرضي "أثقل حروف العلة"² إلى صوت أخف منها وهو الياء، فأصبحت الكلمة بعد هذا القلب (عصوي) (مرضوي).

ورغم ما حدث من قلب فإن البنية لا تزال تحتاج إلى شيء من التوافق والتناغم بين الأصوات؛ وذلك لعدم توفره بتجاور الضمة الطويلة مع الياء نهاية المقطع وهنا أثرت الياء في الضمة الطويلة؛ نظراً لما تمتاز به الياء من سهولة ويسر في النطق وبخاصة في نهاية الكلمة³.

وتأثير الياء على الضمة الطويلة هنا كان بتقسيمها إلى قسمين حيث قلبت الضمة على كل من (الصاد في عصوي والصاد في مرضوي) إلى كسرة.

ثم قلبت الواو وهي (واو صيغة فعول في عصوي، واو صيغة مفعول في مرضوي) ياء أيضاً ثم أدغمت الياء في الياء فأصبحت الكلمتان: (عصوي - مرضوي).

ويقلب الضمة كسرة حدث نوع من التوافق الحركي ذلك لأن الياء تناسبها الكسرة.

الحالة السابعة:

ومثالها: دنيا ← أصلها ← نُنُوا

¹ - عبدالنواب. المدخل إلى علم اللغة. 102.

² - الاسترابادي. شرح شافية ابن الحاجب. 76.

³ - شاهين: 190.

وهنا يمكن تعليل قلب الواو في (دنوا) إلى ياء بكون الياء أخف من الواو وخاصة في آخر الكلمة، لأن هذا القلب لم يكن له أي تأثير على النسيج المقطعي للكلمة فالمقطع في الحالتين مقطع طويل مفتوح (ص ح ح) وإلى هذا أشار عبدالصبور شاهين بقوله: "فقد قلبت الواو ياء، نظراً لأن الياء أيسر نطقاً من الواو وبخاصة في نهاية الكلمة"¹.

5. قلب الياء واواً:

سبق الحديث عن قلب الواو ياء أي - الانتقال من الأثقل إلى الأثقل - أما هنا في هذا الموضوع فإنه سيتم الانتقال من الأثقل وهو الياء، إلى الأثقل وهو الواو؛ طلباً للخفة في حال تعذر تخفيف البنية بالألف، وتقلب الياء واواً في عدة حالات عرضها ابن الحاجب وشارحه الرضي في الشافية، إلا أنها لم تذكر مترتبة مع بعضها بل جاءت متناثرة داخل تفاصيل موضوع الإعلال فقامت بجمعها مع بعضها ليسهل تناولها، وشرحها، وبيان أسباب هذا القلب من الناحية الصوتية، والحالات التي تستوجب قلب الياء واواً تعد قليلة إذا ما قيست بحالات قلب الواو ياءً وهي:

1. وقوع الياء ساكنة مفردة - أي غير مشددة - بعد ضم.

قال ابن الحاجب: "تقلب... الياء واواً إذا انضم ما قبلها نحو: ... موقظ، موسر"².

2. أن تقع الياء عيناً (لفعل) اسماً.

قال ابن الحاجب: "وجعلت ياء فعل صفة كحيكى وضيضى كالقرينة من الطرف؛ لخفة الألف مع قصد الفرق بين فعلى اسماً وبينها صفة، والضممة أثقل والتخفيف بها أولى، فقيل طوبى في الاسم وضيضى في الصفة"³.

1 - شاهين: 190.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 85/3.

3 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 86/3.

3. وقوع الياء لأمأ لفعل وقبلها ضمة، ولم يسمع في العربية إلا في كلمة واحدة هي (نهو) وقد

وصف ابن الحاجب هذا المثال بالشاذ "وأما نحو: ... نهُو فشاذ"¹.

وقد قال الرضي عن أصل نهو: "فأصله نهوى لأنه فعول من النهي،... وقياسه نهى"².

4. أن تقع لأمأ (لفعلي) اسماً.

قال ابن الحاجب: "وتقلب الياء واواً في فعلى اسماً كتقوي وبقوى بخلاف الصفة نحو: صديا

ورياً"³.

وتعليل هذه الحالات من الناحية الصوتية يكون كالآتي:

الحالة الأولى:

ومثالها: موقظ ← أصلها ← مُوقِظ

موسر ← أصلها ← مُوسِر

وقعت الياء وهي نصف حركة ساكنة في نهاية المقطع الأول من الكلمة مُوقِظ/قن ← (ص ح ص)

مسبوقة بضممة فكونت الياء مع الضم حركة مزدوجة (ui).

وهذا التتابع الحركي الذي نشأت عنه الحركة المزدوجة يعد ثقيلأ داخل أبنية اللغة، فعمد الناطق إلى

التخلص من مثل هذا الثقل باختصار الحركة المزدوجة إلى أحد عناصرها.

فأبدلت الياء وهي تمثل العنصر الثاني ضمة قصيرة فاتحدت مع العنصر الأول وهو الضمة فكونتا

(ضممة طويلة).

وبناءً على هذا فإن الياء لم تقلب واواً وإنما أبدلت ضمة كونت مع سابقتها صائناً طويلأ وهو (الضممة

الطويلة).

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 139/3.

² - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 142/3.

³ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 177/3.

وهذا التغيير الذي طرأ على بنية الكلمة قد أثر أيضاً على النسيج المقطعي للكلمة، حيث تغير المقطع الأول فيها من النوع الطويل المغلق (ص ح ص) إلى النوع الطويل المفتوح (ص ح ح).

الحالة الثانية:

ومثالها: طوبى ← أصلها طُوبى

وما قيل في تعليل الحالة الأولى ينطبق تمام الانطباق على هذه الحالة.

حيث وقع هنا أيضاً تتابع حركي نتج عن وقوع الياء باعتبارها نصف حركة ساكنة في نهاية مقطع مسبوقة بضم.

فتم التخلص من هذا التتابع غير المرغوب فيه داخل البنية، لتحقيق نوعاً من الانسجام والتجانس بين الأصوات المتجاورة.

الحالة الثالثة:

ومثالها: نهو ← أصلها نَهَى

وقعت الياء إثر ضمة وقد سبق أن لاحظنا أن وقوع الواو إثر كسرة يجعلها ياء¹.

ولما كانت هناك صعوبة في نطق هذه الكلمة وهي على أصلها أي (نَهَى) وهذه الصعوبة تكمن في بذل الناطق جهداً عضلياً كبيراً نتيجة لانتقال اللسان من منطقة تكون الضمة وهي منطقة (خلفية) إلى منطقة تكون الكسرة الأمامية، قلبت الياء وهي صوت انتقالي (نصف حركة) إلى نصف حركة آخر يتمشى مع الحركة السابقة وهي الضمة فقلبت الياء واواً.

الحالة الرابعة:

ومثالها: تقوى ← أصلها تَقْوَى

¹ - شاهين: 191.

وهنا وقعت الياء باعتبارها نصف حركة بداية للمقطع الثاني من الكلمة تقنياً — (ص ح ص - ص ح ح) وهو مقطع طويل مفتوح.

ولما كان المقطع العربي يبدأ عادة بصامت قوي فإن الناطق قد عمل على تقوية بداية المقطع هنا بقلب الياء إلى نصف حركة آخر أقوى منها وهو الواو؛ ذلك لأن الواو نصف حركة قريبة من الواو الطويلة التي تعد أثقل الحركات¹، وبهذه القرابة أصبحت الواو نصف الحركة أقوى من الياء نصف الحركة، وبهذا القلب أصبحت بداية المقطع الثاني أقوى مما كانت عليه لابتدائها بالواو.

6. قلب الواو والياء ألفاً:

تعد الصلة الوثيقة بين أصوات العلة ومناسبتها لبعضها سبباً من الأسباب التي جعلت كل صوت منها يقلب إلى أحد أخويه.

فحين يتعذر بقاء أحدها على حاله لسبب من الأسباب فإنه يقلب إلى حرف يتناسب مع الحركة غير المناسبة السابقة له، أو يكون أقل ثقلاً من سابقه لغرض الوصول إلى أقصى درجات التسهيل والتخفيف في النطق، والألف أو كما يسميها علماء الأصوات المحدثون (الفتحة الطويلة) تنتج بسبب قلب كل من الواو والياء متحركتين غير أصليتين وما قبلهما مفتوحاً داخل البنية.

وقد نص ابن الحاجب على هذه القاعدة في شافيته بقوله: "تقلب ألفاً - أي الواو والياء - إذا تحركتا مفتوحاً ما قبلها"² أي في الكلمات التي عينها أو لامها حرف علة وأكثر ما يكون في مثل (قام - باع - باب - ناب - غزا - دعا - رمى)³.

وقد ذكر ابن الحاجب والرضي حالات قلب الواو والياء ألفاً وهي:

1 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 138/3.

2 - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 95/3.

3 - شاهين: 194.

- تقلب الواو والياء ألقاً إذا تحركتا وانفتح ما قبلها قال ابن الحاجب: "تقلبان ألقاً إذا تحركتا مفتوحاً ما قبلهما أو في حكمه، في اسم ثلاثي، أو فعل ثلاثي، أو محمول عليه، أو اسم محمول عليهما نحو: باب وناب وقام وباع..."¹.

وقد علل الرضي هذا القلب فقال: "ولكنهما قلبتا ألقاً... لأنهما وإن كانتا أخف من سائر الحروف الصحيحة لكن كثرة دوران حروف العلة، وهما أثقلها، جوزت قلبهما إلى ما هو أخف منهما من حروف العلة: أي الألف ولاسيما مع ثقافتها بالحركة وتهيؤ سبب تخفيفها بقلبها ألقاً، وذلك بانفتاح ما قبلهما؛ لكون الفتحة مناسبة للألف"².

وهذه القاعدة تضم كل الأفعال أو الأسماء التي تحركت فيها الواو أو الياء وانفتح ما قبلها مثل: ناب - قال.

أو ما هو محمول عليها من الأفعال ويقصد به ما يفتح فيه الواو أو الياء بعد حرف كان مفتوحاً في الماضي الثلاثي ويكون في المضارع المبني للفاعل: يخاف، يهاب.

المضارع المبني للمفعول: يُخَاف.

الماضي المزيد: أقام، أبان، استقام.

وتفسير هذه الحالة من الناحية الصوتية هو:

قال أصلها ← قَوْل

باع أصلها ← بَيْع

حيث وقعت كل من الواو في (قول) والياء في (بيع) بين حركتين قصيرتين فاستقل النطق فسقطت الواو والياء على التوالي من الكلمتين فاجتمعت (فتحة قصيرة) هي حركة القاف والباء مع (فتحة

¹ - الأسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 95/3.
² - الأسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 95/3.

قصيرة) وهي حركة الواو والياء فاتحدتا فكونتا (فتحة طويلة) (aa) أو ما يسمى قديماً بألف المد فتحولت الكلمة من (قول، بيع) إلى (قال، باع).

يقول عبدالصبور شاهين معللاً هذا التغيير: "فكل ما حدث هو إسقاط عنصر الضمة في واقع الأمر، هروباً من ثلاثية الحركة إلى الحركة الطويلة"¹.

وهذا التغيير في الأصوات المتجاورة قد صاحبه أيضاً تغييراً في النسيج المقطعي للكلمتين فهما في الأصل كانتا مكونتين من ثلاثة مقاطع قصيرة هي:

ق/و/ل ← ب/ي/ع

ص/ح/ص ح ← ص/ح/ص ح/ص ح

فأصبحتا بعد هذا التغيير مكونتين من مقطعين الأول مقطع طويل مفتوح والثاني مقطع قصير:

قال ← ص/ح/ص ح

باع ← ص/ح/ص ح

وبهذا يتضح لنا أن الواو والياء لم تبدلا ألفاً كما جاء في التراث الصرفي وإنما سقطتا من الكلمة بسبب ثقلهما بالحركة وحركة ما قبلهما.

يقول الرضي: "جوزت قلبهما إلى ما هو أخف منهما من حروف العلة: أي الألف، ولاسيما مع تناقلهما بالحركة"².

أما فيما يخص مصادر الأفعال المزيدة التي من وزن (أفعل - استفعل) فإنها تلحق بالأمثلة السابقة.

فالأمثلة: إقامة ← إقوام

استبانة ← استبيان

¹ - شاهين: 195.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 95/3.

تم إسقاط كل من الواو والياء ثم عوض عن هذا الحذف بالتاء باعتبارها لاحقة لهذا النوع من المصادر فأصبحت الكلمتان:

إقوام ← أقام ← إقامة

استبان ← استبان ← استبانة

وهذه التاء قد حقت نوعاً من التعادل الإيقاعي بين الأصل والبديل¹.

وبهذا التحليل الصوتي الحديث نبتعد عن افتراضات الصرفيين التي حللوا بها مثل هذه الأمثلة.

فهم يرون أن هذه الأمثلة قد حدث فيها قلب الواو أو الياء إلى ألف فأصبحت (اقام - استبان)

فاجتمع ألفان فحذف أحدهما وعوض عنه بالتاء فقليل: (إقامة - إستبانة).

ولكن مثل هذا التحليل هو بعيد عن الحقيقة كما أنه فيه شيء من التكلف.

¹ - شاهين: 195.

ثانياً الإعلال بالنقل:

ويقصد به الإعلال الناشئ عن نقل حركة أحد أصوات العلة (الواو أو الياء) إلى الصامت غير المتحرك قبله، فيترتب على هذا النقل أن يبقى الحرف المعتل دون حركة أي: يصبح ساكناً؛ ولذلك سمي أيضاً (الإعلال بالتسكين)¹.

وقد نص على ذلك ابن الحاجب بقوله: "وتسكنان - يقصد الواو والياء - وتنقل حركتهما في نحو: يقوم ويبيع؛ للبه باب يخاف، ومفعل ومفعل كذلك، ومفعول نحو: مقول ومبيع كذلك..."².
وقد بين الرضي المقصود من كلام ابن الحاجب ووضحه بقوله: "إذا تحرك الواو والياء وسكن ما قبلهما فالقياس أن لا يعلا بنقل ولا بقلب؛ لأن ذلك خفيف، لكن إن أتفق أن يكون ذلك في فعل قد أعل أصله بإسكان العين أو في اسم محمول عليه سكن عين ذلك الفعل والمحمول عليه؛ إتباعاً لأصله، وبعد الإسكان تنقل الحركة إلى ذلك الساكن المتقدم، تنبيهاً على البنية؛ لأن أوزان الفعل إنما تختلف بحركات العين"³.

وقد ذكر ابن الحاجب وشارحه الرضي أربعة مواضع يقع فيها هذا النوع من الإعلال هي:

1. الفعل المضارع معتل العين مثل: (يقول - يبيع):

يقول ابن الحاجب: "وتسكنان وتنقل حركتهما في نحو: يقول ويبيع"⁴.

أما الرضي فيقول: "إن أتفق أن يكون ذلك في فعل قد أعل أصله بإسكان العين... سكن عين ذلك

الفعل... إتباعاً لأصله وبعد الإسكان تنقل الحركة إلى ذلك الساكن المتقدم"⁵.

2. صيغة مفعول نحو: (مقول - مبيع):

¹ - شاهين: 196.

² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 143/3.

³ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 144/3.

⁴ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 143/3.

⁵ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 144/3.

يقول ابن الحاجب: "ومفعول نحو: مقول ومبيع"¹.

أما الرضي فيقول: "واعلم أن أصل مَقُول مَقُول، نقلت حركة العين إلى ما قبلها؛ فاجتمع ساكنان؛ فسيبويه يحذف الثانية دون الأولى وإن كان القياس حذف الأولى إذا اجتمع ساكنان والأولى مده وإنما حكم بذلك لأنه رأى الياء في اسم المفعول اليائي ثابتاً بعد الإعلال نحو: مبيع فحس أن الواو هي الساقطة عنه، تم طرد هذا الحكم في الأجوف الواوي وإنما خولف عنده باب التقاء الساكنين ههنا بحذف الثاني لأن الكلمة تصير به أخف منها بحذف الأول"².

3. الاسم المشبه بالفعل المضارع:

ونص على ذلك ابن الحاجب بقوله: "ومفعل ومفعل".

والرضي بين أقسام هذا الاسم المشبه بالفعل على النحو الآتي:

أ. الثلاثي المزيد الموازن للفعل مع مباينته له بحرف زائد لا يزداد في الفعل كميم مَقَام.

أي أنه يشبه الفعل المضارع في وزنه دون الزيادة.

ب. الثلاثي المزيد بحرف يزداد مثله في الفعل متحرك بحركة لا يحرك في الفعل بمثلها نحو: تَبَاع تَبِيع

فإن التاء المكسورة لا تكون في أول الفعل³. أي أنه يشبه الفعل المضارع في زيادته دون وزنه⁴.

فإن لم يكن مخالفاً بما ذكرنا نحو: أطول منك وأسود منك لم يعل الإعلال المذكور لئلا يلتبس

بالفعل أي أنه إن أشبه الفعل وزناً وزيادة وجب التصحيح حتى لا يتوهم أنه فعل إذا ما أعل.

4. المصدر بوزن (إفعال - استفعال)

ومثاله: كما في قول ابن الحاجب: "وفي الإقامة والاستقامة"⁵.

1 - الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب. 143/3.

2 - الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب. 147/3.

3 - الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب. 145/3.

4 - شاهين: 196.

5 - الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب. 144/3.

وضابطه عند الرضي "كونه مصدراً قياسياً مساوياً لفعله في ثبوت زيادات المصدر بعينها في مثل مواضعها من الفعل، والذي ذكره المصنف من حذف الألف المنقلبة عن الواو والياء نحو الإقامة والإبانة مذهب الأخفش، وعند الخليل وسيبويه إن المحذوفة هي الزائدة كما قالوا في واو مفعول، وقول الأخفش أولى"¹.

وبالنظر إلى المواضع المتقدم ذكرها نلاحظ أن هذا النوع من الإعلال تختص مسائله بالفعل الأجوف، مجرداً أو مزيداً واوياً أو يائياً حين يراد أن يشتق منه مضارع أو اسم فاعل أو اسم مفعول أو مصدر بوزن الأفعال والاستفعال².

وتفسير هذه المواضع من الناحية الصوتية هو كآآتي:

الحالة الأولى:

ومثالها: يَقُولُ ← أصلها يَقُولُ

يَبِيعُ ← أصلها يَبِيعُ

وقعت (الواو والياء) باعتبارهما نصفي حركة في بداية المقطع الثاني من الكلمة، بالإضافة إلى ذلك فإنهما قد تحركتا بحركة من جنسهما.

فاجتمع أمران هما:

كراهة النطق بالصوامت الضعيفة المشكلة بمصوتات من جنسها فلا تنطق الواو مع ضمة ولا الياء مع كسرة³.

بالإضافة إلى وقوعهما بداية للمقطع وهما من الصوامت الضعيفة وبداية المقطع تتطلب صامتاً قوياً.

¹ - الاسترأبأذي. شرح شافية ابن الحاجب. 151/3.

² - شاهين: 197.

³ - شاهين: 198.

ولهذين السببين عمد الناطق إلى إسقاطهما أي - الواو في (يَقُول) والياء في (يبيع) وعض عنهما بإطالة الضمة والكسرة الباقية بعد الحذف، وذلك لتحقيق نوعاً من التوازن الإيقاعي للكلمة حيث اختلت زنة المضارع (يفعل) ولذلك تصبح الصيغة (يَقُول - يبيع).

وبهذا يتضح لنا أن ما حدث في مثل هذه الأمثلة ليس نقلاً للحركة كما ذكر علماء اللغة القدماء وإنما هو إسقاط الواو والياء من بنية الكلمة والتعويض عنها بحركة مجانسة لحركتها قبل الحذف ولا نقل بحركة من جنسها لأن

(يَكاد ← أصلها ← يَخَاف) (يَكَيِّد ← أصلها ← يَخَاف) (يَخَاف ← أصلها ← يَخَوْف).

نجد أن الياء والواو في هذين المثالين لم يتحركا بحركة من جنسهما وإنما حركتا بالفتحة القصيرة، ويسقوط الياء والواو والتعويض عنهما بحركة مجانسة لحركتهما وهي (الفتحة القصيرة) كونت الحركة العوض مع الحركة السابقة حركة طويلة فأصبحت الكلمتان: يكاد - يخاف.

ولعل السبب في مثل هذا التغيير هو الفرار من تتابع أصوات اللين في صورة حركة ثنائية ثقيلة إلى توحيد الحركة لتصبح فتحة أو ضمة أو كسرة طويلة¹ وهذا التغيير الذي طرأ على البنى الصوتية للكلمات (يقول - يبيع - يكاد - يخاف) قد أثر في النسيج المقطعي لهذه الكلمات وأعاد تشكله بنقل الصامت السابق لأنصاف الحركات في هذه الأمثلة من نهاية المقطع الأول إلى بداية المقطع الثاني. وبهذا تصبح بداية المقطع مقبولة لكونها مصدرة بصامت قوي كآتي:

يَقُول (ص ح ص/ص ح ص)

يَبِيع (ص ح ص/ص ح ص)

يَكَيِّد (ص ح ص/ص ح ص)

يَخَوْف (ص ح ص/ص ح ص)

¹ - شاهين: 199.

تحولت إلى:

يَقُول (ص/ح/ص ح ح ص)

يَبِيع (ص/ح/ص ح ح ص)

يَكَاد (ص/ح/ص ح ح ص)

يَخَاف (ص/ح/ص ح ح ص)

الحالة الثانية:

ومثالها: مقول ← أصلها ← مَقُول

مبيع ← أصلها ← مَبِيع

وقعت الواو والياء في بداية المقطع متلوه بحركة الضمة الطويلة، فتم إسقاط الواو والياء دون أي تعويض أو زيادة في موضعها.

وبهذا الإسقاط أصبحت الكلمتان: (مَقُول) (مَبِيع) وبإعادة تشكيل النسيج المقطعي للمثالين بنقل حركة الواو والياء الساقطتين إلى الصامت السابق لهما أصبحت الكلمتان (مَقُول) (مَبِيع)، ثم قلبت الضمة الطوية في (مَبِيع) كسرة طويلة لإحداث مغايرة بين واوي الأصل ويائيه.

وفيما يخص المحذوف من هذين الكلمتين فإنه لا يجوز لنا أن نتبع الصرفيين القدماء فيما ذهبوا إليه من كون المحذوف هو واو مفعول أي الواو الثانية في مقول؛ لأنه بسقوط هذه الواو لا تؤدي الصيغة وظيفتها وهي الدلالة على المفعولين.

بل نقول أن الواو الأولى في مقول والياء من (مبيوع) اللتان تشكلان عين الكلمة هما اللتان سقطتا من بناء الكلمة.

الحالة الثالثة:

ومثالها: مقام ← أصلها ← مَقُوم

تبييع ← أصلها ← تبييع

ففي المثال الأول أسقطت الواو باعتبارها نصف حركة من هذه البنية وتم التعويض عنها بحركة مجانسة لحركتها فكانت معها حركة طويلة هي الفتحة الطويلة (aa) فأصبحت الكلمة (مقام).

أما المثال الثاني:

فإنه قد تم فيه إسقاط الياء وهي نصف حركة وعوض عنها بحركة مجانسة لحركتها وهي الكسرة القصيرة فكانت مع سابقتها كسرة طويلة (ii) فأصبحت الكلمة تبييع.

وبهذا التغيير الذي طرأ على البنية تم إعادة تشكيل النسيج المقطعي لهذه الأمثلة بحيث أصبحت المقاطع الثانية منها مبتدئة بصوامت قوية من شأنها أن تقع كبدائية للمقطع.

الحالة الرابعة:

ومثالها: إقامة ← أصلها ← إقوام

استبانة ← أصلها ← استبيان

كل ما حدث في هذه الأمثلة هو سقوط الواو والياء نصفي الحركة من البنيتين على التوالي دون أي تعويض أو زيادة في موضعها، وإنما كان التعويض في آخر الكلمة بالتاء لتحقيق التعادل الإيقاعي بين الأصل والبديل.

أي أنه بسقوط الواو من إقوام والياء من استبيان تم التخلص من الحركة الأولى من المزدوج¹.

aa ← تحولت ← waa

aa ← تحولت ← yaa

¹ - شاهين: 195.

ثالثاً الإعلال بالحذف:

يقع الإعلال بالحذف قياساً في مواضع أربعة ذكر منها ابن الحاجب موضعاً واحداً ذكرته هنا مع ما لم يذكره وإليك بيان هذه المواضع:

1. تحذف الواو إذا كانت فاءً لفعل مضارع ثلاثي مفتوح العين يقول ابن الحاجب: "وتحذف الواو من (نحو) يعد ويلد لوقوعها بين ياء وكسرة أصلية"¹.

وأوضح الرضي هذا الكلام بقوله: "فحذفت الواو لمجامعتها للياء، على وجه لم يمكن معه إدغام إحداها في الأخرى... ولاسيما مع كون الكسرة بعد الواو، والكسرة بعض الياء، ومع كون حركة ما قبل الواو غير موافقة له كما وافقت في يُوعِد مضارع أوعِد، وإنما حذفت الواو دون الياء لكونها أثقلهما مع أن الياء علامة المضارعة وأن الثقل حصل من الواو لكونها الثانية"².

2. يحذف حرف العلة من الأفعال الماضية الجوفاء عند إسنادها إلى ضمائر الرفع
مثل: قمت.

3. يحذف آخر الفعل المعتل الآخر في حالتي الجزم والأمر.

مثل: ادعُ - ارم - اسع - لم يخش - لم يدعُ.

4. حذف الهمزة من مضارع الفعل المزيد بالهمزة على وزن (أفعل).

مثل: أكرم ← يُكرم.

ويمكن تفسير هذه المواضع أو حالات الحذف من الناحية الصوتية الحديثة على النحو الآتي:

¹ - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 87/3.
² - الاسترأباضي. شرح شافية ابن الحاجب. 88/3، 89.

الحالة الأولى:

ومثالها: وَعَد ← مضارع ← يَعد ← الأصل ← يُوعد

وهنا نلاحظ أن الواو باعتبارها نصف حركة قد وقعت في نهاية المقطع الأول من الكلمة وهو المقطع (ص ح ص) الطويل المغلق وبحذفها أعيد التشكل المقطعي لهذه البنية فأصبحت مكونة من ثلاثة مقاطع قصيرة حيث تحول المقطع الطويل المغلق وهو المقطع الأول إلى مقطع قصير.

الحالة الثانية:

ومثالها: قمت ← أصلها ← قام + ت

بالنظر إلى المقاطع التي تتكون منها البنية (قَام+ت) نجد أنها تتكون من مقطعين هما (ص ح ح ص/ص ح).

والمقطع الأول منهما لا تجيزه العربية إلا في حالة الوقف¹.

ولما كان هذا المقطع غير مرغوب فيه حين يكون ابتداءً لذا كان لابد من تقصيره² فأصبح شكل المقطع في كلمة قمت على النحو: (ص ح ص/ص ح) وبهذا يكون النموذج المقطعي غير المرغوب فيه قد أفسح المجال ليحل محله نموذجاً آخرأ أكثر استعمالاً.

الحالة الثالثة:

ومثالها: لم يدع ← لم يدعُ ← لم يرم ← لم يرمي

ادعُ ← ادعو ← ارم ← ارمي

وتعليل هذه الحالة إنما يقوم على أساس البناء المقطعي للكلمتين، فالواو والياء كلاهما لم يحذف من الكلمات كما اعتقد القدامى وإنما تم تقصير المقطع الأخير من الكلمات وهو المقطع الطويل المفتوح

¹ - شاهين: 39.

² - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 413.

إلى مقطع قصير وبدل على هذا التقصير الحركة القصيرة الموجودة على الصوت الأخير من هذه الكلمات والتي تدل على نصف الكمية الصوتية للواو أو الياء أو الألف¹.

الحالة الرابعة:

ومثالها: أكرم أصلها ← أكرم

إن صوت الهمزة في الفعل الماضي (أكرم) قد تطلبه متن اللغة، وبناء على هذا فإن هذه الهمزة زائدة، ولما كانت مثل هذه الصيغ يكثر دورانها في الكلام عمد الناطق إلى إسقاطها هنا بناءً على ما ورد في قانون التردد النسبي من أن "الفونيمات الأكثر تردداً تختزنها الذاكرة أسهل من الأقل... والكلمات الكثيرة التردد في كل يوم تتعرض لتأثيرات صوتية أكثر من كلمة نادرة أو كلمة أدبية أو كلمة خاصة والأدوات النحوية المتنوعة التي يكثر استخدامها في اللغة عرضة للاختصار أكثر من الكلمات الكاملة"².

وقد ترتب على هذا الإسقاط الذي قد وقع على صوت صامت هو الهمزة³ إعادة التشكيل المقطعي للكلمة حيث كانت تتكون من ثلاثة مقاطع هي:

أ/أكرم

ص/ح/ص ح/ص/ص ح/ص

فتم اختصار هذه المقاطع إلى مقطعين هما:

أكرم

ص ح/ص/ص ح/ص

حيث تحول المقطع الأول من مقطع قصير إلى مقطع طويل مغلق.

¹ - عبدالجليل. علم الصرف الصوتي. 414.

² - عمر. دراسة الصوت اللغوي. 375.

³ - شاهين: 201.

وخلص القول في موضوع الإعلال يمكن إجمالها في أن الإعلال من الموضوعات الصرفية الرئيسية التي لا غني لدارسي العربية من الإمام بها، ومثل هذا الموضوع الصرفي قد تعالقت مباحثه بمباحث علم الأصوات، فكان لزاماً على الدارس الإطلاع على الصوتيات حتى يستطيع سبر أغوار هذا الموضوع.

والإعلال من خلال ما تقدم عرضه أنواع ثلاث هي:

الإعلال بالقلب، الإعلال بالنقل، الإعلال بالحذف.

وهو يختص بفئة معينة من الأصوات ألا وهي الأصوات العلية، الأمر الذي جعل الإعلال أخص من الإبدال لكون الإبدال يشمل ويضم تحت مظلته حالات التبادل بين الأصوات العلية والصحيحة.

الخاتمة

بحمد الله وتوفيق من عنده، وبعد معاناة دامت فترة من الزمن غير قليلة، تخللتها أحداث جسام، أزاحت ضباب السنين العجاف، وأجلت الغيوم الدكماء عن سماء بلادي؛ وكان نصيبي، أن يتزامن إعدادي البحث، وتعرض مدينتي للعدوان الآثم، وأن أكون في بؤرة الحدث، في مصراة حيث قاوم أهلها جميعا، وعشت كما عاشوا الرعب وعاشت وإياهم الخوف؛ لكنني كنت مؤمنة ومصدقة بأن التوفيق سيكون من نصيب من تصدى وجاهد وقاوم الاستبداد ورفض الخنوع مرة أخرى، مستمدة العون من الله، وداعية إياه أن يأخذ بيدي وأيادي أهلي، وينير سبيلنا، ويرى العمل . الذي آليت على نفسي انجازه . النور في زمن غير الزمن، وفي مناخ غير المناخ. فكان وأن كان، فالحمد لله على توفيقه، والشكر له على ما به أنعم.

في هذا العمل، اجتهدت ما أمكنتني ذلك، من إقامة جسر بين الماضي والحاضر، وتناولت بالدرس الوشائج والتداخل بين فرعي الدرس اللغوي العام (الصوت والصرف) عند أحد أعلام القرن السابع الهجري الذي كان له شأن عظيم في مجال اللغة وعلومها. وقد كان ذلك من خلال ما قام بذكره في ثنايا شرحه على كتاب الشافية لابن الحاجب، الذي ضمنه هو الآخر خلاصة ما توصل إليه الفكر العربي آنذاك في مجال اللغة.

وقد قمت في هذا البحث بالربط بين الدرس الصوتي التراثي والدرس الصوتي الحديث وذلك من خلال دراسة الأفكار ومناقشتها ومقارنتها بما هو متاح لدى علماء اللغة المحدثين، وقد اتضح لي من خلال الدراسة والبحث والمقارنة بعض الحقائق والملاحظات والاستنتاجات حول الفكر الصوتي عند الاسترابادي حاولت وضعها في شكل نقاط لتكون خاتمة لبحثي، وهذه الملاحظات أو الحقائق تمثلت في التالي:

1. لم يفرق ابن الحاجب وشارحه الرضي بل وحتى كل القدامى بين مدلولي الحرف والصوت، في

الوقت الذي نجد فيه المحدثين قد فرقوا بين هذين المصطلحين.

2. انقسام فونيمات اللغة عند المحدثين إلى قسمين هما:

- الفونيمات التركيبية: وتشمل أربعة وثلاثين فونيمياً مقسمة كالاتي:

• ستة وعشرون فونيمياً للصوائت.

• ثلاثة فونيمات للصوائت القصيرة.

• ثلاثة فونيمات للصوائت الطويلة.

• فونيمان لأنصاف الصوامت.

- فونيمات فوق تركيبية وتشمل: (المقطع - النبر - التنغيم - المفصل).

أما الرضي فقد أحصى فونيمات اللغة فقسماً إلى مجموعتين أصلية وفرعية، فالأصلية عنده

سبعة وعشرين صوتاً في حين شملت الفرعية المستحسنة والمستهجنة..

3. ذكر الرضي علة استحسان الشين التي كالجيم على الجيم التي كالشين، وهو في هذا يفوق كلاً من

سيبويه وابن جني وصاحب المتن ابن الحاجب الذين ذكروا الصوت دون أي تعليل أو توضيح

لسبب الاستحسان.

4. عدم تفريق القدامى وعلى رأسهم الرضي الاسترابادي بين الصوت الأصلي والصوت الفرعي في

التسمية فكلاهما عندهم يقع تحت فئة الأصوات، أما المحدثون فالأمر مختلف عندهم تماماً

فالصوت الأصلي عندهم والذي تكون له صورة أو رمز في الكتابة قد أطلقوا عليه اسم (فونيم) أما

الأصوات الفرعية فهي عندهم تدرج تحت شيئين هما: (الألوفونات، الدياتونات).

5. عند تمرير الأصوات المستحسنة على قانون المحدثين يتبين لنا أن: النون الخفية، ولام التفخيم،

والصاد التي كالزاي، والشين كالجيم، تدرج تحت مصطلح الألوفون.

أما همزة بين بين، وألف الإمالة، وألف التفخيم، فإنها تتدرج تحت ما يعرف بالديافون.

6. عد ابن الحاجب المخارج الصوتية فبلغت عنده ستة عشر مخرجاً، ولكن عند التدقيق والتمحيص

تبين لنا أن مخارج الأصوات عنده عددها خمسة عشر مخرجاً، لأنه لم يفرد النون الخفية بمخرج

خاص بها كما فعل سابقه أمثال سيبويه وابن جني، وفي الدرس الصوتي الحديث بلغ عدد

المخارج الصوتية عشرة مواضع أو أحد عشر موضعاً.

7. ابتدأ ابن الحاجب ومن بعده الرضي ترتيب مخارج الأصوات بالأقصى أو بالأدخلى فكان الحلق

أول تلك المخارج والشفتان آخرها، وهذا الترتيب يعرف باسم الترتيب التصاعدي، وهو غير متبع

من قبل المحدثين.

8. لم يفرد الرضي ولا صاحب المتن ابن الحاجب مخرجاً خاصاً بحروف المد، بل جعل الألف من

مخرج همزة والواو والياء المديتين من مخرجهما حالة كونهما غير مديتين.

9. قسم ابن الحاجب وتبعه الرضي في ذلك المخرج الأول من الداخل وهو الحلق إلى ثلاثة أحياء

هي: أقصى الحلق، وسط الحلق، أدنى الحلق.

10. اختلف المحدثون مع الرضي فيما يخص نسبة الأصوات إلى مخرجها في بعض الأصوات

وليس الكل.

11. اعتمد ابن الحاجب - وتبعه الرضي في ذلك - المخارج كأساس من أسس تصنيف الأصوات،

وهذا الأمر محل اتفاق حيث جعل علماء الدرس الصوتي الحديث المخارج أيضاً أساساً تقسم

الأصوات تبعاً له.

12. لم يوفق الرضي في الوصول إلى ماهية الجهر الصحيحة أو لنقل العنصر الرئيسي الذي يرتكز

عليه وصف الصوت بالجهر أو بالهمس، وهذا العنصر أو العضو هو الوتران الصوتيان، فهو قد

ركز على ما يسمى (بإشباع الاعتماد) فإذا أشبع الاعتماد كان الصوت عنده مجهوراً، وإذا ضعف الاعتماد كان الصوت مهموساً.

13. الأصوات المجهورة عند الرضي تسعة عشر صوتاً مجموعة في قولك: "ظل قوريض إذغزا حبذ مطيع" وهو في هذا يتفق مع سابقه أمثال سيويه وابن جني، بينما هي عند المحدثين خمسة عشر صوتاً مجموعة في قولك: "عظم وزن رجل بغض زيد" بالإضافة إلى الصوائت.

14. اختلف المحدثون مع علماء التراث ومن ضمنهم ابن الحاجب في تصنيف الأصوات المجهورة وقد كان الاختلاف حول ثلاثة أصوات هي: (الطاء - القاف - الهمة)، فالمحدثون قد جعلوا هذه الثلاثة من الأصوات المهموسة، في حين عدّها القدامى والرضي من الأصوات المجهورة.

15. عد الرضي وابن الحاجب الأصوات المهموسة فبلغت عندهما عشرة أصوات هي: (السين - التاء - الشين - الحاء - الثاء - الكاف - الخاء - الصاد - الفاء - الهاء) وهما في هذا متفقان مع من سبقهم كسيويه وابن جني.

16. عدم ذكر الرضي للنظائر الصوتية، فالأصوات المهموسة جزء منها له نظير مجهور وهذا ما قام المحدثون بتوضيحه، والأصوات المهموسة التي لها نظائر مجهورة هي: (التاء - السين - الحاء - الخاء) أما المهموسة التي لا نظير لها فهي: (الشين - الصاد - الفاء - القاف - الكاف - الهاء) والمجهورة التي لا نظير لها هي: (الباء - الميم - الظاء - النون - اللام - الراء - الياء - الواو - الجيم).

17. الأصوات الشديدة عند الرضي ثمانية مجموعة في قولك "أجدك قطبت" ومصطلح الشدة عند القدامى وعلى رأسهم الرضي يقابله مصطلح الانفجاري عند المحدثين كما تعرف مجموعة الأصوات الشديدة عند المحدثين أيضاً بالوقفية أو الآنية، وقد اشتملت الأصوات الشديدة عند

الرضي على صوت الجيم في حين ضمت قائمة المحدثين لهذه الأصوات صوت الضاد بدلاً عنه.

18. لم يذكر الرضي النظائر الرخوة للأصوات الشديدة، ولكن الدرس الصوتي الحديث قام بذكرها وبيانها.

19. اختلاف المعيار الذي على أساسه يتم وصف الصوت بالشدة أو بالرخاوة بين القدامى - ومنهم الرضي - والمحدثين، فالقدامى يضعون شرطاً واحداً للصوت ليوصف بالشدة وهو انحباس الهواء معه.

أما المحدثون فإنهم يجعلون لذلك شرطين هما: انحباس الهواء مع الصوت، وجود عنصر التسريح المفاجئ.

20. الأصوات الرخوة عند الرضي ثلاثة عشر صوتاً هي: (التاء - الحاء - الخاء - الزاي - السين - الشين - الصاد - الضاد - الظاء - الغين - الفاء - الهاء)، ويقابل مصطلح الرخاوة المستعمل من قبل القدامى مصطلح الاحتكاكية عند المحدثين، على اعتبار ما يصاحب نطق هذه الأصوات من احتكاك للهواء وقد تعرف أيضاً باسم الأصوات الاستمرارية.

21. اتفق الرضي وصاحب منته ابن الحاجب مع ابن جني في عدد الأصوات بين الشديدة والرخوة فهي عندهم ثمانية هي: (لم يروعا)، أما سيبويه فقد جعل هذه الصفة لصوت واحد فقط هو العين.

22. يقابل مصطلح بين الشديدة والرخوة المستعمل عند القدامى مصطلح المتوسطة أو المائعة أو السائلة عند المحدثين، وقد عدّ المحدثون هذه الأصوات فجعلوها أربعة هي: (الراء - اللام - الميم - النون).

23. الأصوات المطبقة عند الرضي الاسترابادي أربعة هي: (الصاد - الضاد - الطاء - الظاء) وهو متفق في ذلك مع سيبويه وابن جني والدرس الصوتي الحديث جاء موافقاً للدرس التراثي، إلا أن الدرس الصوتي الحديث قد تميز بذكره للنظائر المرققة للأصوات المفخمة وهي (ص ← س، ط ← ت، ض ← د، ظ ← ذ) .
24. مما يحسب للرضي في مسألة الإطباق إشارته إلى وضع التقعر الذي يتخذه اللسان عند النطق بالصوت المطبق وهذا الوضع قد أشار إليه المحذون في كلامهم.
25. أثبت الرضي صفة القلقة إلى خمسة أصوات هي: (القاف، الطاء، الباء، الجيم، الدال) وقد اشترط لحصول القلقة اجتماع الشدة والجره في الصوت المقلقل، الأمر الذي أحدث اختلافاً بين الدرس الصوتي الحديث والدرس التراثي بخصوص نسبة صفة القلقة إلى صوتي الطاء والقاف؛ وذلك لكونهما في الدرس الصوتي الحديث يقعان ضمن مجموعة الأصوات المهموسة.
26. تعتبر الأصوات الصامته أقوى من الأصوات الصائتة ونصفي الصائت (الواو، الياء).
27. الأصوات الصائتة أصوات ذات طبيعة انطلاقية، مجهورة، تمتاز بخاصيتها التصويتية العالية وهي تشكل الفئة الثانية من فونيمات اللغة، وتندرج تحت فئة الأصوات الصائتة الفتحة، الضمة، الكسرة بنوعيهما الطويلة والقصيرة.
28. ربط القدامى الهمزة بفصيحة الأصوات الصائتة وهي: (الألف، الواو، الياء)، ولعل ذلك راجع إلى أن الهمزة قد تكتب على صور متعددة فوق الألف أو الواو أو الياء.
29. الإدغام في الدرس الصوتي الحديث من أهم الظواهر السياقية التي يؤتى بها من أجل التخلص من الثقل الناتج عن توالي مثليين، والرضي يتفق مع الدرس الحديث في هذا الأمر، وقد قسم الرضي الإدغام إلى قسمين هما: إدغام مثليين - إدغام متقاربين.

30. نص الرضي على أن كل مثلين يدغمان في بعضهما إلا الألفين والهمزتين، وقد أوضح سبب ذلك وعلته. كذلك درس الصوتي الحديث قد نص على عدم إدغام الهمزتين والألفين وعلل ذلك إلا أن علته قد اختلفت عن العلل التي ذكرها الرضي.

31. تختلف الأصوات الصامتة من حيث قوتها وذلك يظهر جلياً في مسألة الإدغام، حيث تعد الأصوات الصغيرية من أقوى الصوامت لكونها يدغم فيها ولا تدغم هي في غيرها.

32. جعل الرضي والقدامى عموماً صوتي (الخاء والغين) من المخرج الحلقي وبالتحديد من أدنى الحلق، والحقيقة أن هذين الصوتين مخرجهما هو الطبقة (الحنك اللين).

33. تعددت الأسباب التي أدت إلى الإبدال فمنه ما كان ناتجاً عن التعدد اللهجي المنتشر في البيئة العربية، ومثل هذا الإبدال أطلق عليه درس الصوتي مصطلح (الديافون)، ومنه ما كان ناتجاً عن تأثر الأصوات ببعضها داخل السياق عند تجاورها، ومنه ما كان الإبدال فيه مرهوناً ببعض الشروط السابقة أو اللاحقة للصوت المبدل، وهذا النوع من الإبدال عرف في درس الصوتي الحديث بمصطلح (الألوفون).

34. استدرك الرضي على ابن الحاجب بعض الأصوات الخاصة بالإبدال منها: الناء بدلاً من الفاء والباء بدلاً من الميم والحاء بدلاً من الخاء.

35. تعتبر موضوعات الإدغام، الإبدال، الإعلال من أهم المباحث الصرفية عند الرضي والتي اختلفت فيها مباحث علم الصرف بعلم الصوت.

36. الإبدال والإعلال مصطلحان يدلان على التغيير، إلا أن الإبدال أعم من الإعلال لكونه يشمل حالات التبادل بين الأصوات الصحيحة والمعتلة، أما الإعلال فهو مختص بأصوات العلة.

37. المقطع المبدوء بصوت صامت يعتبر مقطوعاً أقوى من المقطع المبدوء بصوت نصف الصائت.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم

ابن جني: أبو الفتح عثمان.

1. الخصائص. تح: محمد النجار (بلا. المكتبة العلمية. بلا).

2. سر صناعة الإعراب. تح: حسن هندأوي (دمشق. دار القلم. 1993).

ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد.

3. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. تح: إحسان عباس. (بيروت. دار صادر. بلا).

ابن سينا: أبو علي الحسين.

4. أسباب حدوث الحروف. (القاهرة. مكتبة الكليات الأزهرية. 1978).

ابن عصفور: علي بن مؤمن الإشبيلي.

5. الممتع في التصريف. فخرالدين قباوة. (بيروت. منشورات دار الآفاق الجديدة. 1978).

أبو خدود: علي بهاء الدين.

6. المدخل الصرفي. تطبيق وتدريب في الصرف العربي. (بيروت. المؤسسة الجامعية للدراسات

والنشر. 1988).

الاسترأبادي: محمد بن الحسن.

7. شرح الرضي على الكافية. تح: يوسف حسن عمر. (بنغازي. منشورات جامعة قاريونس. بلا).

8. شرح شافية ابن الحاجب. تح: محمد نورالحسن وآخرون. (بيروت. دار الكتب العلمية. بلا).

الأسمر: راجي.

9. المعجم المفصل في علم الصرف. (بيروت. دار الكتب العلمية. 1995).

أنيس: إبراهيم.

10. الأصوات اللغوية. (القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية. 1987).

أيوب: عبدالرحمن.

11. أصوات اللغة. (بلا. مكتبة الشباب. بلا).

البابا - الخويسكي: عبدالجواد حسين. زين كامل.

12. الصرف العربي صياغة جديدة. (الأسكندرية. مؤسسة شباب الجامعة. 1988).

بركرومي: ديفيدا.

13. مبادئ علم الأصوات العام. تر: محمد فتوح. (بلا. مطبعة المدينة. 1988).

بشر: كمال.

14. دراسات في علم اللغة. (القاهرة. دار المعارف. 1986).

البغدادي: إسماعيل.

15. هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين. (بيروت. مكتبة المثنى. 1955).

البغدادي: عبدالقادر.

16. خزانة الأدب ولب لباب العرب (بلا. بلا. بلا).

البهنساوي: حسام.

17. علم الأصوات. (القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية. 2004).

الجاحظ: أبوعثمان عمرو بن بحر.

18. البيان والتبيين. تح: عبدالسلام هارون. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1998).

حجازي: محمود فهمي.

19. مدخل إلى علم اللغة. (بلا. دار الثقافة للنشر. بلا).

حسان: تمام.

20. مناهج البحث في اللغة. (القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية 1955).

21. اللغة العربية معناها ومبناها. (الدار البيضاء. دار الثقافة. 1994).

الحمد: غانم قدور.

22. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. (بغداد. مطبعة الخلود. 1986).

الحملوي: أحمد بن محمد.

23. شذا العرف في فن الصرف. (الرياض. دار الكيان. بلا).

الحنبلي: شهاب الدين بن العماد.

24. شذرات الذهب في أخبار من ذهب. (بيروت. دار الكتب العلمية. 1998).

خفاجي: محمد عبدالمنعم.

25. الحياة الأدبية في مصر العصر المملوكي والعثماني. (بلا. مكتبة الكليات الأزهرية. بلا).

الراجحي: عبده.

26. فقه اللغة في الكتب العربية. (الأسكندرية. دار المعرفة. 1990).

الزبيدي: محمد مرتضى.

27. تاج العروس من جواهر القاموس. تح: عبدالستار أحمد فراج (الكويت. وزارة الإرشاد والأنباء.

1965).

الزركلي: خيرالدين.

28. الأعلام. (بيروت. دار العلم للملايين. 1997).

السامرائي: إبراهيم.

29. المدارس النحوية أسطورة وواقع. (عمان. دار الفكر. 1987).

30. فقه اللغة المقارن. (بيروت. دار العلم للملايين. 1987).

السعران: محمود.

31. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي. (بيروت. دار النهضة العربية. بلا).

سيبويه: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر.

32. الكتاب. تح: عبدالسلام هارون. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1982).

السيوطي: جلال الدين.

33. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. (صيدا. المكتبة العصرية. بلا).

34. المزهري في علوم اللغة. تح: محمد أحمد جاد المولى وآخرون. (القاهرة. مكتبة دار التراث. بلا).

شاهين: عبدالصبور.

35. المنهج الصوتي للبنية العربية رؤية جديد في الصرف العربي. (بيروت. مؤسسة الرسالة.

1980).

ضيف: شوقي.

36. المدارس النحوية. (القاهرة. دار المعارف. بلا).

37. تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي. (القاهرة. دار المعارف. بلا).

طنطاوي: محمد.

38. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة. (القاهرة. دار المعارف. بلا).

عاشور: سعيد عبدالفتاح.

39. مصر والشام في عصر الأيوبيين. (بيروت. دار النهضة العربية. بلا).

عبدالنتواب: رمضان.

40. فصول في فقه اللغة. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1987).

41. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. (القاهرة. مكتبة الخانجي. 1985).

عبدالجليل: عبدالقادر.

42. علم اللسانيات الحديثة. (عمان. دار الصفاء للنشر. 2002).

43. التنوعات اللغوية. (عمان. دار الصفاء للنشر. 1997).

44. علم الصرف الصوتي. (عمان. دار الصفاء للنشر. 2010).

45. الدلالة الصوتية والصرفية في لهجة الإقليم الشمالي. (عمان. دار الصفاء للنشر. 1997).

46. الأصوات اللغوية. (عمان. دار الصفاء للنشر. 1998).

عبدالعزيز: محمد حسن.

47. مدخل إلى علم اللغة. (بلا. مكتبة الشباب. 1992).

عتيق: عبدالعزيز

48. الدخلى إلى علم النحو والصرف. (بيروت. دار النهضة العربية. بلا).

عمر: أحمد مختار.

49. البحث اللغوي عند العرب. (القاهرة. عالم الكتب. 1988).

50. دراسة الصوت اللغوي. (القاهرة. عالم الكتب. 1991).

الغامدي. منصور محمد.

51. الصوتيات العربية. (الرياض. مكتبة الملك فهد الوطنية. بلا).

الغوت: مختار.

52. لغة قریش. (الرياض. دار المعراج الدولية. 1997).

الفاخري: صالح سليم.

53. علم التصريف العربي. (فاليئا. منشورات ELGA. بلا).

54. الدلالة الصوتية في اللغة العربية. (سبها. منشورات جامعة سبها. 1988).

فجال: محمد.

55. الحديث النبوي في النحو العربي. (الرياض. أضواء السلف. 1997).

الفراهيدي: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد.

56. كتاب العين. تح: مهدي المخزومي. إبراهيم السامرائي. (بلا. دار ومكتبة الهلال. بلا).

القماطي: محمد منصف.

57. الأصوات ووظائفها. (طرابلس. منشورات جامعة طرابلس. 1986).

الكتبي: محمد بن شاعر.

58. فوات الوفيات. (بيروت. دار صادر. بلا).

كحالة: عمر رضا.

59. معجم المؤلفين. (بيروت. مكتبة المثنى. بلا).

مالبرج: برتيل.

60. علم الأصوات. تر: عبدالصبور شاهين. (بلا. مكتبة الشباب. بلا).

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد.

61. المقتضب. تح: محمد عزيمة. (القاهرة. بلا. 1994).

62. المعجم الوسيط. مجمع اللغة العربية. (بلا. مكتبة الشروق الدولية. 2004).

موعد: محمد.

63. درس النحوي. أم مدرسة نحوية. (دمشق. دار سعدالدين. 2005).

نبهان: عبد الآله.

64. ابن يعيش النحوي. (بلا. منشورات اتحاد الكتاب العرب. 1997).

ب-المجلات:

ابن طاهر. محمد امحمد.

1. المراتب الزمنية للفعل في اللغة العربية. (مركز البحث العلمي لكلية الدعوة الإسلامية.

.(2011).

2. أوجه التوافق والتباين بين الألفباء الصوتية العالمية وأصوات اللغة العربية (الصوامت العربية

نموذجاً). (طرابلس. مجمع اللغة العربية. 2010).

3. موسوعة الأصوات العربية الإلكترونية. (2011).

صافار: صالح.

4. الحديث الشريف والنحاة. (مجلة السائل. العدد2. 2007).

العيساوي: خالد.

5. في صوتيات القرآن. (مجلة السائل. العدد2. 2007).